سلسلة تاريخ العرب والإسلام

المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى

د. صالح أحمد العلي

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

المنسوجات والألبسة العربية

في العهود الإسلامية الأولى

الدكتور صالح أحمد العلي

المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

شارع جان دارك ـ بناية الوهاد

ص. ب. ٨٣٧٥ ـ بيروت ـ لبنان

تلفون: ٣٥٠٧٢١/٢ (٠١)

تلفون + فاكس: ٣٤٢٠٠٥ ـ ٣٥٣٠٠٠ (١ ٩٦١)

e-mail: allprint@cyberia.net.lb

الطبعة الأولى ٢٠٠٣

تصميم الغلاف: عباس مكي

الإخراج الفني: بسمة التقي

الفصل الأول

ملاحظات عامة

أهمية الملبوسات وتطورها

الملبوسات إحدى الحاجات الأساسية الثلاث لحياة الإنسان، إلى جانب المأكل والمسكن، ولتطورها صلة وثيقة بتطور الحضارة، فهي تعتمد عند الشعوب الابتدائية على المواد التي تقدمها الطبيعة من ورق الشجر أو الصوف والجلود، ولكن بتقدم الحضارة وما رافقها من تربية المواشي وتدجين النباتات لتجهيز المواد الأولية استجابة لمتطلبات الغزل والحياكة والنسيج والصباغة ثم الخياطة، وكل هذه ترتبط بتقنيات الصناعة، أدى ذلك كله إلى تطور صناعة الألبسة متأثرة في الوقت عينه بالمستويات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات عبر العصور.

ترجع الألبسة في بلاد الشرق الأوسط إلى أزمنة موغلة في القدم تطورت بتطور حضارة هذه البلاد، وتنوعت تبعاً لتنوُّع الحضارة وتعقّد المجتمع وتقدُّم الفنون. وكانت المنسوجات من أهم مواد الصناعة والتجارة، سواء في موادها الأولية أو صناعاتها، وخاصة مما هو قليل الوجود غالي الثمن. ولم يكن العرب بمعزل عن ذلك، ومصادر معلوماتنا في هذا المجال منوعة، منها الكتابات والنقوش، إلا أن كمية المعلومات التي وصلتنا عن أحوالها قبل الإسلام قليلة، ولم تجر عنها دراسات شاملة تكفي لتقديم صورة واضحة عن تطور أحوالها، ويمكن القول إنه كانت في الجزيرة منسوجات محلية متنوعة

ومحدودة، ومنسوجات تصدّر فائض إنتاجها، إذ يشتد الطلب عليها لتميّزها بمادة صنعها وتقنيتها.

كان الإسلام حدثاً فاصلاً في تاريخ العرب مؤثراً في مختلف جوانب حياتهم، وقد امتد أثره إلى الملبوسات، فقد كوّن العربِ بفضل الإسلام دولة واسعة شملت كافة الأقاليم التي كانت تابعة للساسانيين ومعظم الأقاليم التي كانت من قبل تابعة للروم، فأصبحت كافة هذه الأقاليم تجمعها دولة واحدة، تعلوها كلمة الله ويرأسها خليفة واحد يسير بهدى القرآن والإسلام، وحوله مستشارون ومن يعينه في السير على ذلك المسلك. وقد حلّ بين أقاليم هذه الدولة السلم العام، وأزيلت الحواجز التي كانت من قبل تعرقل التجارة، وأبيحت حرية التنقل والعمل والكسب، وانتشر المقاتلة العرب بأعدادهم الكبيرة، وكثرت حاجاتهم إلى الملبوسات الشعبية البسيطة؛ فكان لهم فيها ذوق خاص صارت له السيادة في الدولة الجديدة. ولكنه تطور بمر الزمن فظهر كثير من الأغنياء الذين عنوا باختيار الألبسة المترفة، واقتبس بعضهم ما كان سائداً من أزياء. وكان أثر هذا التطور بارزاً في الأمصار الرئيسة الكبرى، وهي والكوفة والبصرة، والفسطاط، ثم انتقل تأثير ذلك إلى المدينة، وإلى الحواضر الكبرى فيما بعد، حيث أصبحت المراكز الرئيسة لاستهلاك السلع والمتاجرة بها.

أدت الفتوح الإسلامية إلى زيادة موارد جماهير العرب وخاصتهم، وإلى رقي مستوى المعيشة وازدياد الاهتمام في اقتناء الألبسة وخاصة في الأمصار الإسلامية، وربما في المراكز القريبة منها. وقد تجلّى هذا البذخ في كمية وأنواع الملبوسات التي استعملها مختلف طبقات الناس.

وفي بداية التأريخ للإسلام، يقف الرسول الأعظم، وقد اهتم المسلمون بتدوين أعماله وأخباره ومختلف جوانب حياته، وكان مما بحثوه الألبسة التي كان يستعملها هو وصحبه. وقد خص المحدّثون وكتّاب السيرة ألبسته بفصول خاصة، ويبدو مما كتبوه أنه كان يهتم بنظافة ثيابه وبساطتها دون الترف. فيروي البخاري «أن الرسول (ص) كان يصلي ملتحفاً في ثوب واحد»[1]. ويروي

(١) البخاري: لباس ٩.

النسائي عن عمر بن أبي سلمة أنه رأى رسول الله (ص) يصلّي في ثوب واحد في بيت أم سلمة واضعاً طرفيه على عاتقه[1]، كما يروي عبد الرحمن عمن أخبره أنه «رأى النبي (ص) صلى في ثوب واحد متوشحاً به»[2].

غير أن تطور مستوى المعيشة بعد زمن الرسول (ص) أدى إلى اهتمام الناس بالثياب، حتى أن مروان بن أبان بن عثمان طلع مرة وعليه سبعة قمص وكأنها درج، بعضها أقصر من بعض، ورداء عدني بثمن ألفي درهم[3].

ويبدو أن الإكثار من الألبسة لم يقتصر على المترفين، بل عم الناس جميعاً، حتى أن جابر بن عبد الله «أمَّهم في قميص ومعه فضل ثيابه به يعرّفنا سنّة النبي»، و«أنه أمّهم في قميص ليس عليه أزار ولا رداء ليعلمنا أنه لا بأس بالصلاة في ثوب واحد»[4]. ويروي محمد بن المنكدر: «صلى جابر في إزار قد عقده من قبل قفاه، وثيابه موضوعة على المشجب، فقال له قائل تصلّي في إزار واحد، فقال إنما صنعت هذا ليراني أحمق مثلك، وأينا كان له ثوبان على عهد رسول الله (ص)»[5]. ويروى الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة «أن سائلاً سأل رسول الله (ص) في الثوب الواحد فقال : أو كان لكم ثوبان»[6]. ويروي أحمد بن حنبل بعدّة أسانيد: «قال أبيّ بن كعب الصلاة في الثوب الواحد سنّة كنا نفعله مع رسول الله (ص) ولا يعاب علينا، فقال ابن مسعود إنما كان ذلك إذا كان في الثياب قلة، فأما إذا وسّع الله فالصلاة في الثوبين أزكى»[7].

كانت ألبسة الناس تختلف تبعاً لمكانتهم في المجتمع، وقد وضّح الجاحظ ذلك فقال إنه في أزمنة قبل الإسلام «كان الكاهن لا يلبس المصبغ، والعراف

(1) النسائي ١/١٢٤، وانظر أيضاً ابن حنبل ٣/١٠، ١٥، ٤/٢٦.
(2) عن صلاة الرسول (ص) في ثوب واحد، انظر: ابن حنبل ٣/١٠، أبو داود صلاة ٧٧.
(3) الأغاني ١٧/٨٩.
(4) مسانيد أبي حنيفة ١/٣٤٩.
(5) البخاري : كتاب الصلاة ٣.
(6) البخاري: كتاب الجزية ٩.
(7) ابن حنبل ٥/١٤١.

لا يدع تذييل قميصه أو سحب رداءه»، والحكم لا يفارق الوبر، وكان لحرائر النساء زي، ولكل معلوم زي، ولذوات الرايات زي وللأماء زي»[1].

ويذكر كذلك «وكانت العرب تلهج بذكر النعال، والفرس تلهج بذكر الخفاف». وفي الحديث المأثور أن «أصحاب رسول الله (ص) كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصفر ويقولون هو من زينة نساء آل فرعون»[2]، وذكر اختلاف الألبسة في العهود العباسية الأولى فقال «فقد يلبس الناس الخفاف والقلانس في الصيف كما يلبسونها في الشتاء إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الأمراء وعلى السادة العظماء، لأن ذلك أشبه بالاحتفال وبالتعظيم والإجلال وأبعد من البذل والاسترسال، وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم في منازلهم ومواضع انقباضهم».

وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب، فمنهم من يلبس المبطنة ومنهم من يلبس الدراعة، ومنهم من يلبس القباء، ومنهم من يلبس البازيكند ويعلق الخنجر ويأخذ الجرز ويتخذ الجمة.

وزي مجلس الخلفاء في الشتاء والصيف فرش الصوف، وترى أن ذلك أكمل وأجزل وأفخم، وكانت الشعراء تلبس الوشي والمقطعات والأردية السود وكل ثوب مشهر.

واتخذ القضاة القلانس العظام في حمارة القيظ، واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس، فإذا كانت القلانس مكشوفة زادوا في طولها وحدّة رؤوسها حتى يكون فوق قلانس جميع الأمة[3].

ذكر ابن منظور صنفين من الألبسة، ما يقطع وما لا يقطع، والمقطع من الثوب كل ما يفصل ويخاط من قميص وجباب وسراويلات وغيرها، ومالا يقطع منها كالأردية والأزر والمطارف والرياط التي لم تقطع، وإنما يتلفع بها

(١) البيان والتبيين ٣/٩٦ ـ ٩٧.
(٢) المصدر نفسه ٣/١٠٦.
(٣) المصدر نفسه ٣/١١٤ ـ ١١٧.

مرة ويتلفع بها أخرى، والمقطّعات هي الثياب القصار، لا الجبة ولا القميص والشملة، ما يدار على الجسد حتى لا يخرج منها يده[1].

وذكر مالك ما يدل على أن الخياطة نوعان، رومية وعربية، وأن أجرة الخياطة الرومية ضعف أجرة الخياطة العربية، وقدر أجرة الرومية درهم، والعربية نصف درهم[2].

الدولة والملبوسات

الأرجح أن الدولة كانت تجبي ضرائبها من المنسوجات في المناطق التي تقل فيها النقود، فقد فرض الرسول (ص) على أهل هجر أن يؤدوا ما عليهم منسوجات المعافري[3] على الذميين أهل اليمن: «على كل حالم وحالمة، ذكر وأنثى، حر وعبد، ديناران أو قيمته من المعافري ثياباً»[4]. وفرض خالد بن الوليد على أهل الأنبار أن يقدموا ألف عباءة قطوانية[5]. ويروي محمد بن سلام: جاءت عمر حلل من اليمن فأعطى أصحاب رسول الله (ص) وأبو أيوب الأنصاري غائب، فرفع لنفسه حلة[6] وأخذ لنفسه حلة، وكان عثمان يوزع الكسوة على الناس[7].

ووردت إشارات إلى توزيع الدولة الثياب على الناس من زمن العباسيين، فيروي مصعب الزبيري أن عبد الله بن مصعب بن ثابت في عهد خلافة المهدي جلس للناس يعطيهم الأموال، يعطي الرجل من قريش ثلاثمائة دينار، ويكسوه سبعة أثواب، وأن الرشيد أخرج لأهل المدينة على يدي أبي بكر بن عبد الله

(١) لسان العرب ١٠/ ١٥٥.
(٢) المدونة ٣/ ٣٩٠.
(٣) الخراج لأبي يوسف ١٣.
(٤) انظر الوثائق السياسية لمحمد حميد الله، الوثيقة ١٠٩، ١١٠، وعن ثياب المعافر، ابن حنبل ٥/ ٢٣٠، ٢٤٧، فصول الزكاة في أبي داوود، الخراج لأبي يوسف ٧٥،٧٦، الأموال لابن سلام ٥٢.
(٥) فتوح البلدان ٢٤٥.
(٦) تهذيب ابن عساكر ٥/ ٤٠.
(٧) ابن سعد ٣ ـ ١/ ١٤، أنساب الأشراف ٥/ ١٠٤.

مصعب نصف عطاء وكسوة وقماً من سنة ١٨١، وأخرج على يده ثلاث أعطية وكسوة فاخرة في سنة ١٨٦، وأخرج على يديه في سنة ١٨٨ نصف عطاء وكسوة وقماً[(١)].

أما في الشام فيذكر عوانة أن الضحاك بن قيس رئيس القيسية في يوم مرج راهط قتل «وقتل معه من الأشراف ثمانون كلهم كان يأخذ القطيفة، كان لكل رجل منهم في العطاء ألفا قطيفة يعطونها من عطائهم»[(٢)]. والراجح أن أخذ القطيفة لم يقتصر على أشراف القيسية، بل كان عاماً على الأشراف من جميع القبائل. ويدل نص البلاذري على أن توزيع القطيفة كان معمولاً به في أواخر خلافة السفيانيين، ومن المحتمل أن بداية تطبيقه ترجع إلى عهد الخلافة الراشدة، وأن العمل بها استمر في خلافة المروانيين أيضاً، ومن الطبيعي أن هذه القطيفة كانت توزع بصورة منتظمة وثابتة، وهي غير الهدايا من الألبسة التي يتردد في المصادر أنه قدّمها الخلفاء الأمويون، وخاصة المتأخرين منهم، وكذلك الخلفاء العباسيون.

لا بد أن كثيراً من المنسوجات التي يعطيها الخلفاء أو يهدونها، كانت تؤخذ من الضرائب العينية على المنسوجات في بلاد الشام. غير أنه لا يمكن الجزم بأنها مما كان يصنع في دور الطراز، إذ إن الطراز وإن كان مذكوراً في بيت لحسان بن ثابت في صدر الإسلام، [(٣)] فليس ما يؤكد استخدامه قبل هشام بن عبد الملك الذي تنص إحدى الروايات أنه هو أول من اتخذ الطراز[(٤)].

إن توزيع الدولة الملابس والمنسوجات لا يعني أنها عملت على ترويج استعمال ألوان أو منسوجات معينة، فلا توجد في المصادر إشارة الى أنها كانت تفرض ألواناً معينة على المنسوجات التي توزعها، أو أنها فرضت زياً

---

(١) نسب قريش، لمصعب الزبيري ٢٤٢.
(٢) أنساب الأشراف ٥/١٣٦، الطبري ٢/٤٧٧.
(٣) من هذه الأحاديث أنظر فنسنك: المعجم المفهرس مادة (علم).
(٤) الذخائر والتحف ٢١١، وانظر عن الطراز ونشأته، دائرة المعارف الإسلامية مادة (طراز)، وكذلك ما كتبه سارجنت في مقاله عن المنسوجات الإسلامية المنشورة في مجلة Ars Islmica.

رسمياً ذا ألوان مميزة حتى على مستخدميها من الجند والشرطة ورجال البلاط، إلا ما ذكره القاضي الرشيدي: «كان هشام وبنو مروان يكسون الناس الخز إلا الأصفر والأحمر، ويكسونهم ما سوى ذلك من الألوان، ويدخرون الأحمر والأصفر لأنفسهم»[1]. إن فرض الدولة لوناً رسمياً يستعمله المتصلون بها لم يبدأ إلا في العصر العباسي حيث اتخذ السواد شعاراً رسمياً، كما تميّز بعض الجماعات، كالكتاب والفقهاء والتجار والجند والدهاقين بألبسة خاصة ذات ألوان خاصة.

لم يرد في الأخبار تحريم استعمال لون معيّن إلا في الأحرام وعند الحداد، وفيما عدا ذلك أطلقت الحرية في اختيار الألوان. ويروي ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز كتب أن لا تلبس الأمة خماراً، ولا يتشبهن بالحرائر[2].

تنوّع الملبوسات

كان أهل الجزيرة العرب عند ظهور الإسلام متنوعين في أذواقهم ومستوياتهم الحضارية. وقد أشارت المصادر إلى بعض التباين بين لباس أهل الريف والقرى والمدن، ولباس الأعراب من البدو، فقد كان من لباس الأعراب البردة[3]، والبجاد[4]. ويذكر ابن الحائك الهمداني عن صنعاء: «أما أهل بواديهم فأهل شعور من الحمام، ومنهم منحلة وأصحاب لبس الحمرة ومن بعد منها فأصحاب خضاب من ورس وزعفران»[5]. والراجح أن كلام الهمداني، وهو من أهل القرن الرابع الهجري، ينطبق على العهود الإسلامية الأولى فيها، وأن تمايز أذواق أهل المدن عن أهل البدو لم يقتصر على صنعاء وحدها، بل كان قائماً في أماكن أخرى.

---

(١) الذخائر والتحف ٢١١.
(٢) ابن سعد ٥/ ٢٨١.
(٣) لسان العرب ٤/ ٥٣، الأغاني ٢/ ١٣.
(٤) لسان العرب ٤/ ٤٣.
(٥) الإكليل ١٠/ ٨.

توسعت الدولة الإسلامية بسرعة هائلة، فبعد أن كانت عند وفاة الرسول (ص) تشمل كل الجزيرة العربية تقريباً، امتدت خلال أقل من ربع قرن على وفاته وشملت كل البلاد الواقعة بين نهر جيحون في المشرق وتونس في المغرب، ثم توسعت في عهد الخلافة الأموية في أواسط آسيا والسند وأرمينية والمغرب والأندلس. وكان يقطن هذه الرقعة الشاسعة شعوب ومجتمعات متعددة، لها تقاليد ونظم اجتماعية واتجاهات فنية وأذواق متنوعة، كما كانت فيها قبل الإسلام دول ذات نظم وتقاليد يتصل بعضها بألوان الألبسة السائدة عندهم. ومن الطبيعي أن تلك المجتمعات حدثت فيها تبدلات سياسية ومادية وحضارية بعد الفتح الإسلامي بسبب انقراض ملوكها وانهيار الطبقة الحاكمة التي كانت فيها، ونشاط الحياة الاقتصادية، وتزايد مكانة الطبقة المتوسطة من أهل المدن، وتكاثر عدد المهاجرين الأعاجم إلى الأمصار التي أنشأها العرب، وما كان لهم من آثار تدريجية في الألبسة والأذواق والألوان زاد أثرها بعد مجيء الدولة العباسية التي وإن ظلت تساند العرب، إلا أنها أتاحت حرية أوسع للأعاجم وخاصة في المدن للتعبير عن أذواقهم ومثلهم الحضارية، بل اقتبست بعض مظاهر حضارتهم في الألبسة والألوان. والواقع أن بعض العرب الذين نزلوا المدن الأعجمية أخذوا يقلدون الأعاجم في ألبستهم وأذواقهم، فيقول البلاذري «إن عباد بن زياد غزا قندهار ورأى قلانس أهلها طوالاً فعمل عليها فسميت العبادية»[1]. ويقول الجاحظ «وكذلك ترى أبناء العرب والأعراب الذين نزلوا خراسان لا ترى بينهم وبين أهل فرغانة فرقاً في السبال الصهب والجلود القشرة والأقفاء العظيمة والأكسية الفرغانية، وكذلك جميع تلك الأرباع لا تفصل بين أبناء النازلة وبين أبناء النابتة»[2]. والراجح أن ما قاله الجاحظ عن ما وراء النهر ينطبق على أنحاء أخرى من الدولة الإسلامية، كما أن ازدياد هذا الاقتباس هو أحد المبررات في وصف الجاحظ أن دولة بني مروان عربية ودولة بني العباس إسلامية. ويقول مالك أن الخياطة من عمل الموالي[3].

(١) فتوح البلدان ٤٣٤.

(٢) مناقب الأتراك. ضمن مجموعة رسائل الجاحظ ١/ ٦٣ ـ ٦٤.

(٣) المدونة ٤/ ٩٥.

تمايز أهل الحرف، بما في ذلك الكتاب والفقهاء والتجار والدهاقين بألبسة ذات ألوان معينة، كالذي حدث في العصر العباسي. قدّمت المصادر عن ملابس الرجال وألوانها معلومات أوفر مما قدّمته عن ملابس النساء وألوانها. غير أن هذه المعلومات تكفي للاستنتاج بعدم وجود تباين كبير بين أذواق النساء والرجال في اختيار الألوان وتفضيلها، رغم أن كتب الفقه والأوساط الأشد تمسّكاً بالشريعة تؤكد قيوداً أشد على الرجال، فتذكر كراهية استعمال الرجال لبعض الألوان والألبسة التي لا يرون كراهيتها للنساء.

لا ريب في أن أهل الأمصار العربية، وهم الذين وصلتنا عنهم أكثر الأخبار، لم يكونوا في حالة واحدة من الذوق أو مستوى المعيشة أو الثروة، فقد كان فيهم الفقراء والزهاد ومحبو البساطة في المظاهر، كما كان فيهم الأغنياء والمترفون والمعنيون باختيار ملابسهم وألوانها. إلا أن المصادر الأدبية التي عليها جل اعتمادي، اهتمت بذكر العلماء والمتصلين بالخليفة وبعض العلية ودونت معلومات عن ملابسهم وألوانها، فمعظم المعلومات التي أذكرها في هذا البحث تتعلق بألوان ملابس طبقة معيّنة كانت لها مكانة كبيرة في المجتمع، وكانت أنموذجاً يقدّره الآخرون ويعملون على الاحتذاء به، فملابسهم وألوانها تمثّل «المثل العليا» التي يعمل الكثيرون على تقليدها ونشرها بين الناس، فهي منتشرة بين أفراد وأوساط أكثر بكثير من القلّة التي صرحت المصادر بأسمائها في كتب الفقه، فاهتمت بما يسود عند سواد الناس وعمومهم. فالألوان التي تشير إلى استعمالها كانت هي السائدة بين الغالبية العظمى من الناس في بيئات الفقهاء الذين ألّفوا تلك الكتب على الأقل.

إن أكثر المعلومات التي تناولت ألبسة القرن الأول وأوائل القرن الثاني، كانت عن ملابس أهل الحجاز. أما معلومات القرن الثاني والثالث، فأكثرها عن بغداد، ومعلومات القرن الرابع عن الفسطاط ومصر. ومرجع ذلك تنوّع مراكز الحضارة وتطورها.

الفصل الثاني

مصادر دراسة المنسوجات والألبسة

لم تصلنا من القرون الأولى مخلّفات من الألبسة، كما أن الصور التي عرضتها الكتب المعنية بالفنون قليلة جداً وغير شاملة أو دقيقة. ويرجع أغلبها إلى القرون المتأخرة، وليس إلى الحقبة التي تركزت عليها هذه الدراسات، وهي لا تتجاوز القرن الرابع الهجري. ولم يكتب الحرفيون عن فنون صناعاتهم وموادها، لذلك فإن جل اعتمادنا، في دراسة الألبسة، على ما أورده أهل اللغة والحديث والفقه والأدب والتاريخ وجلّهم من العلماء وليسوا من الحرفيين، فمعلوماتهم تعبّر عن الظواهر الخارجية العامة، وفيها تفاصيل عن تلك الجوانب دون غيرها.

كتب اللغة

لأهل اللغة مكانة متميزة لوفرة المادة عن الألبسة ووصف بعضها من حيث مادتها وألوانها، وأكثرهم دوّن معلوماته في القرنين الثاني والثالث. وقد صنّفوا معلوماتهم بطريقتين متميزتين: الأولى تبعاً لمواضيعها، بما في ذلك الملبوسات والألوان وموادها وإشارات إلى بعض طرق صنعها. وأبرز من اتبع هذا الأسلوب الثعالبي في (فقه اللغة)، وابن سيده في المخصص الذي خص الملبوسات، وما يتعلق بها، بفصول غنية استوعب فيها أكثر ما رواه من سبقه من العلماء، وصار معتمد أصحاب المعاجم الذين رتبوا مادتهم تبعاً لحروف الهجاء وأبرزهم ابن منظور في كتابه (لسان العرب) والصاغاني في كتابه

(العباب) والزبيدي في كتابه (تاج العروس)، وكلها كتب ضخمة اعتمدت في معلوماتها عن النسيج والملابس على علماء القرنين الثاني والثالث، دون إضافة تستحق الذكر.

كتب الفقه

وفي كتب الفقه الأولى ـ وأبرز ما وصلنا منها (الموطأ) و (المدونة) لمالك ابن أنس و (الجامع الكبير) و (الحجج) و (الأصل) لمحمد بن محسن الشيباني، و (الأم) للشافعي و(الكافي) للكليني ـ مادة غنية عن أنواع المنسوجات والملبوسات والألوان، لا سيما ما كانت تستعمله العامة من العرب في الأمصار الإسلامية الأولى، وبخاصة في المدينة والكوفة. وهي من حيث العموم تعنى بذكر المباح والسائد من الملبوسات وما يتصل بها من ألوان وصباغة وحياكة وخياطة، وأكثر اهتمامها بعرض وجهة نظر الأوساط المتدينة والألبسة العامة والجمهور دون العلية، وبالسائد دون الخاص المحدود الاستعمال. وأكثر هؤلاء (الفقهاء) عنوا بذكر ما كان مستعملاً في البلد الذي عاشوا فيه من منتوج محلي أو مستورد. والمعلومات التي قدموها كانت أساس معلومات الفقهاء المتأخرين الذين نقلوها دون إضافات كبيرة، ولم تحظ المعلومات الغنية التي قدّمها هؤلاء الفقهاء الأوّلون بالاهتمام الجديرة به.

كتب الحديث والتراجم

ولعلماء الحديث إسهام جدير بالتنويه في ما قدّموه من معلومات تتصل خصوصاً بألبسة الرسول (ص) والصحابة، بما في ذلك مادة المنسوجات وألوانها والملبوسات وهي ما كان مستعملاً في زمنهم وفي الأجيال التالية. إلا أن مادتهم تقتصر على ذكر أسماء الملبوسات دون وصف مفصّل لأي منها، مثل ألوانها وموادها؛ فهي تقدم مادة أولية فحسب. ونشير إلى موضوع صحة الأخبار عن الرسول (ص) التي أثارت نقاشاً نقتصر منه على القول إن الأحاديث الموضوعة لاتخلو من فائدة في بحثنا، لأن ذكرها يدل على وجودها، حتى وإن لم تثبت صحة استعمال الرسول (ص) لها.

وفي كتب التراجم مادة قيّمة عن ألبسة الصحابة والتابعين، ممّن عاشوا في

القرن الأول وأوائل القرن الثاني. ولابن سعد مكانة متميزة في هذا الميدان؛ ذلك أنه في كتابه الضخم (الطبقات الكبير) ذكر ملبوسات كثير ممن ترجم لهم. ولمعلوماته قيمة متميزة لكثرتها وتنوعها ، ولكنها متفرّقة وتقتصر على ذكر اسم الملبوس ومادته ولونه دون ذكر تفاصيل أخرى. وجلّ من ترجم لهم هم من العلماء والعامة، وقليل من العلية والخاصة، وكان هذا الكتاب معتمد من تلاه.

اعتمد ابن سعد على رواة موثوقين، ولكنه لم يخل من روايات متناقضة تتجلّى فيما رآه عن كفن الرسول (ص)، وعن الموقف من لبس المحرم. والروايات، التي أوردها في هذه المجال، لم يُبدِ رأياً في مدى مطابقتها للشريعة كما صاغها المتأخرون.

كتب التاريخ والآداب

في كتب التاريخ والآداب، وردت عن الملابس والمنسوجات معلومات متفرقة، ولكنها مهمة، وبخاصة ما يتصل منها بألبسة العلية والشعراء. ومن أهم هذه الكتب (تاريخ الطبري)، و(عيون الأخبار) لابن قتيبة، و(الأغاني) لأبي الفرج، و(التنبيه والإشراف) و(مروج الذهب) للمسعودي، و(الذخائر والتحف) للرشيدي. ويتميز كتاب (الموشى) للوشاء، و(حكاية أبي القاسم) لأبي القاسم، و(لطائف المعارف) للثعالبي، بأن كلاً منها يتضمن مادة غنية عن المنسوجات وألبسة مختلف الطبقات ومراكز النسيج.

وفي كتب الحسبة، وأبرزها (معالم القربى) لابن الأخوة، معلومات قيمة عن المنسوجات وصناعتها، إلا أنها متأخرة عن الحقبة التي حددناها لكتابنا. وفي كتب البلدانيين وأخصها (البلدان) لليعقوبي و(المسالك) للاصطخري و(صورة الأرض) لابن حوقل، و(أحسن التقاسيم) للمقدسي، معلومات قيّمة عن منتوجات الأقاليم والمدن الإسلامية. كما ترد معلومات قيّمة في عدد من الكتب التي تناولت تاريخ مصر، وبخاصة (اتعاظ الحنفا) و (السلوك) للمقريزي، و(الفضائل الباهرة) لابن ظهيرة، وكلّهم فصّل في ذكر ملابس العلية في زمن الفاطميين، معتمدين بخاصة على مؤلفات ابن زولاق التي لم تطبع.

حدود المادة

قدّمت المصادر الأولى معلومات غنية متفرقة، ولكنها لا تكفي لتكوّن صورة كاملة لأحوال وتطور المنسوجات وما يتصل بها. ومرجع بعض ذلك أن جل المعلومات جاءت من رواة كانوا مقيمين في القرن الأول وأوائل القرن الثاني في مكة والمدينة، ثم تلاهم من كان يقيم في بغداد والبصرة والكوفة، ثم كثر من كان يقيم منهم بعد ذلك في مصر، ولم يكونوا يمارسون صناعة النسيج ومتعلقاتها، ولم يعرف عن أحد منهم زيارة أي من هذه المراكز، فمعلوماتهم مستمدة من مراكز لا تنتج المنسوجات وإنما تستوردها، ولا تصنع المنسوجات وإنما تعرضها للبيع والاستعمال، فهي معلومات أوثق صلة بالتجارة منها بالصناعة، وهي لا تذكر كثيراً من المنسوجات التي كانت تنتج وتستهلك محلياً ولا تصدَّر.

ثم إن معلوماتها عن كثير من المنسوجات تتعلّق بالثوب واستعماله وسعره، دون ذكر المادة التي صنع منها والمهارة الصناعية التي بذلت فيها، وهل هي من الكتان أم من الحرير أو القطن أم من كليهما، وما علّة الارتفاع الاستثنائي لأسعار بعضها.

والمصادر القديمة تتبع أسساً متباينة في تسمية المنسوجات، فتُسمّي بعضها بأسماء ذات صلة باللباس، وغير محددة المعاني كالحبرة والمطرف والرداء. وتسمّي منسوجات أخرى بأسماء أشخاص كالسعيدية، أو بأسماء أقاليم كالعمانية والقطرية، أو بأسماء بلد أو مدينة، كالجندية والعدنية والصنعانية. وأغلب هذا الصنف الأخير مرتبط بأماكن في اليمن وفي جزيرة العرب ثم في خراسان. ولا بد أن هذ التسمية ترجع إلى أن لكل منسوج منها سمة مميزة، وأن صناعته ذات صلة بالمكان المسمّاة به، فهي متركزة فيه عند ظهور الإسلام أو قبله، وإن كانت لا تحدّد أو تلمح إلى تاريخ نشأته أو سماته المميزة في المادة والمهارة والمظهر، كما أنها لا تبيّن العلاقة بين المنسوج المسمّى باسم إقليم كاليماني والخراساني، وبين المسمّى في مكان محدود من ذلك الأقليم كالجندي والصبري في اليمن، والمروي والنيسابوري في خراسان.

أدى قيام الدولة الإسلامية وتوسّعها إلى تبدلات في الأحوال المؤثرة في التجارة والاستهلاك، وبخاصة ما يتصل بالمنسوجات والألبسة ومراكز الاستهلاك. فقد تقلّصت الطبقة العليا التي كانت مهيمنة إبان حكم الساساني، وقل الإقبال على المنسوجات المفضلة عندها، وحل محلها العرب الذين كانوا يقيمون في الأمصار، وتوزّع عليهم الدولة العطاء والرزق مما قوّى قدرتهم الشرائية للسلع المفضلة عندهم. ولكنهم كانوا أميل إلى متابعة استعمال منسوجات بلاد الجزيرة العربية التي حافظت على رواجها أمداً، وتناقص الطلب على المنسوجات المترفة التي كانت تقبل عليها الطبقة الساسانية العليا المتهاوية. وقد مرت سنوات قبل أن تقوى العلية العربية التي تستعمل الملبوسات المترفة.

ثم إن الدولة الإسلامية الجديدة امتدت على أراضٍ واسعة وضمت أقاليم كثيرة وأباحت حرية العمل والتنقل، فازدهرت بين أرجائها تجارة السلع التي كان يحتاج إليها المجتمع. ولابد أن هذه التطور امتد إلى انتقال عدد من الصنّاع بخبراتهم إلى المراكز الكبرى للاستهلاك، ليقيموا مراكز جديدة لصناعة السلع التي عرفوا بها. فلم يعد صنع المعافري مثلاً مقصوراً على اليمن، وإنما صار أيضاً يصنع في أماكن أخرى. ولعل بعض ما اشتهرت بصناعته الكوفة في القرن الثالث راجع إلى مهارات صنّاع يمانيين انتقلوا إليها، وبذلك لم تعد تسمية منسوج معيّن دليلاً جازماً على المكان الذي صنعت فيه.

تتوفر عن المنسوجات في الحجاز إبان القرن الأول معلومات تفوق ما يتوفر عن الأقاليم الأخرى. ومرجع بعض ذلك أن المدينة ومكة كانتا مقام الرسول (ص) والصحابة وأكثر التابعين، وكلهم لقيت حياتهم اهتماماً خاصاً من الرواة والفقهاء، إضافة إلى كثرة عدد المعنيين بحياة الترف من أهلها. وكثرة الأخبار عن الحجاز لا تعني قلة اهتمام أهل الأمصار الأخرى بالملبوسات وما يتصل بها.

وللمنسوجات والملبوسات علاقة وثقى بتقنيات الصناعة وموادها وخصائصها ومدى استعمالها وأسعارها وعلاقتها بالحياة الاقتصادية والاجتماعية، مما لم

تقدم عنه المصادر الأولى غير أخبار متفرقة، تتطلّب الجمع والتنسيق والاستنباط لاستكمال صورة واضحة عن الموضوع، الذي يتطلّب من الباحث فيه جهوداً لتقدير أهمية الجزئيات وربطها بالهيكل العام.

الدراسات الحديثة

حظيت المنسوجات والألبسة في الأزمنة الحديثة باهتمام، إذ نشرت عنها كتب ومقالات ومن أقدمها كتاب (المعجم المفصّل بأسماء الملابس العربية) الذي نشره رينهارت دوزي سنة ١٨٤٣، وترجمه الدكتور أكرم فاضل إلى العربية سنة ١٩٧١. وقد وصف فيه عدداً كبيراً من الألبسة التي استعملت في البلاد الإسلامية مرتبة على الحروف الهجائية. واهتم بصورة خاصة بالأقسام الغربية من العالم الإسلامي، وأكثر اعتماده كان على مخطوط كتاب (السلوك) للمقريزي، وعلى كتاب (ألف ليلة وليلة)، وكذلك على كتب الرحالة الغربيين. غير أنه بالنظر لقدم تأليف الكتاب، فإن دوزي فاتته معلومات كتب كثيرة طبعت فيما بعد. كما أنه لم يهتم كثيراً بالمعلومات المتعلقة بملابس أهل العهود الأولى.

ونشر الأستاذ ماير سنة ١٩٥٢ كتابه عن الملابس المملوكية، وترجمه إلى العربية صالح الشيبي سنة ١٩٧٢. وفي هذا الكتاب مادة غنية منظمة تبعاً للابسيها من الخلفاء والسلاطين وكبار الموظفين والعلماء والعامة، مع الإشارة إلى مادتها وألوانها، غير أن بحثه مقتصر على الفترة المملوكية المتأخرة عن الفترة التي ندرسها.

ونشر الأستاذ سارجنت في مجلة Ars Islamica مقالات عنوانها (مواد لدراسة المنسوجات الإسلامية) في العصور الوسطى، مصنّفة، تبعاً للمواقع الجغرافية لأماكن إنتاجها. وقد أورد في دراسته مادة واسعة مستوعبة، غير أنه خصص فصلاً قصيراً عن الصبّاغين، قدّم فيه نصوصاً عن اليهود منهم، وعمّا ذكرته بعض كتب الحسبة عن الصباغة. وأكثر مادته عن المنسوجات العباسية، أما ألوانها فلم يهتم ببحثها.

وفي كتاب Survey of Persian Art الذي أشرف بوب على إعداده ونشره، فصول قيّمة عن المنسوجات والحياكة، أكثرها عمّا كان في الهضبة الإيرانية في الأزمنة التالية للقرون الأولى.

ونشر الأستاذ لومبارد سنة ١٩٧٨ كتاباً قيّماً بالفرنسية عن (المنسوجات بين القرنين السابع والعاشر)، فيه معلومات غنية مستمدة من قائمة واسعة من المصادر.

ونشر صلاح العبيدي كتاباً عن الملابس العربية، في الشعر الجاهلي. وفي دائرة المعارف الإسلامية، بطبعتها الجديدة، مقالات قيّمة عن بعض المنسوجات وموادها من سجاد وحرير. ونشر كل من جاستون فيت، ورِيث وزيكس، أبحاثاً عن جوانب من الفنون الفارسية.

ونشرت صبيحة رشيد رشدي دراسة معزّزة بالرسوم عن الألبسة العربية الأولى.

إن الدراسة الحالية أفادت ممّا نشر في الموضوع، وأضافت معلومات وإشارات فاتت الباحثين، ووضعت نطاقاً، أشمل ممّا سبق نشره، ولا نزعم أنه استوعب كل المادة المتناثرة: وإنما هي جهد المقلّ، لا يدّعي فيه العصمة أو الكمال. والكمال لله وحده.

الفصل الثالث

مواد النسيج

القطن والبز:

القطن نبات قديم نقله الأشوريون من السند، وزرعوه في بلادهم شمال العراق، ثم انتشرت زراعته في أرجاء متعددة في بلاد الشرق الأوسط. ويذكر لومبارد أن القطن كان في القرن الأول الميلادي يأتي من البحرين والخليج العربي وجنوب الجزيرة. ويقول إن هذه المناطق ظلت تنتج المنسوجات القطنية بعد الإسلام وتصدّرها إلى مصر وأثيوبيا، وإن مناسج القطن في العالم الإسلامي تعتمد على ما تستورده من القطن من جنوب الهند ومن السند[1]. غير أنه توجد إشارات إلى زراعة القطن في العراق وفي جزيرة العرب. وذكر أبو حنيفة الدينوري، عن بعض أعراب حلب في شمال بادية الشام، أن القطن يعظم عندهم شجرة حتى يكون مثل شجرة المشمش ويبقى عشرين سنة[2]. ويذكر الماوردي أن القطن يسمّى عند أهل الحجاز الكرسف، وهو بالبصرة وأطراف اليمن والحجاز شجر يلقط عاماً بعد عام، ويكون في سائر البلاد زرعاً يحصد في كل عام[3]. ويذكر أيضاً أن الكرسف قطن أصبهاني ونيسابوري أو بصري

---

(١) (المنسوجات في العالم الإسلامي لقرنين: السابع والحادي عشر)، بالفرنسية. وانظر ابن سيده ٤/ ٧٣، لسان العرب ٨/ ٧٨.

(٢) ابن العوام ٢/ ١١٣، لسان العرب ١٦/ ٢٢٣.

(٣) الحاوي للماوردي ٣/ ٧٤ ب (مخطوط أحمد الثالث).

أبيض وأصفر[1]. نقل ابن الفقيه عن رجل من مجهّزي القطن كان بالشام ثم وقع إلى كورة مرو من بلاد خراسان، وهو لا يظن أن القطن يكون بغير بلاد الشام، فاكتحل من كثرته بمرو بما فاض عن عقله واتّهم معه فهمه. ثم سأل عن البلدان التي يحتمل تجهيز ذلك إليها فقيل له بغداد ، فأقبل يريد العراق لذلك. فلما أشرف، من بلاد الري ونواحيها، على ما لم تر عينه مثله من الأقطان أيضاً وتجهيزها، فسأل فكانت القصة سواء، ثم أقبل لمّا التقى القوافل فأقبل عليه الأرض البيضاء[2]. ولابد أن القطن الذي شهده كان من منتوج البلاد التي مر بها.

غير أنه لم تُعرَف في الحجاز صناعة واسعة للقطن ونسيجه، وإنما كان أهل الحجاز يستوردون المنسوجات القطنية من اليمن أحياناً، وعلى الأكثر من العراق. فيروى أن يحيى بن سعيد قال «يقدم علينا البز من العراق، فيأتي صاحب المدينة بتسمية»[3]. وقال وضاح:

وتلبس من بز العراق مناصفاً وأبرد عصب من مهلهلة الجندِ[4].

وكانت مكة عند ظهور الإسلام تستورد البز من هجر[5]، وتصنع من القطن عدة أنواع من المنسوجات، تختلف في دقة نسيجها وخيوطها وتطريزها. فذكر مالك بن أنس أن ثياب القطن يسلف بعضها في بعض إلا الغلاظ، منها المروس والهروي والقوهي والعدني، فهذا لا بأس به أن يسلم[6] بعضه في بعض، فكان مالك لا يجير أن يسلم العدني في المروي[7]. وقال أيضاً «إن كان الذي عليك ثياباً قرقبية فلا بأس أن تبيعها قبل محل الأجل بثياب قطن

---

(1) الحاوي ٣/ ٢٠٤.
(2) البلدان لابن الفقيه ٧٥.
(3) المدونة ٩/ ٢٤.
(4) الأغاني ٦/ ٢٣٦.
(5) أبو داود، بيوع ٦.
(6) المدونة ٩/ ٢٣.
(7) المصدر نفسه ٩/ ٨٨.

مروية أو هروية»[1]، وذكر أيضاً من المنسوجات القطنية «الملاحف البصرية والرباط السابرية»[2].

وذكر الماوردي من منسوجات القطن الأصبهانية والنيسابورية والبصرية، وأن القطن أبيض أو أصفر، وذكر أيضاً من أنسجة القطن الهروية والمروية[3].

ذكرنا أن أكثر البلاد إنتاجاً للمنسوجات القطنية في العهود الإسلامية الزاهرة هي خراسان والعراق واليمن، وذكر المقدسي وابن حوقل أماكن أخرى تنتج البز والقطن في عدد من المراكز في المشرق، ومن هذه الأماكن تستر «معدن كل حاذق في عمل القطن»[4] و«من العسكر بزّ جيد له بقاء»[5]. ومن المحتمل أنها كانت تعتمد في صناعتها على ما تنتجه من القطن وليس على ما تستورده.

وكان «يعمل بالسيرجان من هذا البز شيء كثير»[6]، و«الديلم بزه معروف بمصر والعراق»[7]، و«طبرستان أكثر قطنهم يضاهي قطن صعده وصنعاء وفيه صفرة»[8]. وكانت قومس تنتج مناديل بيضاً من القطن[9]، وتنتج يزد وأبرقوه ثياب قطن[10]، كما تنتجه همدان وقم[11].

ومنسوجات القطن منوعة بمستواها، ومن أدناها الكرابيس، وهي ثياب من القطن بيضاء[12]. فيروي الأصبهاني أن سعيد بن العاص لما جاءه الحطيئة يمدحه قال لوكيله إذهب معه إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته لهُ، فجعل

---

(1) المدونة ١٠/ ٤٤.
(2) الحاوي ٣/ ١٢٠٤.
(3) المصدر نفسه ٣/ ٩٩.
(4) أحسن التقاسيم ٤٠٩.
(5) المصدر نفسه ٤١٦.
(6) المصدر نفسه ٤٧٠.
(7) المصدر نفسه ٣٥٣.
(8) ابن حوقل ٢/ ٣٨١.
(9) أحسن التقاسيم ٣٦٧.
(10) ابن حوقل ٢٦٤.
(11) أحسن التقاسيم٣٩٥.
(12) القاموس المحيط ٢/ ٢٤٥.

يعرض عليه الخز ورقيق الثياب فلا يربدها، ويؤمن إلى الكرابيس والأكسية الغلاظ فيشتريها[١]. وفي بعض الروايات أن الرسول (ص) كفّن في ثلاثة أثواب يمانية كرسف[٢]. وكان الخليفة علي بن أبي طالب (رض) مما يلبسه «قميص من هذه الكرابيس من غير غسيل»[٣]. ويروى أنه قال «البسوا الثياب من القطن فإنه لباس رسول الله (ص) ولباسنا»[٤].

ومما يتصل بالقطن البزّ والبزاز في عرف الناس، من يبيع ثياب القطن والكتان لا من يبيع الخز والحرير[٥]. وذكر ابن منظور أن البز متاع البيت من الثياب[٦]، ولكن المعروف أن أغلب ما يبيعه البزاز هو ثياب القطن حتى يكاد يكون البز مرادفاً للقطن.

ذكر مالك بن أنس بعض أحوال المعاملات في بيع البز في الحجاز، فقال: «الأمر المجتمع عليه عندنا في البز يشتريه الرجل ببلد ثم يقدم به بلداً آخر فيبيعه مرابحة، إنه لا يحسب فيه أجر السماسرة ولا أجر الطي ولا النفقة ولا كراء بيت، فأما كراء البز في حملانه فإنه يحسب في أصل الثمن ولا يحسب فيه ربح إلا أن يعلم البائع من يساومه بذلك كله، فإن ربحوه على ذلك كله بعد العلم به لا بأس به»[٧]. وقال: «الرجل يقدّم له أصناف من البز يحضره السوام، ويقرأ عليهم برنامجه، فيقول في عدل كذا وكذا ملحفة بصرية وكذا وكذا رائطة سابرية وذرعها كذا وكذا ويسمي أصناف ذلك البز بأجناسه وذرعه وصفته، وقال إن البيع جائز إذا وافق البرنامج»[٨]. وذكر أن العدل الزطي «في العدل خمسون ثوباً بمائة دينار»[٩]. كما ذكر «ثياب القطن لا يسلف بعضها في بعض إلا

(١) الأغاني ٢/ ١٦٨.
(٢) لسان العرب ١٢/ ٢٠٦.
(٣) ابن سعد ٣-١/ ١٧، لسان العرب ١٢/ ٢٠٦.
(٤) الكافي ٦/ ٤٤٩.
(٥) المبسوط للسرخسي ٢٢/ ٥٦.
(٦) لسان العرب ٨/ ١٧٥.
(٧) الموطأ ٢/ ٧٧.
(٨) المدونة ١٠/ ٤٤.
(٩) المصدر نفسه ١٠/ ٤٢.

الغلاظ منها الشقائق والملاحف اليمانية الغلاظ من المروي والهروي والقوهي والعدني، فهذا لا بأس به أن يسلّم بعضه في بعض».

وكان مالك لا يجيز أن يسلّم العدني في المروي[1]. وقال أيضاً: «يجوز بيع الريطة السابرية بالريطتين من نسيج الولائد عاجلاً أو آجلاً فهذا الذي تختلف فيه الأسواق والحاجة إليه، وعسى أن يبور السابري وينقطع نسيج الولائد ويبور نسيج الولائد وينطع السابري»[2]. وقال: «لا بأس الثوب الهروي بملاحف اليمانية والشقائق وما أشبه ذلك الواحد بالاثنين أو الثلاثة يداً بيد أو إلى أجل وإن كان من صنف واحد»[3]. ومن ثياب القطن الكرابيس[4]، وهي كلمة فارسية، وتعني الثياب الخشنة[5]. ونقل ابن منظور أن عبد الرحمن بن عوف لبس عمامة كرابيس سوداء[6].

الصوف:

يكثر في المصادر ذكر لبس الصوف والمنسوجات الصوفية. فيروي ابن ماجة بسند عن أنس أنه قال بلبس رسول الله (ص) الصوف، واحتذى المخصوف، ولبس ثوباً خشناً. كما يروي بسند عن عبادة بن الصامت: «خرج علينا رسول الله (ص) ذات يوم وعليه جبة رومية من صوف ضيقة الكمين، وصلى بنا فيها، ليس عليه شيء غيرها. وعن سلمان الفارسي أن رسول الله (ص) توضأ فقلب جبة صوف كانت عليه فمسح بها وجهه»[7].

كان الصوف لبس الزهاد والمتنسّكين. فيروى أن الحواريين كانوا يلبسون الصوف، وكذلك المساكين والمتنسكين والأنبياء والصوفية[8]. ويروي ابن عبد ربه عن الربيع بن زياد الحارثي لمّا أراد زيارة عمر بن الخطاب، وقيل له إنه

---

(١) المدونة ٩/ ٢٣.
(٢) المصدر نفسه ١٠/ ٢٤، ١٣١.
(٣) المصدر نفسه ١٠.
(٤) المخصص ٤/ ٧٣، لسان العرب ٨/ ٧٨.
(٥) الصحاح للجوهري ١/ ٢٧٣.
(٦) لسان العرب ٨/ ٧٨.
(٧) ابن ماجة ٢/ ١٩٢-٣، وانظر مادة صوف في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.
(٨) اللمع ٢٠-٢١، وانظر عن استعمال المتصوفة الصوف، في التصوف الإسلامي، نكلسون ٤٨-٤٩.

يحب الخشونة «لبس جبة صوف»[١]. ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة عزف عن الترف، فكان يجلس متكئاً على إزار وكساء من صوف[٢]. ولما تزهّد أبو العتاهية لبس الصوف[٣].

ويقول الجهني إن فقراء المسلمين كانت عليهم جباب الصوف ولم يكن عليهم غيرها[٤]. ويذكر الشاعر هلال التميمي أنه عندما أراد الظهور بمظهر الفقراء جاء وعليه جبة صوف وبت، وليس عليه إزار[٥].

كره بعض المسلمين استعمال الصوف. فيروى أن جعفر الصادق (رض) قال لا تلبس الصوف والشعر إلا من علّة، وأن الخليفة علياً لم يكن يلبس الصوف والشعر إلا من علّة. غير أن هذا الكره لم يصل إلى حد الاعتقاد بتحريمه، فيروى عن جعفر الصادق (رض) أن أحدهم رآه وعليه ثياب فوقها جبة صوف فقال له جعلت فداك إن الناس يكرهون لباس الصوف، قال كلا فإن أبي محمد ابن علي يلبسها، وكان علي بن الحسين يلبسها[٦].

ذكرت المصادر عدداً من المنسوجات والألبسة وصفتها بأنها من الصوف منها العهن وهو الصوف المصبوغ[٧]. وينقل الثعالبي عن أبي عبيدة: «ولا يقال عهن إلا إذا كان مصبوغاً وإلا فهو صوف»[٨]. وقد ورد في الأحاديث النبوية ذكر عدد من الألبسة المصنوعة من الصوف وهي المروط[٩]، والشملة[١٠]، والبردة السوداء والحلة[١١]، كما ورد ذكر الكساء والجبة[١٢].

(١) العقد الفريد ١/ ٥.
(٢) الأغاني ٥/ ٢٦٣.
(٣) المصدر نفسه ٤/٦٣، ٦٤.
(٤) تفسير الطبري ١٥. ابن حنبل ١/ ٢٦٨.
(٥) الأغاني ٣/ ٥٧.
(٦) الكافي ٦/ ٤٥٠.
(٧) لسان العرب ١٧/ ١٧٣.
(٨) فقه اللغة ١٦.
(٩) ابن حنبل ٦/ ١٢٩، ١٦٣، ٢٢٠.
(١٠) المصدر نفسه ٦/ ٤٣.
(١١) المصدر نفسه ٦/ ١٣٢، ١٤٤، ٢١٩، ٢٤٩.
(١٢) الترمذي، السنن ١٠.

ومن ألبسة الصوف الزهانقة[١]، والفوطة[٢]، والسجلاط[٣]، والبت وهو كساء من صوف غليظ[٤]، وأنه كساء غليظ مهلهل مربع أخضر، وقيل هو من وبر وصوف.. البت ضرب من الطياة يسمّى الساج مربع غليظ أخضر.. الجوهري البت الطيلسان من خز ونحوه[٥]. ويقول الجاحظ: «والكساء كلها صوف»[٦]، ويقول أيضاً: «وفضل الضأن على الماعز أن الصوف أغلى وأثمن وأكثر قدراً من الشعر»[٧]، وكذلك: «وبيوت الأعراب إنما تعمل من الصوف والوبر»[٨].

ومن الألبسة التي تكون من صوف أو خز، الخميصة[٩]، والمرط[١٠]، والشملة[١١] والبردة[١٢].

ذكرنا أن من الألبسة الصوفية البت الذي يسمى أيضاً الساج وأنه طليسان. وقد أشارت المصادر إلى السيجان والطيالسة، وذكر بعضها أنها تصنع من الصوف، فيقول مالك «الصوف كذلك منه ما يخرج منه السيجان العراقية وما أشبهها من الأسوانية، ومن الصوف مالا يكون منه هذه السيجان أبداً لاختلافه»[١٣].

قدم بعض واضعي كتب اللغة معلومات عن السيجان، وقرنوها بالطيالسة. فيذكر ابن سيده عن أبي عبيد، أن البت ثوب من صوف غليظ شبه الطيلسان وجمعه بتوت؛ وعن صاحب العين: وهو الذي يسمّى الساج؛ وقال غيره:

---

(١) فقه اللغة ٢٤٣.
(٢) لسان العرب ٩/ ٢٤٨.
(٣) المصدر نفسه ٩/ ١٨٤.
(٤) فقه اللغة ٢٤٦.
(٥) لسان العرب ٢/ ٢١٢.
(٦) الحيوان ٥/ ١٤٥.
(٧) المصدر نفسه ٥/ ١٣٦.
(٨) المصدر نفسه ٥/ ١٣٧.
(٩) لطائف المعارف للثعالبي ٢٤٦.
(١٠) المصدر نفسه ٢٤٦، لسان العرب ٩/ ٢٧٨.
(١١) ابن حنبل ٦/ ٣.
(١٢) المصدر نفسه ٦/ ١٣٢، ١٤٤، ٢١٩.
(١٣) المدونة ٩/ ٢١. وانظر ما كتبناه عن الطيالس في فصل الملبوسات.

الساج الطيلسان، وكل طيلسان أخضر ساج. ويقول ابن السكيت: البت كساء أخضر مهلهل تلتحف به المرأة فيغيّبها. ويقول ابن دريد: الساج وهو الطيلسان، وقيل الساج الطيلسان الغليظ الضخم[1].

وذكرت كتب الجغرافيا صوف قومس والديلم وديبل وبهنا، فأما قومس فيقول اليعقوبي إن أهلها «أحذق قوم يعملون أكسية البسط القومسية الرفيعة»[2]. ويقول المقدسي: «لهم أكسية وطيالسة وثياب رقاق من الصوف»[3]. ويقول ابن حوقل: «يرتفع من قومس أكسية معروفة وتحمل إلى الأمصار وهي فاشية في جميع الأرض»[4]. فأما الديلم فإن المقدسي يقول إنه (أقليم الصوف)، ويقول عن ديبل منها «ثياب والبسط والوسائد والأنماط والتلك الرفيعة»[5]. ويذكر المقدسي أن أهل بهنا «يغزلون الصوف»[6].

وينقل ابن منظور أن أجود الصوف صوف النقد، وهي غنم صغار الأرجل تكون في البحرين[7].

ذكر الثعالبي أن «أجود الصوف صوف مصر ثم صوف أرمينية ثم صوف تكريت ثم صوف رويان»[8]. ولم تذكر المصادر التي اطلعت عليها صوف تكريت أو اشتهارها بأنسجته. أما أرمينية، فلعل كثيراً من المنسوجات التي اشتهرت بها هي والمنطقة الكردية، كانت من الصوف، بما في ذلك الأكسية والبسط والزلالي.

وذكرت المصادر المصرية الصوف، فذكر كتاب (فضائل مصر): بوصير بها ثياب الصوف والألبسة وليس لها من الدنيا إلا بمصر[9]. وذكر المقدسي أن

(١) المخصص ٤/٧٩، لسان العرب ٣/١٢٧.
(٢) البلدان ٢٦٧.
(٣) أحسن التقاسيم ٣٦٧.
(٤) ابن حوقل ٢/٣٨٠.
(٥) المقدسي ٣٥٣.
(٦) المصدر نفسه ٤٠٨.
(٧) لسان العرب ٤/٤٣٧.
(٨) لطائف المعارف ٢٢٣، وانظر ثمار القلوب ٢٣٣.
(٩) فضائل مصر المنسوب للكندي ٦.

«بوصير لا نظير لصوفهم وخيشهم»، وأن «طحا قرية بالصعيد يعمل بها ثياب الصوف الرفيعة»[1]. وذكر ابن حوقل أن البهنسا «تعمل بها الستور والاستبرقات والشرع والخيام والأخبية والستائر والبسط والمضارب والفساطيط العظام من الصوف والكتان بأصباغ لا تستحيل»[2]. وذكر ناصري خسرو أنهم «ينسجون في أسيوط عمائم من صوف الخراف لا مثيل لها في العالم، والصوف الرقيق الذي يصدّر إلى بلاد العجم المسمّى الصوف المصري كله من الصعيد الأعلى»[3].

الكتّان:

كان الكتّان في صدر الإسلام من ألبسة الطبقة الميسورة، ففي تفسير آية ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء/٦] يقول إبراهيم التيمي «إن المعروف ليس بلبس الكتان ولا الحلل ولكن ما سد الجوع ووارى العورة»[4]. ويروي أحمد بن جعفر بسند عن ميمون بن مهران الكاتب: «شر الناس العيابون ولا يلبس الكتان إلا غني أو نحوي»[5]. ويروي ابن قتيبة: قيل لرجل إنك لحسن الحسنة فقال آكل لباب البر بصفار المعز، وأدهن بجام البنفسج والبس الكتان»[6].

ويقول حسان:

أتفخرُ بالكتّانِ لمّا لبستَهُ　　وقد تلبسُ الأنباطُ ريطاً مقطرا[7]

ويقول جعفر الصادق (رض) إن «الكتان من لباس الأنبياء وهو ينبت اللحم»[8]. وإن «الكتان كان لبني إسرائيل يكتّون به، والقطن لأمة محمد»[9].

---

(١) أحسن التقاسيم ٢٠١.
(١) ابن حوقل ١٤٩.
(٣) رحلة ناصري خسرو ١١٠.
(٤) تفسير الطبري ٤/ ١٥٩.
(٥) حلية الأولياء ٤/ ٩٢.
(٦) عيون الأخبار ٣/ ٢٧١.
(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠.
(٨) الكافي ٦/ ٤٤٩.
(٩) المصدر نفسه ٣/ ١٤٩.

وكان يلبس الكتان كل من محمد بن سيرين[1] وسالم بن عبد الله[2] وعامر الشعبي[3]. ويقول ابن رسته إن «أول من لبس الكتان زياد بن أبيه»[4].

أنواع المنسوجات الكتانية:

يذكر ابن منظور أن «الشريع الكتان وهو الأبق والزير والرازقي ومشاقة السبيجة»[5]. فأما الرازقي، فهي ثياب كتان[6]، وهي الرقيعة[7]. وقد وردت في بعض الأشعار الجاهلية، فقال عوف بن الخرع:

كأن الظباء بها والنعاج ... يكسين من رازقيّ شعارا[8]

وقال لبيد يصف ظروف الخمر:

لها غلل من رازقي وكرسف ... بإيمان عجم ينصفونَ المقاولا[9]

وقال العجير:

كأن كعوبها أطراف نبل ... كساها الرازقيةَ من براها[10]

وفي حديث الجونية، قال الرسول (ص) يا أبا أسيد أكسها رازقيتين وألحقها بأهلها[11].

ومن الأنسجة الكتانية، الخيش، وهي «ثياب رقاق النسيج غليظة الخيوط

---

(١) ابن سعد ٤-٢/٥٨، الترمذي، زهد ٣٩.
(٢) ابن سعد ٥/١٤٦.
(٣) المصدر نفسه ٦/١٧٧.
(٤) الأعلاق النفيسة ١٩٢.
(٥) لسان العرب ١٠/٤٣. عن أبي عبيدة وابن السكيت.
(٦) لسان العرب ١١/٤٠٦.
(٧) الاشتقاق.
(٨) لسان العرب ١١/٤٠٦.
(٩) المصدر نفسه ١١/٤٠٦.
(١٠) الأغاني ٨/٢٦٣.
(١١) البخاري كتاب الطلاق ٣، ابن حنبل ٣/٤٩٨، لسان العرب ١١/٤١٦.

تتخذ من مشاقة الكتان وربما اتخذت من العَصْب»[1]. وقد ذكرت في حديث نبوي «استكسيت رسول الله (ص) فكساني خيشتين»[2]، وقال الشاعر:

وأبصرتُ ليلى بين بُردَيْ مراجلٍ   وأخياشِ عَصْبٍ من مُهَلْهلةِ اليمَنْ[3]

ومن ثياب الكتان، القبطر، وهي في قول ابن منظور ثياب كتان بيض، وفي التهذيب ثياب بيض.

وقيل:

كـان لـدى الـقـهـزِ فـي حـضـورِهـا   الـقـبـطـريُّ الـبـيـضُ فـي تـأزيـرِهـا

وقال الجوهري: القبطرية ضرب من الثياب. قال ابن الرقاع:

كـأن زورَ الـقـبـطـريـةِ عُـلِّـقـت   بـنـادُكـهـا مـنـهُ بـجـذعٍ مُـقَـوَّمِ[4]

والقبطية ثياب بيض من كتان تتخذ بمصر[5].

والكنار وهو الشقة من ثياب الكتان[6].

ويذكر ابن سعد «رأيت على سالم بن عبد الله قميص كتان كنار»[7] مما يدل على أنه ثوب، ويروى أن النبي نهى عن لبس الكنار[8].

كما ذكرت الأخنية في بيت أبي خراش:

كأن الملاء المحضَ خلفَ كُراعِه   إذا ما تمطى الأخنيُّ المخذَّمُ[9]

ويقول في شرحه «الأخنيّ ثياب وهي رديئة دون الجيدة»[10] و«القرقبية ثياب

---

(1) المخصص ٤/ ٧٢، المحيط للفيروز ابادي ٢/ ٢٧٣، لسان العرب ٨/ ١٩٠.
(٢) أبو داوود لباس ٢، ابن حنبل ٤/ ٢٨٥.
(٣) لسان العرب ٨/ ١٩٠.
(٤) المخصص ٤/ ٧٤، لسان العرب ٦/ ٣٧٨.
(٥) الصحاح للجوهري ١/ ٥٦٠، المخصص ٧١.
(٦) المخصص ٤/ ٧١، لسان العرب ٧/ ٤٦٨.
(٧) ابن سعد ٥/ ١٤٦.
(٨) لسان العرب ٨/ ٤٦٨.
(٩) ديوان الهذليين ٢/ ١٤٦، لسان العرب ١٢/ ٣٣٠.
(١٠) ديوان الهذليين ٢/ ٢٤٦.

بيض من كتان»[1]. ومن ثياب الكتان القرقبي، ثوب أبيض مصري من كتان،. قال الزمخشري: «القرقبية ثياب بيض والقرقبية ثياب مصرية من كتان». وتروى بقافين منسوبة إلى قرقوب[2]. والشطوية «ضرب من ثياب الكتان»[3]. أما القسيمة فهي ثياب من كتان مخلوط بحرير[4]. والقصب ثياب تتخذ من مشاقة الكتان[5]، والقصب ثياب تتخذ من كتان رقاق ناعمة، وأحدها قصبي[6].

ذكر مالك عدة أنواع من الأنسجة الكتانية، حيث قال: «من ذلك أن الكتان يختلف فمنه ما يكون يغزل منه الرقيق ومنه مالا يكون رقيقاً أبداً»[7]. ويقول: «وكذلك الكتان رقيقه كله واحد القرقبي والشطوي والتنيسي كله واحد، ولا بأس به في الزيقة والمريسية وذلك إنها غلاظ كلها.. وكذلك لم يجز أن يسلم الشطوي في القصبي». وقال «لو أسلمت ثوباً من غليظ الكتان مثل الزيقة وما أشبهه في ثوب قصبي إلى أجل، وثوب قرقبي، قال لا بأس.. إنما الفسطاطي عندنا بمنزلة التنيسي وبمنزلة الزيقة وما أشبهها من ثياب إلا ما كان من الفسطاطي الرقيق المرتفع مثل المعافري وما أشبهه، فإن ذلك يضم إلى رقيق الكتان إلى الشطوي والقصبي والقرقبي، وعلى هذا ينظر في الثياب»[8].

ويتبيّن من هذا أن القرقبي والشطوي والتنيسي هي من رقيق الكتان وأن الزيقة والمريسية من غليظه. وأن الفسطاطية أنواع منها الغليظ ومنها الرقيق. والبنية ثياب تتخذ من مشاق الكتان. والقصب ثياب تتخذ من كتان رقاق ناعمة.

وذكر مالك في موضع من المدوّنة الثياب القرقبية[9]، والثوب الفسطاطي

---

(1) المخصص ٤/ ٧١، لسان العرب ٢/ ١٥٠.
(2) لسان العرب ٢/ ١٥٠.
(3) المخصص ٤/ ٧١، لسان العرب ١٩/ ٦٢.
(4) لسان العرب ٨/ ٥٧.
(5) النهاية لابن الأثير ٣/ ١٤٦، لسان العرب ١٧/ ٦٤.
(6) لسان العرب ٢/ ١٧٠.
(7) المدوّنة ٩/ ٢١.
(8) المصدر نفسه ٩/ ٢٣.
(9) المصدر نفسه ٩/ ٨٨.

والقرقبي[1]، كما ذكر في الموطأ «الثوبين من القرقبي، والثوب من الشطوي» و«لابأس أن يشترى الثوب من الكتان أو الشطوي أو القصبي بالأثواب من الأتريبي أو القسي أو الزيفة»[2].

وذكر الشافعي ثياب الكتان[3]، ولم يذكر أنواعها. وذكر محمد بن الحسن الشيباني أنواع ثياب الكتان وثياب أخرى فقال: «لابأس أن يشتري الرجل الثوب من الكتان الشطوي والقصبي بالأثواب من القصبي والثوب من القرقبي ولابأس بالشطوي بالقصبي والقصبيين يداً بيد ونسيئة، وإنما يكره الشطوي بالشطوي نسيئة والمروي بالهروي وبالهرويين نسيئه، فأما يداً بيد فلا بأس بذلك، ولا بأس بالهروي بالمروي يداً بيد ونسيئة، لأن الهروي جنس غير المروي، والشطوي غير جنس المروي، فإذا اختلفت الأجناس فلا بأس به واحداً باثنين بها نسيئة».

وقال: «أهل المدنية لا بأس أن يشتري الثوب الكتان الشطوي أو القصبي بالأثواب القصبي، ولو اشترى الثوب من الهروي والمروي بالملاحف اليمانية والشقاق وما أشبه ذلك الواحد بالاثنين أو الثلاثة يداً بيد من صنع واحد، فإن دخلت ذلك نسيئة فلا خير منه ولا يصلح حتى يختلف فيبين اختلافه، فإذا أشبه بعض ذلك بعضاً وإن اختلفت أسماؤه فلا يأخذ منه اثنين بواحد إلى أجل، وذلك يأخذ الرجل الثوب الهروي بالثوب المروي والقوهي إلى أجل، ويأخذ الثوبين من القوهي بالثوب الشطوي، فإذا كانت هذه الأصناف على هذه الصفة فلا يشتري منها اثنين بواحد إلى أجل. قال محمد بن الحسن ما تفاوت منه وما لم يتفاوت سواء، إنما ينظر إلى الأجناس فإذا اختلفت جازت فيه النسيئة: الهروي غير جنس المروي، والشطوي جنس غير القصبي معروف ذلك، فإن تفاوت لمنظر إنما القول في هذا قولان: أن يقول قائل أما أصله قطن وإن اختلف أجناسه فتفاوت ولا خير فيه يداً بيد، وما كان أصله كتان فدخل في

(١) المدونة ٩/ ١٢٢.
(٢) الموطأ ٢/ ٧٢.
(٣) الأم ٣/ ١٠٨، ١١٨.

هذا الأمر قبيح أن يقول لا خير في الصنعاني بالمروي نسيئة لأنه قطن فهذا أخطأ ليس بشيء، أو يقول قائل بقول أبي حنيفة فإذا اختلفت الأجناس فإن كان أصلها قطن كلها أو كتان كلها فلا بأس بالهروي والمرويين إلى أمد معلوم»[1].

يتبين مما نقلناه عن مالك ومحمد بن الحسن الشيباني أن أكثر منسوجات الكتان المتعددة منسوبة إلى مراكز صناعية في مصر، حيث كان الكتان معروفاً في مصر منذ أزمنة سحيقة، وكانت المومياءات تلف به، وقد عرفت أنسجته منذ القديم بدقتها. وفي العهود الإسلامية الأولى كانت مصر أكبر مجهز للعالم الإسلامي بالكتان: وفي هذا يقول الجاحظ «لقد علم الناس أن القطن لخراسان، وأن الكتان لمصر، ثم للناس بعد ذلك منه تفاريق البلدان ما لا يبلغ مقداره في بعض هذين الموضوعين، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذي هو الكتان مائة ألف دينار»[2]. ولعل الجاحظ بالغ في قيمة هذا الرقم.

ومن المناسب أن نذكر ما أوردته بعض كتب الحسبة: «أجود الكتان المصري الجيزي، وأجوده الناعم الورق، وأردأه القصير الخشن الذي يتصف، ولا يخلطوا جيده برديئه ولا الصعيدي بالكوري، وكل ذلك تدليس»[3].

غير أن في كتب البلدان المؤلفة في القرن الرابع الهجري ذكراً لمنسوجات الكتان في بعض مناطق الهضبة الإيرانية، فذكر الاصطخري: «يرتفع من سينيز وجنابة وكازرون وتوج ثياب كتان، وللسلطان في كل بلد منها طراز غير كازرون وتحمل هذه الثياب إلى الآفاق من بلاد الإسلام كلها»[4]. ويذكر أيضاً: «ويرتفع من كازرون، ثياب كتان تحمل إلى الآفاق»[5]. وذكر الجاحظ: «من فارس الثياب الكتان التوزي»[6]. وذكر المقدسي أن في سينيز ثياباً تشاكل

---

(1) المحجج ٢٢٣.

(2) لطائف المعارف ١٦٥، ثمار القلوب ٥٣٠.

(3) نهاية الرتبة للشيزري ٧٠، معالم القربى لابن الأخوة ١٥٢، نصاب الاحتساب لابن بسام ٧٤، وانظر تفاصيل أوفى مما كتبناه في هذا الكتاب عن مصر في فصل مراكز النسيج.

(4) المسالك والممالك ١٥٣، ابن حوقل ٢٩٩، ٢٦٤، وعن جنابه أنظر ابن حوقل ٢٩٩.

(5) المسالك والممالك ١٥٤.

(6) التبصر بالتجارة ٢٤٦.

القصب، وربما حمل إليهم الكتان من مصر، وأكثر ما يعمل اليوم من الذي يزرع عندهم[١]. وذكر أن كازرون «دمياط الأعاجم، وذلك أن ثياب الكتان التي على عمل القصب وشبه الشطوي وإن كانت من قصب يعمل بها وتباع فيها». ويقول أيضاً «إن من منسوجات كازرون قصب ديقي»[٢]. وذكر أيضاً أن سيراف تنتج أزر الكتان[٣].

وذكر الوشاء: «الغلائل الرقاق والقمص الصفاق من جيد ضروب الكتان الناعمة النقية الألوان مثل الدبيقي والجنابي»[٤].

وذكر المقدسي أن طبرستان بها مزارع الكتان[٥]، وأنه يقدم من باب الأبواب (في أذربيجان) ثياب الكتان[٦]. وذكر الماوردي عن الكتان أنه «شامي أو كازروني أو مصري أو بصري»[٧]. وسنبحث بتفصيل أوفى منسوجات مصر في فصل مراكز النسيج.

الحرير والإبريسم:

ذكرت المصادر أربع مواد متصلة بالحرير، هي الإبريسم والقز والخز والحرير وهو ثوب من الإبريسم[٨]. فأما الإبريسم لايتردد ذكره في المصادر كثيراً، وقد ذكر الإبريسم التكك[٩]، والشرابات[١٠]، والشرابات المفتولة[١١]. وأشهر مناطق العالم الإسلامي في الإبريسم هي المناطق الواقعة جنوب بحر قزوين. فيذكر ابن حوقل: «ليس بسائر الأرض من ملك الإسلام والكفر ناحية تقارب طبرستان في

---

(١) أحسن التقاسيم ٤٤٢.
(٢) المصدر نفسه ٤٤١.
(٣) المصدر نفسه ٤٤٢.
(٤) الموشى للوشاء ١٧٩.
(٥) أحسن التقاسيم ٣٨٠.
(٦) المصدر نفسه ٢٥٤.
(٧) الحاوي ٣/ ٢٠٤أ.
(٨) لسان العرب ٣/ ٨٦.
(٩) الموشى للوشاء ١٣٦، ١٧٩، ١٨٦، رسوم دار الخلافة ٣٨.
(١٠) رسوم دار الخلافة ١٢٧.
(١١) الموشى للوشاء ١٨٦.

كثرة الإبريسم»[١]. و يذكر أنه ينتج في بكر أباد من جرجان «وأجل إبريسم طبرستان من جرجان»[٢]. ويقول المقدسي: «يحمل من بردعه الإبريسم الكثير»[٣]. ويذكر ابن حوقل «أصبهان يرتفع منها العتابي والوشي وسائر ثياب الإبريسم»[٤]. وأن برامهرمز إبريسم[٥]، وأن في فارس الإبريسم[٦].

وأما الحرير فإن لبسه كان موضع خلاف بين الفقهاء، فيذكر أنس أنه رأى على زينب بنت رسول الله (ص) قميص حرير سيراء[٧]. ويذكر «لباس أهل الجنة حرير»[٨]. ويروي ابن ماجة أن الرسول (ص) رخّص للزبير ولعبد الرحمن لبس الحرير[٩]. ولكن جاء في بعض الأحاديث إنما يلبس الحرير من لا خلاق له في الآخرة. وذكر: «من أشراط الساعة يستحل الحرور الحرير»[١٠]. ويذكر الشافعي: «وأنهى الرجال عن ثياب الحرير فمن صلّى فيها منهم لم يعد لأنها ليست بخسة، وأن النساء يلبسنها ويصلّين فيها»[١١]، كما يقول أن الحرير والقز ليسا من الأنجاس[١٢].

ورد في المصادر ذكر الحرير الارمني[١٣]، وحرير غبار[١٤]، والحرير العشاري[١٥]، وستور الحرير[١٦]، مبطنة حرير[١٧].

---

(١) ابن حوقل ٢/ ٣٨١.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٨٢.
(٣) أحسن التقاسيم ٣٨٠.
(٤) ابن حوقل ٢/ ٣٦٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٢٥٤.
(٦) أحسن التقاسيم ٤٦٣.
(٧) ابن ماجة ٢/ ١٩٦.
(٨) تفسير الطبري ١٧/ ٩٣.
(٩) ابن ماجة ٢/ ١٩٦.
(١٠) لسان العرب ٥/ ٢٥٨
(١١) الأم ١/ ٧٩.
(١٢) المصدر نفسه ١/ ١٦٩.
(١٣) اتعاظ الحنفا ٢/ ٣٠.
(١٤) السلوك للمقريزي ١/ ٧٢٦.
(١٥) الذخائر والتحف ٢٩، ٤٠، ٤٤، ٦٩، ٩٩، ٣٣٨، ٣٨١.
(١٦) اتعاظ الحنفا ٢/ ٢٨٧.
(١٧) المصدر نفسه ٢/ ٨٧.

ذكر ابن خرداذبه أن الذي يجيء من هذا البحر الشرقي من الصين الحرير والقرمز..[1]، وأن لوقين أول مرافيء الصين ومنها الحرير الصيني والغضار الصيني الجيد[2]. وذكر الطبري أن المأمون جاءته من الأموال من الحرير الصيني الأحمر والأخضر والأصفر[3]، وذكر الوشاء أنه يأتي من الصين بديع الحرير[4]. وتنسج في الصين ثياب من حرير تسمّى الملاذ[5].

القزّ:

القزّ هو ضرب من الإبريسم[6]. ذكر الكليني، عن أبي عبد الله: لابأس بالقزّ إذا كان سيراء أو لحمته من القطن أو الكتان، كما ذكر الثوب الملحم بالقزّ والقطن، والقزّ أكثر من النصف[7]، والسيراء المضلّع بالقزّ[8].

كانت تصنع منسوجات القزّ في عدة مناطق من الدولة الإسلامية. فيذكر المقدسي: «يعمل بالأهواز فوط من القزّ حسنة تلبسها النساء»[9]. وأنه يصنع في بهنا ثياب القزّ[10]. وفي العسكر مصانع القز تحمل إلى بغداد[11]. كما يذكر أن الديلم أقليم القزّ[12]. وأن من جرجان المقانع القزّيات تحمل إلى اليمن[13].

---

(١) المسالك ٧.
(٢) المصدر نفسه ٦٩.
(٣) الطبري ٣/ ١٤٢.
(٤) الموشى للوشاء ٢٢٥.
(٥) المخصص ٤/ ٦٨، لسان العرب ١٠/ ٤٥.
(٦) لسان العرب ٨/ ٥٧.
(٧) الكافي ٦/ ٤٥٥.
(٨) النسائي زينة ٨٣.
(٩) أحسن التقاسيم ٤١٦.
(١٠) المصدر نفسه ٤٤٢.
(١١) المصدر نفسه ٤١٦.
(١٢) المصدر نفسه ٣٥٣.
(١٣) المصدر نفسه ٣٦٧.

الخزّ:

يذكر ابن منظور أن لفظ الخز مشتق من اسم والد الأرنب[1]. ويذكر ابن الأثير أن الخزّ ثياب تنسج من صوف وإبريسم. ويقول ابن منظور إن الخزّ ضرب من ثياب الإبريسم[2]، ويقول ابن سعد أن الخزّ يجعل فيه الحرير[3]، وقد ذكرت بعض النصوص «الخزّ سداه الحرير»[4]. ومن هذا يتبين أن الخزّ لم يكن من الحرير الخالص وأن سداه الحرير، أما لحمته فلم أجد مصدراً لذكرها، ولعلها من القطن.

والخزّ أنواع، فيقول الثعالبي: «الردن ما غلظ من الخزّ، والسكب ما رقّ منه»[5]. أما ابن منظور، فيقول «إن الردن القزّ وقيل الخزّ وقيل الحرير»[6]. وقال ابن السكيت «إن الخز ضرب من رقيق الثياب»[7]. ومن أنواعه أيضاً الطاروني[8]. وتذكر بعض المصادر أن «أول من لبس الخز وقور الطاروني من العرب عبد الله بن عامر»[9].

تصنع من الخزّ ملبوسات منها الخميصة وهي ملاءة من خزّ أو صوف[10]. وقيل الخمائص ثياب من خزّ سود وحمر لها أعلام ثخان أيضاً[11]. والمرط وهو كساء من خزّ أو صوف يؤتزر به[12]. وتعمل من الخزّ بعض الثياب الشائعة الاستعمال[13]، ومن ذلك القباء والطيلسان والقلنسوة. فقد ذكر الكليبي أنه قد استعملها علي بن الحسن[14].

---

(١) لسان العرب ١/ ١٩٢.
(٢) المصدر نفسه ٥/ ٢٥٩.
(٣) ابن سعد ٥/ ٨٥، ٣-١/ ٢٣٩.
(٤) المدوّنة ١/ ١٨٨، الكافي ٦/ ٤٤٢.
(٥) فقه اللغة للثعالبي ٢٤٦.
(٦) لسان العرب ١٧/ ٣٧.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٤٥٣.
(٨) المصدر نفسه ١٧/ ١٣٥.
(٩) ابن رسته ١٩٢.
(١٠) فقه اللغة ٢٤٦، عن الأصمعي.
(١١) لسان العرب ٨/ ٢٩٦.
(١٢) فقه اللغة ٢٤٦، لسان العرب ٩/ ٢٧٨، الذخائر والتحف ٦٦.
(١٣) الذخائر والتحف ٦٦، ٦٨، ٧٥.
(١٤) الكافي ٦/ ٤٥٢.

وبرنس الخزّ استعمله كل من ابن أبي أوفى وموسى بن طلحة[١] وشريح[٢] وأبي عبيدة بن عبد الله[٣] وكساء خزّ كان لكل من القاسم بن محمد[٤] وأبي بكر بن عبد الرحمن[٥] وخارجة بن زيد[٦] وجعفر الصادق (ع)[٧]. وقد ذكر العرب كساء الخز في شعرهم:

أماطت كساءَ الخزِّ عن حرِّ وَجْهِها ... وأدنت على الخدَّين بُرداً مُهَلْهَلا

وذكرت المصادر ثياب الخز، وكان يلبسها الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك[٨] والسيد الحميري[٩] وسعيد بن المسيب[١٠] وعروة بن الزبير[١١] وعلي ابن الحسين[١٢] وعبد الله بن جعفر[١٣] وعائذ بن عمرو[١٤]. كما ذكرت عمامة خز استعملها كل من العجاج[١٥] وأحد الفرسان[١٦]. وأنس بن مالك[١٧] وعبد الله بن عمرو بن حزم[١٨].

ومن الخزّ كانت البرانس. وممن ذكر له برنس خز موسى بن طلحة[١٩]

---

(١) ابن سعد ١٢١/٥.
(٢) المصدر نفسه ٢٩٦/٦.
(٣) المصدر نفسه ١٤٦/٦.
(٤) المصدر نفسه ١٤٢/٥.
(٥) المصدر نفسه ١٥٢/٥.
(٦) المصدر نفسه ١٩٤/٥.
(٧) حلية الأولياء ١٩٨/٣.
(٨) الموشى للوشاء ١٧٩.
(٩) المصدر نفسه ١٣٦، ١٧٩، ١٨٦، رسوم دار الخلافة ٩٨.
(١٠) الأغاني ٧٦/٦، وعن الخز الأخضر الهشامي أنظر الذخائر ٢١١.
(١١) الأغاني ٢٥٠/٧.
(١٢) ابن سعد ١٠٣/٥.
(١٣) المصدر نفسه ١٣٤/٥.
(١٤) المصدر نفسه ١٦١/٥.
(١٥) المصدر نفسه ١٧٢/٥.
(١٦) المصدر نفسه ٣٥/٤، الأغاني ١٧١/١١.
(١٧) الأغاني ١٥٢/١٠.
(١٨) المصدر نفسه ١٧١/١١.
(١٩) ابن سعد ١١/٧، ١٥.

وابن أبي أوفى[1]. غير أن أكثر ألبسة الخزّ شيوعاً هي المطارف والجباب. فأما جباب الخز فقد ذكرت المصادر ممن لبسها عروة بن الزبير[2]، والحكم ابن أبي العاص[3]، والقاسم بن محمد[4]، ومحمد بن علي[5]، وجعفر الصادق (رض)[6]، وعلي بن الحسين[7]، ويوسف بن ابراهيم[8] وكل هؤلاء من أهل الحجاز. ولبسها أيضاً من أهل العراق والشام الفرزدق[9]، والحجاج[10]، والأخطل[11]، وبعض الكتاب[12]، وعون بن عبد الله[13]، ويروى أن أول من لبسها في البصرة عبد الله بن عامر «وقد طلع وعليه جبة خزّ دكناء فجعل الأعراب يقولون على الأمير جلد دب»[14]. أما مطرف الخز، ففي المصادر ذكر لعدد كبير ممن لبسه من الصحابة والتابعين، ومنهم عثمان بن عفان[15]، والحسين (رض)[16]، وابن سلمة[17]، ومحمد بن عروة[18]، والقاسم بن محمد[19]، ومحمد بن الحنفية[20]، وعلي بن

---

(١) ابن حنبل ٤٨/ ١٣٣.
(٢) ابن سعد ٤/ ١٢١.
(٣) ابن سعد ٤/ ٣٦.
(٤) المصدر نفسه ١٣٤.
(٥) التاريخ لليعقوبي ٢/ ١٨٩.
(٦) ابن سعد ٥/ ١٤٢.
(٧) المصدر نفسه ٥/ ٢٣٦.
(٨) الكافي ٦/ ٤٤٢، ٤٥١، حلية الأولياء ٣/ ١٩٨.
(٩) الكافي ٦/ ٤٥٠.
(١٠) المصدر نفسه ٦/ ٤٤٢.
(١١) الأغاني ١٩/ ٥١.
(١٢) المصدر نفسه ١٠/ ٢٩٩.
(١٣) المصدر نفسه ٨/ ٢٩٩.
(١٤) المصدر نفسه ٨/ ٨٧.
(١٥) الأشربة ٨٣.
(١٦) فتوح البلدان ٣٤٧.
(١٧) ابن سعد ٣-١/ ٤٠، أنساب الأشراف ٥/ ٣، الطبري ١/ ١٤٧/ ٢.
(١٨) الذهبي ٥٦١.
(١٩) ابن سعد ٥/ ١١٦.
(٢٠) المصدر نفسه ٥/ ٥٠.

الحسين[١] ومحمد بن علي[٢] وعروة بن الزبير[٣] وعبد الله بن عروة بن عثمان[٤] وأبو هريرة[٥] وكل هؤلاء من أهل الحجاز. ولبس مطرف الخزّ أيضاً من أهل العراق عبد الرحمن بن أبي ليلى[٦]، وشريح[٧]، والشعبي[٨]، وزياد ابن أبيه[٩]، والسيد الحميري[١٠]، كما لبسها الخليفة الأموي الوليد بن يزيد[١١]، وعمران بن الحصين[١٢]، والأحنف بن قيس[١٣]، وأبو بكر[١٤]، وعبد الله بن شقيق[١٥]، وأنس بن مالك، وعون بن عبد الله[١٦]، وفي العصر العباسي ذكرت من الخز الطنافس والفرش والوسائد والدست[١٧] والستور[١٨].

تدل كثرة الإشارات إلى ألبسة الخز على انتشار استعماله. كما أنها قد تدل على اختلاف الآراء فيه، ويكون ذكره دليلاً على جواز استعماله. والواقع أن أقوالاً غير قليلة رويت عن عزوف بعض المسلمين عن لبسه وإن لم يكن هذا العزوف يصل إلى حد الاعتقاد بعدم جواز لبسه. فيروي عامر بن عبيدة الباهلي: سألت أنساً عن الخز، فقال «وددت أن الله لم يخلقه، وما أحد من أصحاب

(١) ابن سعد ٥/ ١٤٣.
(٢) المصدر نفسه ٥/ ٨٤، عيون الأخبار ١/ ١٩٨.
(٣) ابن سعد ٥/ ١٦١، الكافي ٦/ ٤٥٠.
(٤) ابن سعد ٥/ ٢٣٦.
(٥) المصدر نفسه ٥/ ٣٤.
(٦) تاريخ أبن أبي زرعة ١٧٨.
(٧) المصدر نفسه ٧٨.
(٨) لسان العرب ١١/ ١٢٣.
(٩) ابن سعد ٦/ ٧١.
(١٠) المصدر نفسه ٦/ ٩٦.
(١١) المصدر نفسه ٦/ ١٧٦.
(١٢) الأغاني ١٦/ ٣.
(١٣) المصدر نفسه ١٩/ ٥١.
(١٤) المصدر نفسه ٧/ ٢٥٠.
(١٥) ابن سعد ٤/ ١٩، ٧/ ٨.
(١٦) ابن سعد ٧/ ٦٨، تاريخ ابن أبي زرعة ٤٧٨.
(١٧) ابن سعد ٧/ ٩.
(١٨) المصدر نفسه ٧/ ٩١.

الرسول (ص) إلا وقد لبسه ما خلا عمر وابن عمر»[1]. ويروي نافع عن ابن عمر أنه كان يلبس الخزّ، وكان يراه على بعض ولده فلا ينكره[2]. وكان أبو برزة الأسلمي لا يلبس الخزّ[3]. ويروي يزيد بن أبي زياد «رأيت على عبد الرحمن بن أبي مطرف خز فلبسه حتى تقطّع ثم نفضه مرة أخرى، فصنع له وقال لصاحبه لا تصنع فيه حريراً واجعل سداه كتاناً»[4]. ويروي ابن طالوت أنه رأى على أنس بن مالك عمامة خز وجبّة خزّ ومطرف خزّ «فقالوا تنهانا عن الخز وتلبسه، فقال إن أمراءنا يكسونها فنحب أن يروه علينا». وكان الخزّ يلبسه القرّاء في زمن الزهري، وكان الناس يلبسون ما وجدوا من الخزّ والحبرات والكرابيس والصوف[5]. وكان الوشي والخزّ من الثياب الغالية الأثمان[6]. وقد لبس اسحاق بن ابراهيم الموصلي مطرف خزّ أسود تبلغ قيمته مائة دينار[7].

عني الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بالخزّ وصناعته. وعُمل في أيامه الخزّ الرقم وغيره، والوشي، وإضافة الثياب، وكانت له ستور وكسوة وطراز، ولم يكن لمن قبله، وهو أول من اتخذ الطراز، وإليه ينسب الخزّ الأخضر الهشامي. واتخذ هشام الطراز في سنة ثمان ومائة، وكتب إلى الآفاق في كل صنف من الثياب والفرش والآنية والآلة أن يُتّخذ له شيء بصفته، فقيل إن كل شيء عمل يومئذ له هو أجود شيء يراه الناس، لم يعمل قبله ولا بعده مثله. وكان هشام، وبنو مروان كلهم، يكسون الناس الخزّ إلا الأصفر والأحمر، ويكسونهم ما سوى ذلك من الألوان، ويدخرون الأحمر والأصفر لأنفسهم[8]. وذكر في العصر العباسي الخزّ الأخضر الهشامي[9].

---

(١) ابن سعد ٣-١/ ٢٣٩.
(٢) المصدر نفسه ٤-١/ ١٢٧.
(٣) المصدر نفسه ٤-٢/ ٣٥.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الأشربة ٨٢.
(٦) الأغاني ١٠/ ٧٧، ٢٠/ ٢٧، البخلاء ٢٥، نشوار المحاضرة ٣/ ١٢٠.
(٧) الأغاني ١٠/ ١٢٠.
(٨) الذخائر والتحف ٢١١.
(٩) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

عني الخلفاء العباسيون باستعمال الخزّ، فكان ما في خزائن الرشيد عند وفاته ألف وخمسمائة طنفسة خزّ، وألف وسادة ومخدّة خزء، وألف وسادة خز رقم، وألف ستر خز[1]. وخلّف الأمين خمسمائة قطيفة خزّ وألف وسادة ومخدة خزّ[2].

وأهدى المأمون إلى أحد ملوك الهند هدية فيها ثياب من خز السوس، ومائة طنفسة حيرية بوسائدها، كل ذلك خزّ، وفرش خزّ سوسي[3].

وأهدى عز الدين البويهي إلى حمدان بن ناصر الدولة هدايا من جملتها ستمائة ثوب من الخز ومائة مطرف[4]. وأهدى المعز بن باديس إلى الظاهر الفاطمي هدايا فيها ألف وخمسمائة ثوب من يعمل منه الوسائد والستور والطنافس والفرش والثياب والمطارف. لقد كانت في العصر العباسي عدة بلدان منها الكوفة[5]، وشيراز[6] والمعمين[7]. غير أن أشهر مكان لإنتاجه هو السوس في الأهواز. فقد روى المقدسي أن من السوس السُّكّر الكثير والبزّ والخزوز[8]. ويقول من السوس الخزوز الثقيلة ومنها تحمل إلى الآفاق[9]. وقد ورد ذكر الخزّ السوسي بكثرة في حكاية أبي القاسم[10]. وفي الذخائر والتحف[11] ورد ذكر العمائم والمطارف السوسية[12]. ويقول المسعودي إن صناعة الخز في السوس ترجع إلى الزمن الذي نقل إليها أسرى الروم.

---

(١) الذخائر والتحف ٢١٦، مطالع البدور ٦١٨.
(٢) مطالع البدور ٦١ عن الرشيدي.
(٣) الذخائر والتحف ٢٧.
(٤) المصدر نفسه ٦٦.
(٥) الموشى ١٧٩.
(٦) أحسن التقاسيم ٤٤٢.
(٧) الذخائر والتحف ٦٨.
(٨) أحسن التقاسيم ٤١٦.
(٩) صورة الأرض ٢٥٤.
(١٠) حكاية أبي القاسم ٣٥.
(١١) الذخائر والتحف ٢٧.
(١٢) الموشى ١٣٦، ١٧٩.

وذكر الرشيدي طنافس الخزّ (الذخائر ٣٠، ١٥٠). وورد ذكر الخز السوسي والمغربي والمقطوع والهشامي (الذخائر ٧٥، ٣٠، ٧٩، ٨١، ٨٣، ٩٦، ١٠٥، ١٢٧، ١٦٢، ١٦٤، ٤٣، ٢٩٠، ٣٠٢، ٣٥٥).

الديباج

الديباج صنف متميز عن الخزّ، فقد ذكر مالك «خزاً أو حريراً أو قطناً أو كتاناً أو صوفاً»[١]. وذكر الأصفهاني «أن الفرزدق لبس الديباج والخزّ وقعد في فنه»[٢].

يقول ابن منظور: «والديباج الثياب المتخذة من الإبريسم»[٣]. والربح هو النقش والتزيين، مما يدل على أن الديباج كان في الغالب مزخرفاً. وذكر للرسول جبّة طويلة لها ديباج[٤]. وذكر مسلم قباء ديباج أهدي للرسول (ص) كما ذكر الأصفهاني قباء ديباج على زياد الأعجم[٥].

ورد في المصادر ذكر جبة ساج مزرورة بالديباج[٦]، والساج المزرور بالديباج والطيلسان المزرر بالديباج. وقد استعمله كل من عروة بن الزبير[٧] وسعيد بن المسيب[٨]، وأبي هريرة[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]، وأبي ميسرة وأصحابه[١١]. وذكرت المصادر أيضاً الطيلسان المدبج كان لكل من الأسود ابن هلال[١٢] ولابراهيم النخعي[١٣]. والطيلسان المدبّج (هو الذي زيّنت

---

(١) المدوّنة ١٥/١٧٩
(٢) الأغاني ٨/٨٦.
(٣) لسان العرب ٣/٨٦.
(٤) مسلم ٢/١٥٢، ابن حنبل ٦/٣٤٧.
(٥) الأغاني ١٤/١٠٠.
(٦) ابن حنبل ٢/١٧٠.
(٧) ابن سعد ٥/١٣٤.
(٨) المصدر نفسه ٥/١٠٣.
(٩) المصدر نفسه ٤-٥/٥٨.
(١٠) المصدر نفسه ٦/١٨٧.
(١١) المصدر نفسه ٦/٧٢.
(١٢) المصدر نفسه ٦/٨١.
(١٣) لسان العرب ٣/٨٦.

أطرافه بالديباج)[١]. وقد ذكر أيضاً قميص مكفوف بالديباج على جعفر الصادق (رض)[٢] كما ذكر رحل مليس بالديباج[٣].

وفي مصادر العصر العباسي، إشارات كثيرة إلى الديباج واستعمالاته، ممّا يدلّ على توسُّع انتشاره في قصور الخلفاء بخاصة. كما ذكر عن طيالس مثقلة خلعت على وفد ملك الروم[٤] وأقبية مما أهداه خمارويه للمعتصم[٥]، والتكك المنسوجة[٦]. والوسائد[٧]. والخرائط البريسمية[٨]، والستور[٩]، والجلال والمفرش[١٠]، من الديباج مثقل وأبو قلمون مذهب[١١]، والوشي من الديباج بالذهب المنسوج[١٢]. وكان الثائرون عند إلقاء القبض عليهم يلبسون دراعة ديباج كما حدّث بابك الخرمي[١٣]، وابن أبي ربح[١٤].

أشارت مصادر العصر العباسي إلى أشهر أماكن صنع الديباج، ومنها الهند[١٥] وخراسان[١٦] وشيراز[١٧]. غير أن أهم البلاد التي تنتج الديباج هي بلاد الروم وتستر. فأما بلاد الروم، فإن الثعالبي يذكر أن الديباج من خصائص الروم[١٨]؛ وقد أشارت المصادر إلى الديباج الرومي[١٩].

---

(١) لسان العرب ٣/٨٦.
(٢) الكافي ٦/٤٥٥.
(٣) الأغاني ١/٢٥٨.
(٤) عريب ٣٤.
(٥) الطبري ٣/٢١٣٣.
(٦) الموشى للوشّاء ١٨٦.
(٧) الذخائر والتحف ٢١٤، مطالع البدور ٦١.
(٨) رسوم دار الخلافة ١٢٧، الموشى ١٢٧.
(٩) رسوم دار الخلافة ١٦، الذخائر ٧٨، ٢١٤، اتعاظ الحنفا ٢/١٣٩.
(١٠) الذخائر والتحف ٤١، ٤٢.
(١١) نشوار المحاضرة ٨/٧٨
(١٢) حكاية أبي القاسم ٣٥.
(١٣) الطبري ٣/١٢٣١.
(١٤) عريب ٢٠٠، مسكويه ١/١٧٥.
(١٥) لطائف المعارف ٢١٥.
(١٦) الذخائر والتحف ٢٧.
(١٧) المقدسي ٤٤٢.
(١٨) ثمار القلوب ٥٣٥.
(١٩) انظر الذخائر والتحف ٤٣، ٤٥، اتعاظ الحنفا ٢/٢١٤، الأغاني ١٩/١٣٨.

وذكر الخسرواني الرومي التستري المثقل[1]. وقد كسا هشام الكعبة بالديباج الخسرواني وكانت منه كسوتها أن تكسى بأنسجة اليمن[2]. أما تستر فإن المسعودي يقول: «غزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم، فنقل خلقاً من أهلها أسكنهم في بلاد السوس وتستر وغيرها من مدن كور الأهواز فتناسلوا وقطنوا تلك الديار، فمن ذلك الوقت صار الديباج التستري وعدة من أنواع الحرير يعمل بتستر»[3]. ويقول ابن حوقل يتخذ بتستر الديباج الذي يحمل إلى جميع الآفاق، وكانت تعمل بها كسوة الكعبة للبيت الحرام إلى أن افتقر السلطان وحلفه به الرحمة ويكون بتستر لجميع من ملك العراق طراز وصاحب يستقل له ما يشتهيه[4]. ويقول المقدسي «تستر معدن كل حاذق له في عمل الديباج والقطن»[5]. ويرتفع من تستر الديباج الحسن[6]. وذكر الرشيدي الفرش الديباج التستري[7]. وذكر أبو القاسم البغدادي ديباجاً تسترياً بالذهب[8].

تتخذ من الديباج الستور[9]، والقباب، والخيام، والخرائط، والوسائد. وتتخذ منه الألبسة والثياب بما في ذلك الطيالسة، والأقبية والبرانس، والدراريع، والخفتان، والجلال، والتكك.

وقد ذكرت من أنواع الديباج: الديباج الرومي[10] من خصائص الروم[11]

---

(١) الذخائر والتحف ٧، ٣٠، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٩/٥، ٦٢، ٦٣، ٧٥، ٧٧، ١٦٧، ١٧٧، ١٨٥، ٢٦٣، ٣٠٢، ٣١٥، وانظر اتعاظ الحنفا ٢/ ٢١٤.

(٢) فتوح البلدان ٤٦، الطبري ٣/ ٣٠١٣.

(٣) مروج الذهب ٣/ ١٨٦.

(٤) ابن حوقل ٢٥٤.

(٥) أحسن التقاسيم ٤٠٩.

(٦) المصدر نفسه ٤١٦.

(٧) الذخائر والتحف ٦٦.

(٨) حكاية أبي القاسم البغدادي ٥.

(٩) الذخائر والتحف ٧٨، ٢١٤، رسوم دار الخلافة ١٦، اتعاظ الحنفا ٢/ ١٤، ١٣٩.

(١٠) غريب ٩١، الذخائر ٤٣، ٤٥، اتعاظ الحنفا ٢/ ٨٣.

(١١) ثمار القلوب ٥٣٥.

وديباج تستري[1] بالذهب وديباج خراساني[2]، وديباج من الهند[3]، وديباج ملكي قيمته مائتا دينار هدية عضد الدولة[4]، وديباج خسرواني[5] رومي تستري مثقل[6].

وأكثر الخسرواني مذهّب أو مطرّز، وهو أحمر[7]. وهو الحرير الرقيق الحسن الصنعة الذي ذكره في شعره الفرزدق:

لَبِسْتُ الفِرَنْدَ الخسروانيَّ فَوْقَهُ مشاعرُ مِنْ خَزِّ العراقِ المُطَوَّفِ[8]

وقال ذو الرمة:

كأنَّ الفِرِنْدَ الخسروانيَّ بشنةٌ بأعطافِ أنقاءِ الصفوقِ العواتكِ

من المنسوجات التي ذكرتها المصادر السقلاطون[9].

الجلود:

تتوفر في الجزيرة مختلف الحيوانات الداجنة والوحشية، كثير منها كان يستفاد من جلدها محلياً، غير أننا سنقصر بحثنا على ما أشارت المصادر إلى استعماله، مرجحين أن ذكر نوع من الجلد دليل على كثرة استعماله بخاصة وأننا في بحثنا هذا لا نعتمد على الأخبار الأدبية التي تذكر حوادث فردية أو جزئية قد تكون فريدة، إنما نعتمد على مصادر لغوية بالدرجة الأولى، تهتم بالشائع المعروف.

الماعز: ذكر الجاحظ في كتاب الحيوان معلومات قيّمة عن مدى استخدام جلد الماعز، فهو يقول: «ولا يذكر الماعز بفضيلة إلا بارتفاع ثمن جلده وغزارة لبنه، فإذا صرت إلى عدد كثرة النعاج وجلود النعاج والضان كلها أربى ذلك على

(١) الذخائر والتحف ٦٦، حكاية أبي القاسم ٣٩.
(٢) الذخائر والتحف ٢٧.
(٣) لطائف المعارف ٢١٥.
(٤) رسوم دار الخلافة ٩٨.
(٥) حكاية أبي القاسم ٧٧؛ وانظر عن البساط الخسرواني، اتعاظ الحنفا ٢/٢٩٣.
(٦) الذخائر ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٨٦، ٩٥، ٩٩، ١١٩، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٣، ١٨٥، ٣٠٢، ٣١٥.
(٧) اتعاظ الحنفا ٢/٢٨، ١٨٣، ٢٨٣، ٢٩٠.
(٨) المعرب للجواليقي ٦٠.
(٩) الذخائر والتحف ٦٣، ٦٤؛ الهفوات النادرة ٣٢٦.

ما يفضل به الماعز الضان في ثمن الجلد والغزر في اللبن»[1]. ويقول أيضاً: «وربما بيع جلد الماعز بثمانين درهماً وأكثر، والشاة إذا كانت كذلك فلها غلة نافعة فإنها تقوم بأهل البيت، والنعاج البقرية من السبت وغير السبت مقسوم نصفها بين الماعز والبقر، لأن الشرط من جلودها خطر وبذلك القبي والشسع»[2]

ويقول أيضاً: «من جلودها تكون القرب والزقاق والمناكل، وكل خرج وثغر ورطب وسكية وسقاء وقرادة مسطوحة كانت أو مثلوثة، ومنها ما يكون الخوان والبطائن والجرب، ومن الماعز يكون أنطاع البسط وجلال الأثقال في الأسعار وجلال قباب الملوك، وبقباب الأدم يتفاخر العرب.

قال عبيد بن الأبرص:

فاذهب إليكَ فإني من بني أسَدٍ   أهلُ القبابِ وأهلُ الجودِ أندادي»[3]

الغنم: أما جلود الغنم، ففي كتاب الرسول لوفد همدان أن لهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفار والكبش الحوري. يقول ابن الأثير: الحور جلود تتخذ من جلود الضان، وقيل هو ما دبغ من الجلود بغير القرظ، وهو أحد ما جاء على أصله ولم يعلم[4].

وقد وردت عدة تفسيرات للحور، فيذكر ابن سيده عن ابن الأعرابي الحور جلود بيض، وقال مرة الحور جلد رقيق كأنما يمزقن بالجلد الحور. وقال أيضاً الحور جلد أحمر يؤتى به من فارس.

والحور الجلد المصبوغ. يقول أبو عبيدة: الحور السلف، وقيل هي جلود تعمل منها الأسفاط.

ويقول ابن منظور: والحور البقر لبياضها.. والحور الجلود البيض الرقاق تعمل فيها الأسفاط، وقيل السلفة، وقيل الحور الأديم المصبوغ بحمرة. وقال أبو حنيفة هي الجلود الحمر التي ليست بقرظية.. وقال الشاعر:

---

(١) الحيوان ٥/١٣٦؛ فصّلنا في بحث الجلود لقلّة اهتمام الباحثين الحديثين بدراستها.
(٢) المصدر نفسه ٥/١٤١.
(٣) المصدر نفسه ٥/١٤٣.
(٤) لسان العرب ٥/٣٠١.

فظلَّ يرشَحُ مِسكاً فوقَهُ عَلَقٌ   كأنما قُدَّ في أثوابِهِ السحورُ[1]

البقر: ذكرت أيضاً جلود البقر، فيقول ابن السكيت: «ذو بقر الترس يعمل من جلود البقر وأنشد:

وذو بقر من صنع يثرب مقفلٌ   وأسمرُ داناه الهلاليُّ يعترُه»

الإبل: يدعى جلد البعير الجَلَد[2]. يذكر ابن منظور عن ابن سيده اليلب الترسة، وقيل الدرق، وقيل هي البيض تصنع من جلود الإبل، وهي نوع كانت تتخذ وتنسج وتجعل على الرؤوس مكان البيض[3] . ومما يذكر أنه يصنع من جلد الإبل أيضاً الجحف، وهي ضرب من الترسة واحدتها جحفة. وقيل هي من الجلود خاصة وقيل هي من جلود الإبل متورة. وقال ابن سيده هي من جلود الإبل يطارق بعضها ببعض[4].

الحيتان: لقد ذكر من جلود الحيتان السفن، وهو جلد خشن غليظ كجلود التماسيح يكون على قوائم السيوف، وقيل هو حجر ينحت به ويلين وقد سفنه... وقال أبو حنيفة السفن قطعة خشناء من جلد ضب أو جلد سمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المجراة، وقيل السفن جلد السمك الذي تحك به السياط والقدحان والسهام والصحاف ويكون على قائم السيف.

وقال الأعشى:

ومن كُلِّ علمٍ له غزوةٌ   تحكُّ الدوايرَ حكَّ السُفُنْ

وقال الليث، وقد يجعل من الحديد ما يسفن به الخشاب، أي يحك به حتى يلين، وقيل السفن جلد الأطوم، وهي سمكة بحرية تسوّى قوائم السيوف من جلدها[5].

---

(١) لسان العرب ٥/ ٣٠.
(٢) فقه اللغة للثعالبي ١١٤.
(٣) لسان العرب ٢/ ٣٠٦.
(٤) المصدر نفسه ٧/ ٣٨٢.
(٥) المصدر نفسه، مادة حفث.

جلود الحيوانات الوحشية: يذكر الجاحظ بعض أنواع الجلود فيقول: وخير السنجاب القاقم ثم الظهور منه، ثم الخزري، ثم الخوار.

وخير الثعالب الأسْوَد الخزري الغليظ الشعر الذي لا يُغشّ بصبغ، ثم الأبيض ثم الأحمر المحصري ثم الأحمر الخزي ثم الخلنجي. وخير القاقم أكثرها أذناباً، وخير السمور الصيني، ثم الخزري الشديد البياض مع شدة السواد الطويل الشعر، ومنتهى ثمن الجلد منها (نمور البربر) خمسون ديناراً، وأما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يبلغان في الثمن ولا يرتفعان، وخير النمور الوشي[1].

تروى عن الجلود أحاديث، جاءت عن طريق معاوية، أن رسول الله نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها[2]، وأنه نهى عن جلود النمور[3]. غير أن هذه الأحاديث مشكوك بصحتها، فقد وردت من أخبار القرن الأول عدة روايات عن استعمال المسلمين الصحابة والتابعين في الألبسة الجلود. فيروي البخاري أن الحسن ركب على سرج من كلاب البحر[4].

واستعملت العرب الجلود لأغراض متعددة منها:

في السلاح

الترس: فيقول ابن السكيت ذوبة الترس يعمل من جلود البقر، وأنشد:

وذو بقرٍ من صُنْعِ يثربَ مقفلٌ وأسمرُ داناهُ الهلاليُّ يعترُ[5]

اليلب: فينقل ابن سيده عن أبي عبيدة، اليلب الدرق، ويقال هي جلود تلبس بمنزلة الدروع، وقيل جلود يخرز بعضها تلبس على الرؤوس خاصة، وقيل هي جلود تعمل منها دروع وتلبس وليست بترسة[6]. ويقول ابن منظور «اليلب

---

(١) التبصر بالتجارة ٣٣٩.

(٢) ٤٠، خاص ١٩، مناسك ٢٣، الترمذي لباس ٣١، ابن حنبل ٤/ ١٠١٠.

(٣) ٩٩، ٢٣، ٣٢٤.

(٤) البخاري ذبائح ١٢.

(٥) المخصص ٦/ ٧٥.

(٦) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

دروع يمانية، وقيل الدرق، وقيل هي البيض تصنع من جلود الإبل، وهي نوع كانت تتخذ وتنسج وتجعل على الرؤوس مكان البيض، وقيل جلود يُخرز بعضها إلى بعض تُلبس على الرؤوس خاصة. . وتعمل منها دروع، وقيل هي اسم جنس الواحد من كل ذلك يلبه، واليلب الفولاذ من الحديد. قال عمرو بن كلثوم:

علينا البيضُ واليلبُ اليماني　　وأسيافٌ يقمنَ وينحنينا

قال ابن السكيت سمعه بعض الأعراب فظن أن اليلب أجود الحديد، فقال: ومحور أخلص من ماء اليلب. قال الجوهري ويقال اليلب كل ما كان من جنس الجلود ولم يكن من الحديد، قال ومنه قيل للدرق يَلَب، وقال:

عليهم كلُّ سابغةٍ دلاصٌ　　وفي أيديهِمُ اليلبُ المدارُ

قال واليلب في الأصل اسم ذلك الجلد. قال أبو دهبل الجمحي[1]:

درعي دلاصٌ سكّها سكٌّ عجبْ　　وجوبها القاترُ من سيرِ اليَلَبْ

الجحفة: يروي ابن سيده عن أبي عبيدة الجحفة من جلود وهي الدرقة. ويقول ابن منظور جحف ضرب من الترسة واحدتها، جحفة وقيل هي من الجلود خاصة، وقيل هي من جلود الإبل مقورة. وقال ابن سيده هي من جلود الإبل يطارق بعضها ببعض. قال الأعشى:

لسنا بعيرٍ وبيتُ اللهِ مائِرةُ　　لكنْ علينا دروعُ القومِ والجحفُ

ويقال للترس اذا كان من جلود ليس فيه خسب ولا عقب جحفة ودرقة والجمع حجف. .[2].

ويذكر الجاحظ أن «الماعز من جلودها تكون القرب والزقاق وآلة المشاعل وكل نحيف وسمين، ووطب وشكية وسقاء ومزادة، مسطوحة كانت أو مثلوثة، ومنها ما يكون المخون وعكم السلف والبطاين والجرب، ومن الماعز تكون

(١) لسان العرب ٣٠٦/٢ .
(٢) المصدر نفسه ٣٨٢/١٠

أنطاع البسط، وجلال الأثقال في الأسفار، وجلال قباب الملوك وبقباب الأدم تتفاخر العرب»[1].

ويذكر الثعالبي جلد السير، مسد الجلد، خرز الخف خصف النعل، كتب القربة[2]. كما يذكر المحط الخشبة التب يعقل بها الأديم وينقش ويستعملها الأساكفة والمجلّدون، الخباة للحذاء، الغزرم للإسكاف[3]. وتستعمل الجلود للرحال[4] والقباب، وكانت لرسول الله قبة حمراء من أدم[5].

ألوان الجلود: ذكرت المصادر عده ألوان للجلود:

الأبيض: يقول الثعالبي القضيم الجلد الأبيض عن أبي عبيدة:

ويروي ابن سيده عن أبي الأعرابي أن الحور جلود بيض[6]. كما يروي ابن منظور أن الحور الجلود البيض الرقاق تعمل فيها الأسفاط[7].

الأحمر: ذكرنا بعض الروايات التي تقول إن الحور جلد أبيض، والواقع أن روايات أخرى تذكر أن الحور جلد أحمر يؤتى به من فارس[8]. وقيل الحور الأديم المصبوغ بحمرة. وقال أبو حنيفة هي اللبود الحمر التي ليست بقرط.

وقال الشاعر:

فظل يَرْشَحُ مسكاً فوقَهُ عَلَقٌ ... كأنما قدّ في أثوابه الحَوَرُ

قال الجوهري: الحور جلود حمر يُغشّى بها السلال، الواحد حورة. وقال الحجاج يصف مخالب البازي:

بمَخَجَباتٍ يَتَشَقَّبْن البُهَرْ ... كأنما يَمْزِقْنَ باللحمِ الحَوَرْ[9].

---

(١) الحيوان ٥/ ٤٨٥ - ٤٨٦.
(٢) فقه اللغة ١١٤
(٣) المصدر نفسه ٢٥٧
(٤) ابن حنبل ٢/ ١٢٠، أبو داود لباس.
(٥) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ماده آدم .
(٦) المخصص ٤/ ١٠٣
(٧) لسان العرب ٥/ ١٠٣
(٨) المخصص ٤/ ١٠٣ .
(٩) لسان العرب ٥/ ٣٠١

إن هذه التشبيهات توحي بأن لون الحور الأدكن هو أقرب منه إلى الأحمر.

الأسود: الأرندج الجلد الأسود[1].

يقول ابن منظور المحرّم من الجلود: ما لم يدبغ أو دبغ فلم يتمرّن ولم يبالغ، وجلد محرّم لم تتم دباغته.

وكان العرب يسوون سياطهم من جلود الإبل التي لم تدبغ، يأخذون الشريحة العريضة[2]. وقد تدهن الجلود بشحم الحيوانات. فيروي الليث عن جابر بن عبد الله عن الرسول، يقول حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس، فقال لا هو حرام، ثم قال رسول الله عند ذلك: قاتل الله اليهود إن الله لمّا حرم شحومها أجملوها، ثم باعوه فأكلوه شحمة[3]. ويقول محمد بن حسن الشيباني «ولو أن رجلاً أراد أن ينتفع بشحم ميتة للدباغ أو للسراج أو غير ذلك بشيء من ذلك كان عندنا مكروهاً»[4].

الدباغة:

ذكرت بعض أنواع الدباغة التي تعطي للجلد ميزة خاصة أخرى ومنها:

١ ـ اللك، فيقول ابن سيده اللك تصبغ به الجلود التي يقال لها اللكاء، وليس ببلاد العرب ولكن قد جرى في كلامهم[5]: «صاحب العين جلد ملكوك مصبوغ اللك، ماينحت من الجلود الملكوكة تشد به نصب السكاكين»[6]. ويذكر ابن سيده أيضاً: «اللك وهو يعم العود كله فيكون له كالغرف وإذا أطبخ واستخرج صبغه فهو اللك بالضم تصبغ به الجلود التي يقال لها اللكاء»[7]. ويقول النويري: «وأما اللك فيقال له أنه يسقط على قضبان الكروم من بلاد

---

(١) فقه اللغة ٦٧ .

(٢) لسان العرب ١٥/١٦.

(٣) البخاري بيوع ١١٢، ابن حنبل ٢/٣١٣.

(٤) الحجج ٣٥٢.

(٥) المخصص ١١/٢١٦.

(٦) المصدر نفسه ١١/٢١٨.

(٧) المصدر نفسه ١١/٢١٧.

الهند فينعقد عليها، وزعم قوم أنه صمغ يلقط من قضبان الكروم»[1]. وقد ورد اللك في شعر للأخطل.

وقرّبن للبينِ الجمال وزيّنت   بأحمرَ من لكِّ العراق وأسودا[2]

٢ ـ الغرف: قال الأصمعي: الغرف .. جلود يؤتى بها من البحرين. وقال أبو خيرة الغرفية يمانية وبحرانية[3].

قال ابن السكيت: الغرف هو الثمام. وقيل ما دام أخضر فهو غرف، فإذا يبس فهو ثمام. قال أبو عبيد «الغرف شجر يدبغ به»[4].

٣ ـ السبت: وهو الجلد المدبوغ[5].

ذكرت بعض الأماكن المنتجة للجلود:

١ ـ البحرين: وكانت تصدّر الغَرْف[6].

٢ ـ يثرب: تنتج البقر، وهو الترس الذي يعمل من جلد، والبقر كما يتجلّى في البيت التالي:

وذو بقر من صنع يثرب مقفلٌ   وأسمرُ داناه الهلاليُّ يعتَرُ[7]

٣ ـ العراق: وقد ذكر أنه ينتج اللك كما يتجلّى من قول أحد الرعاة في وصف الهوادج:

....   بأحمر من لُكّ العراقِ وأصفرا[8]

٤ ـ اليمن: يقول ابن رسته: «ومن عندهم يجلب الأدم والنعال المشعرة

(١) نهاية الأرب ١١/٣٢٦.
(٢) ديوان الأخطل ٣/٩٠.
(٣) لسان العرب مادة غرف.
(٤) المخصص ١١/١٤١.
(٥) فقه اللغة ١١٤.
(٦) لسان العرب مادة غرف، عن الأصمعي.
(٧) المخصص ١١/٢١٦.
(٨) المصدر نفسه ١١/٢١٨.

والأنطاع»[١]. ويقول المقدسي: «اليمن معدن العصائب والعقيق والأدم والرقيق، ومن خصائص هذه النواحي أديم زبيد.. وأنطاع صعدة وركائها»[٢]. ويقول أيضاً: «نجران مثل جرش وهما دون صعدة وأكثر ما ترى من الأدم فمن هذه المدن»[٣].

الخفاف والنعال:

يذكر الجاحظ أن العرب تلهج بذكر النعال، والفرس تلهج بذكر الخفاف[٤]. وفي الحديث المأثور أن أصحاب رسول الله (ص) كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصفر، ويقولون هو من زينة نساء فرعون. ويقول ابن رسته: «أول من لبس الخفاف الساذجة في البصرة وثياب الكتان زياد بن أبيه»[٥].

ذُكرت الخفاف في عدد من النصوص، فيروي الأصبهاني أن معبد كان في ثياب السفر وعليه فرو وخفان غليظان وزي جاف من زي أهل الحجاز[٦]. ويروي وكيع عن أيوب ويحيى عن محمد أن رجلاً يقال له رزين ولعلّه كان أميراً على قوم، فغصب رجلاً برذوناً فأتى شريحاً، وجاء معه قوم يشهدون عليهم ثياب سود، وعليهم ثياب خفاف معقبة[٧].

ويروي سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن يزيد بن حازم: رأيت علي بن الحسين يلبس طيلساناً كردياً غليظاً ينتعل يمانيين غليظين[٨]. ويروي الكافي عن جعفر الصادق أنه قال أن الخف الأحمر للسفر، وأما الحضر فلا تعدلن بالسواد شيئاً. وعن أبي جعفر أنه قال «أن البيض من الخفاف يعني المقشورة من لباس

(١) الأعلاق النفيسة ١١٢.
(٢) أحسن التقاسيم ٩٨.
(٣) المصدر نفسه ٨٧.
(٤) البيان والتبيين٣/ ٥٥.
(٥) الأعلاق النفيسة.
(٦) الأغاني ١/ ٤٩.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٣٥٠.
(٨) ابن سعد ٥/ ١٦١.

الجبابرة،وهم أول من اتخذها، والحمر من لباس بني هاشم»[1]. أما النعال فقد تردد منها ذكر الحضرمي فيروي ابن سعد أن مصعب بن عمير «كان أعطر أهل مكة يلبس الحضر من النعال».

تردّد ذكر النعال السبتية فيروى «أن النبي رأى رجلاً يمشي بين القبور في نعليه فقال ياحب السبتين اخلع يمينك»[2]. «وخرج الحجاج يتوطأ في سبتين له»[3]. «وفي حديث عمار قيل له إنك تلبس النعال السبتية؛ إنما اعترض عليه لأنها نعال أهل النعمة والسعة»[4].

ويروي ابن حنبل عن «وكيع عن العمري سعيد المقبري ونافع عن ابن عمر أنه كان يلبس السبتية ويتوضأ فيها وذكر أن النبي (ص) كان يفعله»[5].

وقال عتيبة بن الحارث: إنا معشر لا يخصفون نعالهم ولا يلبسون السبت ما لم يخصر. وروى ابن الأعرابي: كسبت اليماني قده لم يجرّد.. وقال: القد النعال لم تجرّد من الشعر فتكون ألين منه. ويروي الجاحظ: كان أبو العتاهية أهدى إلى أمير المؤمنين المأمون.. أردية قطرية وركاء يمانية ونعالاً سبتية يقول الأصمعي السبت الجلد المدبوغ، ويضيف الجاحظ: فإن كان عليه شعر أو صوف أو وبر فهو مصحب. ويقول أبو عمرو النعال السبتية هي المدبوغة بالقرظ. ويقول الجوهري السبت جلود البقر المدبوغة بالقرظ تتخذ منه النعال السبتية. والصفة الأساسية في النعال السبيتة أنها لا شعر عليها. قال الأزهري كأنها سمّيت سبتية لأن شعرها قهد عنها، أي حلق وأزيل بعلاج من الدباغ معلوم عند دباغها. وقد روى أن عبيد بن جريج قال لابن عمر رأيتك تلبس النعال السبتية، فقال رأيت النبي (ص) يلبس النعال التي ليس عليها شعر ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها، قال إنما اعترض عليها لأنها نعال أهل النعمة والسعة[6].

---

(١) الكافي ٦/٤٦٦.
(٢) الموشى ١٧٩.
(٣) المصدر نفسه ١٨٦.
(٤) المصدر نفسه ١٣٦.
(٥) حكاية أبي القاسم ٣٧.
(٦) الكافي.

ورد ذكر النعال السبتية في عدد من الأحاديث مما يدل على كثرة استعمالها في زمن الرسول(ص).

وذكر عن أبي عبد الله أنه وصف النعل الممسوحة بأنها حذاء اليهود، وأنه وصف نعلاً معقبة مختصر من وسطها لها قبالان ولها رؤوس، فقال هذا حذاء النبي، وأنه كره عقد شراك النعل، وكان يفضّل النعل الصفراء لأنها (لباس النبين)، ولأنها أرخص من النعال السوداء[1].

ويذكر الوشّاء أن الرجال الظرفاء وذوي المروءة الأدباء من زيهم لبس النعال الزيجية والثخان الكنبانية والمشعرة اليمانية، والحذو اللطاف والمحتمة الخفاف ويشرك أسودها بأحمر، وأصفرها بأسود، ويلبسون الخفاف الهاشمية، والمكسورة الكنبانية، ومن الأدم الخفيف بالجوارب الخز والمرعزي والقز، ويعيبون لبس الأحمر من الخفاف ولبس الدراشية الخفاف[2]. أما متظرفات النساء فمن زيهن لبس النعال الكنبانية المشعرة والمدهونة المخصرة، والخفاف الزنانية، والمكسورة والرهاوية[3]. كما يذكر أن الجارية عندما تتمكن من قلب محبها تغلو في طلباتها ومما تطلبه الخفاف الزنانية، والنعال الكنبانية[4]. ويعيب مؤلف حكاية أبي القاسم البغدادي الأصبهانيين فيقول «ولا أرى في أسباب دوركم وأمتعتكم لمعارضكم خفافاً طاقية ولا نعالاً سندية»[5].

الغزل و الحياكة

يتطلب إعداد المنسوجات عدة عمليات متمايزة ومتكاملة، ولكنّ كلًّا منها منوعة، ويمكن القول إن هذه العمليات تبدأ بالغزل والنسيج والحياكة فالقصر والصبغ ثم الطي، والخياطة.

---

(١) الكافي.
(٢) الموشى ١٧٩.
(٣) المصدر نفسه ١٤٦.
(٤) المصدر نفسه ١٣٦.
(٥) حكاية أبي القاسم ٣٧.

ذكرت كتب اللغة عدداً من التعابير المتعلّقة بالغزل، وهي تذكر المغزل الذي يسمّى أيضاً الدرارة والمدرة. ويتطلّب الغزل إعداد مادة الغزل، وفي اللغة كلمات تدل عليها منها السليلة «شعر ينفسق ثم يطوى ويشد، ثم تسل منه المرأة الشيء بعد الشيء تغزله»[1]. والجحشة «صوف كالحلق يجعله الرجل في ذراعه ويغزله»[2]. والقرماس «شيء يلف عليه الصوف والقطن ثم يغزل»[3]. «ويسمّى ما يخرج من الغزل نصل الغزل»[4]. والمردون هو الثوب المنسوج بالغزل المردون، والردن هو «المغزل يفتل إلى قدام، وقيل هو الغزل المنكوس، والمردن المغزل الذي يغزل به الردن»[5].

يقول ابن المجاور عن أهل اليمن: وتغزل نساء هذه الديار (اليمن) القطن كما يغزل الوبر بالقانون، غليظ.

ويقول في مكان آخر: حدّثني عبد الله بن محمد بن يحيى الحائك، قال: ينقسم غزل النساء في اليمن على وجهين، منه الفارس ومنه الحميري، وهو الذي يخرج الإصبع الوسطى على الإبهام في الغزل، والفارس الذي يدخل الإبهام على الإصبع الوسطى فوق الغزل[6].

يقترن الغزل بالنساء في كثير من النصوص، ممّا يدل على أن معظم الغزل كانت تقوم به النساء. فقد ذكر السرخسي المغزل للمرأة[7]. وروى ابن عباس عن الرسول أن النبي قال نعم لهو للمرأة المغزل. وعن عائشة قالت: قال (ص) مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله، وأيما امرأة ألبست زوجها من غزلها كان لها بكل سدى ولحمة مئة ألف حسنة. وعن أنس قال: قال رسول الله (ص) مروا نساءكم بالمغزل فإنه خير لهن وأزين. وعن ابن عباس: التي

---

(١) المخصص ٢٥٩/١٢ (عن ابن السكيت).
(٢) المصدر نفسه ٢٦٠/١٢.
(٣) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(٤) المصدر نفسه ٢٥٩/١٢ (عن ابن ذبية).
(٥) المصدر نفسه، الموضع نفسه، لسان العرب ٣٦/١٧.
(٦) المستبصر ٢٥٦/٢.
(٧) المبسوط ٢١٣/٥.

تغزل فإنها تسبّح[1]. وعن سهل بن سعد أن النبي قال: عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل البارات من النساء المغزل[2].

كانت بعض النساء تغزل لأسرتها، فيروي البخاري أن امرأة جاءت ببرد فقالت يارسول الله أني نسجت هذه بيدي أكسوكها[3]. غير أن بعض النساء كن يغزلن للناس. ففي تفسير الثعالبي أن علياً انطلق إلى يهودي يعالج الصوف، فقال له هل لك أن تعطيني جزءاً «من الصوف تغزلها لك بنت محمد بثلاثة أصع»[4]. وفي كتب الفقه كثير من النصوص التي يقترن فيها الغزل بالنساء؛ فيروي محمد بن حسن الشيباني عن أبي حنيفة: «رجل قال أني لبست من فلانة ثوباً»[5]. ومن الطبيعي أن النساء لم يحتكرن النسيج، فقد كان الرجال أيضاً يقومون به[6]. فيروي مالك «قلت لابن القاسم أرأيت أن رفعت إلى حائك غزلاً ينسجه وقلت له زد عليه رطلاً من غزل من عندك»[7]. وكان يسمى الغزّال العصّاب[8].

النسيج:

العملية الأساسية في النسيج هي تداخل الخيوط بنمط خاص، ويسمّى أسطل الثوب السدى[9]، ويسمّى أعلى الثوب اللحمة، وهو ما سدى بين الشدتين[10].

ذكر الشافعي المنسوجات وأنواعها، وفيها كثير مما يقوم الفرق فيه على أسلوب عملية النسيج، فقال أن الثوب «إن كان من غير وشي من العصب

(١) البركة في فضل السعي والحركة ٥٧-٥٩.
(٢) المصدر نفسه ٥٧.
(٣) البخاري كتاب البيوع، باب النساج ٣٤/٣١.
(٤) البركة في فضل السعي والحركة ٥٩.
(٥) الجامع الصغير ٦٢.
(٦) المخصص ١٢/٤٥٩، لسان العرب ٥/٣٦٧.
(٧) المدوّنة ٣/٣٨.
(٨) لسان العرب ٢/٩٢.
(٩) المخصص ١٢/٥٩ (عن أبي زيد).
(١٠) المصدر نفسه ١٢/٢٥٦ (عن الخليل).

والحبرات وما أشبه وصفه ثوب حبرة من عمل بلد كذا: رقيق البيوت أو متروكاً مسلسلاً أو جنسه الذي هو جنسه وبلده، فإن اختلف عمل ذلك البلد قال من عمل كذا يعمل الذي يعرف به، وإذا عمل الثوب من قز أو من كتان أو من قطن وصفه، وإن لم يصف غزله إذا عمل من غزول مختلفة أو من كرسف مرن أو من كرسف خشن لم يصلح. وإن كان إنما يعمل من صنف واحد ببلده الذي سلف فيه لم يضرّه أن لا يصف غزله، وإن وصف الدقة والعمل والزرع[1].

والمميز الأساسي في النسيج هو شكل الخيوط التي تحاك، وهما صنفان أساسيان: السحيل والمبرم، فالسحيل ثوب لا يبرم غزله، أي لا يفتل طاقتين.. سحيل سحلوه إن لم يفتلوا سدته، وقيل السحيل الغزل الذي لم يبرم، وعرّف الجوهري السحيل: الخيط غير مفتول، والسحيل من الثياب ما كان غزله طاقاً واحداً، والسحيل من الحبال الذي يفتل فتلاً واحداً كما يفتل الخياط سلكه[2]. أما المبرّم فهو المفتول الغزل طاقين، ومنه سُمّي المبرّم وهو جنس من الثياب. والمبروم المغازل التي يبرم بها، والبريم خيطان مختلفان أحمر وأصفر، وكذلك كل شيء فيه لونان مختلفان، وقيل البريم خيطان يكونان من لونين[3]. وما كان سداه ولحمته طاقتين ليس بمبرم ولا مسحل يكون النسيج على خيطين خيطين.

يقول ياقوت: «النير القصب والخيوط إذا اجتمعت، والنيّر: العَلَم، وفي الصحاح: علم الثوب ولُحمته أيضاً. ابن سيده: نير الثوب علمه والجمع أنيار، ونِرْتُ الثوب أنيره نيراً وأنرته ونيّرته إذا جعلتُ له علماً.. وفي حديث عمر (رض) أنه كره النير وهو العلم في الثوب.. والاسم النيرة، وهي الخيوطة والقصبة إذا اجتمعتا، فإذا تفرّقتا سُمّيت الخيوطة خيوطة والقصبة قصبة، وإن كانت عصا فعصا، وعلم الثوب نير... ويقال للحمة الثوب نير.. وثوب منير منسوج على نيرين. عن اللحياني، ونيّر الثوب هدبه. ويقال لست في هذا الأمر بمنير ولا ملحم.. والطرّة من الطريق تُسمّى النّير تشبيهاً بنير الثوب هو العلم

(١) الأم ٣/٣٠٨.

(٢) لسان العرب ١٣/٣١٠، ٢/٣٤٩.

(٣) المصدر نفسه ١٣/٣٤٩، ١٢/٢١٠.

في الحاشية. وثوب ذو نيرين إذا نسج على خيطين وهو الذي يقال له ديابوذ، ويقال له في النسج المتاءمة، وهو أن ينار خيطان معاً ويوضع على الحفة خيطان، وأما ما نير خيطاً واحداً فهو السّحل، فإذا كان خيط أبيض وخيط أسود فهو المقاناة، وإذا نسيج على نيرين كان أصفق وأبقى».[1] ويقول ابن منظور: «العلم رسم الثوب وعلمه رقمه في أطرافه»[2] ويقول أيضاً: «رقم الثوب كتابته». وفي الحديث كان يزيد في الرقم أي ما يكتب على الثياب من أثمانها لنفع المرابحة عليه[3].

أما العَلَم، فقد ذكرت الكتب أن المطرف من الثياب في طرفيه علمان، وأن البرنكان كساء من صوف له علمان[4]. وذكر رداء سابري له علم[5] وخميصة شامية لها علم[6] والخميصة ملاءة معلّمة من خزّ أو صوف[7]، كما ذكرت عمامة لها علم لبسها محمد بن علي[8] وعمامة بيضاء لها علم أحمر[9] ويبدو أن العلم يكون عادة من الحرير، وأنه لهذا السبب كان عبد الله بن عمر يرى أنها حرام، وقد اشترى ابن عمر عمامة لها علم فدعا بالصالع فقصه[10]. غير أن بعض الصحابة كانوا يلبسونه. فيروى أن علي بن الحسن كان يلبس ثوباً مصلحاً، ويقول لابأس بالإصبعين العلم بالإبريسم في الثوب. وكان للقاسم بن محمد رداء يرى له علم. تنسج بعض الثياب النفيسة منفردة لا ينسج على منواله عدة أثواب، فيقال إنه نسيج وحده[11]. غير أن في الغالب أثواباً كثيرة تنسج على نمط واحد، وقد يكون الثوب قطعة واحدة، أو قد يكون أكثر من قطعة.

---

(١) لسان العرب ٧/ ١٠٥-١٠٦، وانظر المخصص ١/ ٤٥٩ (عن أبي زيد).

(٢) لسان العرب ١٥/ ١٤٠

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٨.

(٤) فقه اللغة للثعالبي ٢٤٦ (عن ابن السكيت)، لسان العرب ١١/ ١٢٣.

(٥) لسان العرب ١٢/ ٢٨١ (عن الفراء).

(٦) ابن سعد ٥/ ١٤٠، ١٤٢.

(٧) الموطأ ١/ ٩٠.

(٨) ابن سعد ٥/ ٢٣٧.

(٩) المصدر نفسه ٥/ ٧٥٢.

(١٠) البخاري أدب ٦٦، مسلم ٢/ ١٥١، أبو داود ٤/ ٨٢.

(١١) الأمثال للميداني ١/ ٣٤.

فالريطة هي «الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين، وقيل الريطة كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد»[1]. واللفق «أن تضم شقة إلى أخرى فتخيطها»[2]. «والثياب الملفّقة مثل العروض والمروي والملفق»[3]، والثوب مشبرق أفسد نسجاً وسخافة وصار الثوب شباريق أي قطعاً. وأنشد ذو الرمة:

فجاءت كنسج العنكبوتِ كأنَّهُ ... على عَصَوَيْها سابريٌّ مشبرقُ

والمشبرق من الثياب الرقيق الرديء النسيج، ويقال للثوب من الكتّان مثل السبنية مشبرق[4] وأشهر الثياب الرقيقة هي السابري. فذكر الثعالبي: «السابري هو الرقيق الناعم من كل ثوب»[5]. ويقول ابن منظور: «السابري من الثياب الرقاق.. وكل رقيق سابري». وفي حديث حبيب بن أبي ثابت: «رأيت على ابن عباس ثوباً سابرياً استُشف ما وراءه. وكل رقيق عندهم سابري»[6].

أدوات النسيج

تتطلّب الحياكة أدوات ذكرت بعضها كتب اللغة. ومما ذكرته:

١ ـ الاستاج أو الاستيج الذي يُلفّ عليه الغزل للنسيج بالأصابع[7].

٢ ـ الجحشة، صوف كالحلق يجعله الرجل في ذراعه ويغزلها[8].

٣ ـ المنسج، وهو الخشبة والأدوات التي ينسج عليها[9].

٤ ـ الوشيعة، وهي القصبة التي يجعل النسّاج منها لحمة الثوب للنسيج، وهي الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب[10].

---

(١) لسان العرب ٩/ ١٧٨.

(٢) المصدر نفسه ١٢/ ٢٠٦.

(٣) المدوّنة ١٥/ ١٧٩.

(٤) لسان العرب ٢/ ٣٧ (عن الليث).

(٥) لطائف المعارف ٨٥، ثمار القلوب ٥٤٠.

(٦) لسان العرب ٦/ ٩٥.

(٧) المخصص ١٤/ ٢٥٩، لسان العرب ٣/ ٧٩.

(٨) المخصص ١/ ٢٦٠ عن أبي زيد.

(٩) المصدر نفسه ٢/ ٢٦٠ (عن الخليل).

(١٠) المصدر نفسه ١٢/ ٢٦٠ (كتاب الرحل والمنزل ٣٣).

٥ ـ الحفة وهي الخشبة العريضة التي ينسق بها اللحمة بين السدى، وقيل الحفة العصبة التي تجيء وتذهب وهي الحلاف. ويقول أبو زيد «الحفة القصبات الثلاث»، والنيرة الخشبة المعترفة[١].

٦ ـ المخطّ وهو العود الذي يخطّ به الحائك الثوب[٢].

٧ ـ المطمر وهو الخيط الذي يقدّر به، ويسمّى أيضاً الزيج[٣]، ويقال له بالفارسية الشز.

٨ ـ النول وهي خشبة الحائك التي يلفّ عليها الثوب بأدوات الحائك المنصوبة وتسمّى أيضاً منوالاً[٤]، والنول أو المنوال الخشبة التي يلف الحائك عليها الثوب ويقال لها الحضة[٥].

٩ ـ الصيصة، وهي شوكة الحائك التي يسوّي بها السداة واللحمة[٦] أو هي «الشوكة التي يمدها على الثوب»، وقد اتخذت اسمها من القرون، لأنها تصنع منها.

١٠ ـ النير وهي الخشبة المعترضة[٧].

١١ ـ القاص الذي يطوف الثياب على أول طيها حتى تكسر على طيها[٨].

١٢ ـ المطرقة وهي عصا النجّاد التي يضرب بها الصوف لينتفش[٩].

الموقف من الحياكة

وردت أقوال في ذمّ الحياكة وما يتصل بالنسيج، فيروي أبو نعيم أن

---

(١) المخصص ١٢/ ٢٦٠.
(٢) المصدر نفسه ١٢/ ٢٦٠، كتاب الرحل والمنزل ١٣٣، فقه اللغة ٢٥٦.
(٣) المصدر نفسه ١٢/ ٢٥٨.
(٤) لسان العرب ١٣/ ١٠٨ (عن الليث).
(٥) كتاب الرحل والمنزل ١٣٣ (عن الأصمعي)، لسان العرب ١٣/ ٢٠٨.
(٦) لسان العرب ٥/ ٣٠٨.
(٧) المصدر نفسه ٧/ ١٠٦ عن أبي عبيدة.
(٨) المخصص ٢/ ١٥٩.
(٩) لسان العرب ١/ ٤٨٥.

الرسول (ص) قال: «العرب أكفاء لبعض الأحائك أو حجام»[1]. ويروي الجاحظ: «فأما الصناعات، فقد تقصر الأسباب بعض الناس على أن يصير حائكاً، وتقصر بعضهم على أن يكون صيرفياً، فهي وإن قصرته على الحياكة، فلم تقصره على خلف المواعيد وعلى إبدال الغزول وعلى تشقيق العمل دون الإحكام والصدق وأداء الأمانة»[2]. ويقول أيضاً: «وقد سمعنا قول بعضهم الحمق في الحاكة والمعلمين والغزالين. وقال: والحاكة أقلّ وأسقط من أن يقال لهم حمقى، وكذلك الغزّالون، لأن الأحمق هو الذي يتكلّم بالصواب الجيد، ثم يجيء بخطأ فاحش، والحائك ليس عنده صواب جيد من فعال إلا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب، وليس هو من هذا بشيء»[3]. ومما عيب به أهل اليمن أنه «ليس فيهم إلا دابغ جلد أو ناسج برد سائس قرد أو راكب مرد»[4].

ذكر طاشكبر زاده أربعة من الصناع موسومين عند الناس بضعف الرأي: الحاكة والقطانون والمغازلون والمعلمون، وذلك لكثرة مخالطتهم النساء والصبيان، وكل قرين بالمقارن يقتدي. ويروى أيضاً عن مجاهد أن مريم طلبت عيسى فمرّت بحاكة فأرشدوها إلى غير الطريق، فقالت: اللهم انزع البركة من كسبهم، واجعل أمتهم فقراء، وحقّرهم في أعين الناس، فاستجيب دعاؤها[5].

وقال شريح للغزّالين إذا كانت بينكم سنّة فستكم بينكم[6].

(١) حلية الأولياء ١/ ١٩٠.
(٢) الحيوان ١/ ٦٥.
(٣) البيان والتبيين ١/ ١٤٧.
(٤) البيان والتبيين ٢/ ٢١٩، الحيوان ٦/ ١٥٢، ياقوت ٤/ ١٣٦.
(٥) مفتاح السعادة ٣/ ١٧٩. وانظر، عن بعض تقاليد ما يتصل بصناعة الألبسة، الموطأ ٢/ ٥٦، ٧٧، المدوّنة ٣/ ٣٩٠، ٣٩٢.
(٦) أخبار القضاة لوكيع ٢/ ٣٥١، ٣٧٢؛ البخاري بيوع ٩٥؛ ابن سعد ٦/ ٩٤. وانظر، عن بعض تقاليدهم في الصناعة، المدوّنة ١٢/ ٢٩، ٣٠، ٤٧.

الفصل الرابع

مراكز النسيج في شبه الجزيرة العربية وأطرافها

أنسجة اليمن

اشتهرت اليمن بالنسيج ويستدلّ من بعض النصوص على أن النسيج كان أبرز حرف أهلها. فيروي الأصمعي أن خالد بن صفوان أجاب رجلاً أطنب في التفاخر باليمن، فقال له: «وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد»[1].

تشير مصادر القرن الأول إلى الأنسجة اليمانية، ويظهر من إشارتها أنها كانت موجودة في العراق والحجاز، غير أنها كانت أكثر ذِكْراً في الحجاز ممّا يدلّ على سعة انتشارها فيه، فيروي ابن الفقيه أن الكعبة «كساها النبي الثياب اليمانية»[2] أو «إزاراً غليظاً ممّا يصنع باليمن»[3]. ويروى أن النبي كُفّن في يمنة[4]. ويروي الأصبهاني أن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي بعث إلى عمر بن الخطاب بحلل من اليمن فقسمها[5]. وقد ذكرت أمام عبد الملك

(١) البيان والتبيين، معجم البلدان ٤/١٠٣٦.

(٢) البلدان ٢٠.

(٣) البخاري خمس، مسلم ٢/١٥٤؛ أنساب الأشراف ١/٥٠٨.

(٤) لسان العرب، مادة يمن؛ ويذكر البلاذري أن النبي (ص) ترك عشرة أثواب: ثوب حبرة وأُزُراً عمانية وثوبين صحاريين وقميصاً صحارياً وقميصاً سحولياً وجبّة يمنية؛ أنساب الأشراف ١/ ٥٠٧.

(٥) الأغاني: ١٦/١٥٣.

«مناديل اليمن كأنها نور الربيع»[١]. وذكر أبو نعيم عن سليمان بن داود المنقري أن أباه يتجر إلى اليمن[٢].

ذكرت الأنسجة اليمانية في العراق، فلما قدم عبيد الله بن زياد الكوفة لدى سماعه خبر مجيء الحسين إليها «فأخرج ثياباً مقطعة من مقطّعات اليمن ثم اعتجر بمعجرة يمانية»[٣]. وروى ابن سعد أن الشعبي كان ممّا يلبس «عمامة حمراء قد تعجر بها من ثياب اليمن»[٤]. وكان أبو وائل يلبس مقطّعات اليمنة[٥].

وقد ذكرت اليمنة في بعض الأبيات، فقال ابن قردود يرثي ابن عمار:

يا جفنةً كإزاءِ الحوضِ قد كفأوا   ومنطقاً مثلَ وشيِ اليمنةِ الحبرِ

وقال ربيعة الأسدي:

إن المودّة والهوادةَ بيننا   خلقٌ كسحقِ اليمنةِ المنجابِ[٦]

وبعث عبد الله بن أبي ربيعة إلى عمر بن الخطاب بحلل من اليمن فقسمها[٧].

إن المنسوجات المذكورة في النصوص الآنفة الذكر عامة، لم يحدد نوعها ولم يذكر في أي مناطق اليمن كانت تصنع، مما قد يدل على أنه كانت في اليمن للنسيج عدة مراكز، وأن كثرة هذه المراكز جعلتها تنسب إلى اليمن عموماً، غير أن كثيراً من الأنسجة اليمانية رغم عموميتها كانت ذات صفات خاصة مشتركة تميّزها عن غيرها.

وبرود اليمن هي من أشهر أنسجتها، وتذكر غالباً مقرونة بها[٨]؛ فيروي ابن

(١) الأغاني ١٨/ ١٦٤.
(٢) أخبار أصبهان ١/ ٢٧٣.
(٣) الطبري ٢/ ٢٤٣، الأغاني ١٦/ ١٤٣.
(٤) ابن سعد ٦/ ١٧٦.
(٥) المصدر نفسه ٦/ ٨٦.
(٦) لسان العرب، مادة يمن.
(٧) الأغاني ١٦/ ١٥٣. وانظر، عن فرش اليمن، الذخائر والتحف، ٢٩، ٣٠، ٤٦، ٦٥، ١٠٥، ١١١.
(٨) لطائف المعارف ١٣٥ (عن الجاحظ ١٦٨)، ثمار القلوب ٥٣٤).

سعد أن النبي (ص) كان له برد يمني طوله ست أذرع في ثلاث أذرع وشبر[1]. ويروي الواقدي بسنده عن سليم بن عامر: "رأيت على عثمان برداً يمانياً ثمنه مائة درهم[2]. ويقول حميد بن ثور:

أجِدُّ بليليَ مدحةً عربيةً كما حبّر البرد اليماني لمسبع[3]

ويقول أيضاً:

ما بالُ بردِكَ لم يمسس حواشيَهُ من ثرمداء ولا صنعاء تحبير[4]

ويقول الهذلي:

كليبُ لعمريَ كانَ أكثرَ ناصراً وأيسرَ جرماً منكَ ضُرِّج بالدمِ

رمى ضرعَ نابٍ فاستمرَّ بطعنةٍ كحاشيةِ البردِ اليماني المُنَمْنَمِ[5]

وقال الفرزدق:

وقال تخشينَ زياداً وأجفلت حوالي من بردٍ يماني ومحبري[6]

ويقول ذو الرمة:

بنينا علينا ظلَّ أبرادِ يمنةٍ على سمكِ أسيافٍ قديمٍ صقالها[7]

ويذكر المافروخي: «لا يصلح للأكفان غير الثياب البيض القطنية والبرود اليمانية»[8].

حدّدت نصوص نسبة البرود اليمانية، فيروي دينار جد سليمان المكتب أنه

---

(1) ابن سعد ١-١/١٠.
(2) المصدر نفسه ٣-١/٣٩.
(3) الديوان ١٠٨.
(4) ديوان حميد بن ثور ٨٢.
(5) الأغاني ٤/١٢٦.
(6) المصدر نفسه ١٩/٣٢.
(7) ديوان ذي الرمة ٥٤٢.
(8) محاسن أصفهان للمافروخي ٤٥.

رأى «على عليّ بردين نجرانيين»[1]. ويروي عفان بن مسلم عن أبي عوانة عن عبد الله بن حنش: أنه رأى على ابن عمر بردين معافريين[2].

غير أن اليمن لم تحتكر البرود، بل شاركتها في صنعها أقطار أيضاً، إذ يروى أنه رؤي عمر بن الخطاب ملبياً برداً له قطرياً[3]. ويروي كل من جرموز وعلي بن ربيعة أنه رأى على علي بردين قطريين[4].

كما ذُكرت برود للأعراب، إذ يروي ابن الكلبي في قصة مجنون ليلى أنه كان يوماً جالساً «إذ طلع عليهم فتى عليه بردة من برد الأعراب»[5]

وتردّد ذكر البرد منفرداً في عدد غير قليل من النصوص؛ ويروي الفضل بن دكين عن مسعر بن ابراهيم: «كان عبد الرحمن بن عوف يلبس البرد أو الحلة تساوي خمسمائة أو أربعمائة»[6]. ويذكر العباس بن سهل: «قدمت من عند عبد الملك بن مروان وقد أجازني وكساني برداً، كان ذلك البرد أفضل جائزتي»[7]. وكان سعيد بن المسيّب «يلبس هذه البرود الغالية البيض»[8]. وقد أهدى جميل بثينة، هدبة بن خرشم «بردين من ثياب كساه إياهما سعيد بن العاص وجاءه بنفقة»[9]. كما أن يزيد بن الطثرية أهدى له برداً وجبة ونعلين[10]؛ وأن عمر بن أبي ربيعة والغريض واعدا نساءً عند العقيق «فأظلّوا عليهن بمطرفة وبردين له حتى استترن من المطر»[11]. وقال الأعرجي:

أماطت كساء الخزّ عن حرّ وجهها　　وأدنَتْ على الخدّين بُرداً مهلهلاً[12].

(1) ابن سعد ٣-١/١٨.
(2) المصدر نفسه ٤-١/١٢٩.
(3) المصدر نفسه ١-١/٢٣٤.
(4) المصدر نفسه ٣-١/١٨.
(5) الأغاني ١/٦٥.
(6) ابن سعد ٣-١/٩٢.
(7) الأغاني ٧/٩٤.
(8) ابن سعد ٥/٩٩.
(9) الأغاني ٧/٩٦.
(10) المصدر نفسه ٧/١١٣.
(11) المصدر نفسه ١/٦٤.
(12) المصدر نفسه ١/١٥٥، وانظر عن مواضع وروده في الحديث: فنسك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. مادة "برد".

وكانت البرود تستعمل في بلاط الأمويين في الشام؛ فلما دخل أبو حمزة الخارجي المدينة خطب في أهلها يذم يزيد الثالث ووصفه بأنه «يلبس بردتين قد حيكتا له وقومتا على أهلهما بألف دينار وأكثر وأقلّ قد أخذت من غير حلّها وصرفت في غير وجهها بعد أن ضربت فيها الأبشار وحلقت فيها الأشعار»[1]. كما كانت تستعمل في الكوفة والبصرة فيروي أبو إسحق أن «عبد الرحمن بن زيد عليه مقطّعة برود وثياب»[2]. ويروي الأصمعي: «رأيت ذا الرمة بمربد البصرة وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمته مائتا دينار وهو ينشد»[3].

يقول ابن منظور: «قال ابن سيده البرد ثوب فيه خطوط وخصّ بعضهم به الوشي. قال الليث: البرد معروف من برد العصب والوشي»[4].

إن البردة كما جاء عند ابن منظور: «كساء يلتحف به، وقيل إذا جعل الصوف شقة وله هدب فهي بردة». وفي حديث ابن عمر أنه «كان عليه يوم الفتح بردة قصيرة قال شمر رأيت أعرابياً وعليه شبه منديل من صوف قد اتزر به فقلت: ما تسمّيه؟ قال بردة. قال الأزهري وجمعها برد وهي الشملة المخططة». قال الليث.. «وأما البردة فكساء مربّع أسود فيه صغر تلبسه الأعراب». ويروي البخاري عن سهل بن سعد: «جاءت امراة ببرد قال أتدرون ما البردة فقال له نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها. فقالت يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها. فأخذها النبي.. فخرج إلينا وإنها إزاره»[5].

وذكرت المصادر بعض أنواع من البرود لا نستطيع الجزم بنوعها أو محل صنعها، ومنها الخال وهي، نوع من البرود. قال الشماخ:

وبردانِ من خالٍ وسبعون درهماً على ذلك مقروضٌ من القدّ ماعزُ

---

(١) الأغاني ٢٠/١٠٦.
(٢) ابن سعد ٦/ ١٦٠.
(٣) الأغاني ١٦/ ١١٨.
(٤) لسان العرب: مادة برد.
(٥) البخاري: بيوع ٣١.

وقال امرؤ القيس: «وأكرعه وشي البرود من الخالِ»

والخال اللواء والبرود ذكرهما الجوهري[1].

الأتحميّة:

يقول الخليل (الأتحميّة ضرب من البرود). وقد ورد ذكره في الشعر، فقال رؤبة:

«أمسى كسحقِ الأتحميّ أرسمه»

وقال الشاعر:

وَعَليهِ أتحميٌّ نسجُهُ من نَسجِ هَوزَمْ ... غزلتْه أمُّ خُلْمي كلَّ يومٍ وزنَ درهِمْ

وقال: وصهوته من أتحميٍّ مشرعبِ.

وقال آخر يصف رسماً: أصبح مثل الأتحمي أتحمه.

... ويقال تحمت الثوب إذا وشّيته. وفرس متحم اللون إلى الشقرة كأنه شُبِّه بالأتحمي من البرود وهو الأحمر. وروي عن الفراء قال: «التحمة البرود المخططة بالصفرة»[2]. ويقول ابن حبيب في شرح بيت أبي خراش:

كأن الملاء المحض خلفَ ذراعِهِ ... صراحيةٌ والآخنيُّ المتحّمُ

الأتحمي: برود يمانية فيها خطوط خضر وحمر[3]. ويقول ابن منظور: «يقال برد مذهّب وهو أرفع الأتحميّ»[4]. وهذا يدل على أن الأتحميّ أنواع، وأن فيه أصنافاً موشاة.

---

(١) لسان العرب مادة (خول).

(٢) المصدر نفسه. مادة تحم، المخصص ٤/٧٣.

(٣) ديوان الهذليين ٢/١٤٦.

(٤) لسان العرب مادة (ذهب).

الحبرة:

يقرن عدد من النصوص البردة بالحبرة. فيروي الشافعي «أن النبي كان يلبس برد حبرة في كل عيد»[1]. ويروي ابن سعد أن النبي كُفّن في ثياب حبرة[2]. ويروي الأصبهاني أنه عندما جاء جميل الشاعر إلى بثينة «طرحت برداً لها من حبرة في النار»[3].

ويقول الطفيل:

سماوتُه لأسمالِ بردٍ مُحَبّرٍ   وصهوتُهُ من أتحميٍّ مُصَعَّبِ[4]

غير أن الحبرة ذكرت في بعض النصوص منفردة. فيروى في الحديث: «كان أحب الثياب إلى رسول الله يلبسها الحبرة»[5]. و«سجي رسول الله حين مات بثوب حبرة»[6]. ولما جاء وفد همدان إلى النبي كان «عليهم مقطّعات الحبرة والعمائم العدنية»[7]. ويروي قتادة أن تبع الحميري هو الذي بوّب الكعبة «وكساها الوصائل ثياب حبرة»[8]. ويروي الواقدي عن الحسن: «قال أبو بكر يا رسول الله أني رأيت في المنام كأن علي ثوب حبرة وأنا أطأ في عذرات الناس وفي صدري رقمتين»[9]. ويقول الأعشى:

إذا الحبرات تلوّت بهم   وجرّوا أسافلَ هُدّابها

ويروي عثمان بن حفص الثقفي عن أبيه: «رأيت النصيب بالطائف فجاءنا

---

(١) مسند الشافعي ١/١٥٢، النسائي ٩٤٠، ابن حنبل ٣/١٣٤، ١٨٤، ٢١٥، ٢٩١.
(٢) ابن سعد ٢- ٢/ ٦٥.
(٣) الأغاني ٧/ ٨٤.
(٤) المصدر نفسه ٤١/ ٨٦.
(٥) البخاري: لباس ١٨، الترمذي: لباس ٤٣-٤٥.
(٦) ابن سعد ٢/ ٥٢، وانظر أحاديث أخرى ومكانها من كتب الحديث من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.
(٧) البكري ٨٤٨، ابن عساكر ٣/ ٤٣٧.
(٨) البلدان لابن الفقيه ٢٠.
(٩) ابن سعد ٢- ٢/ ٥٢.

وجلس في مجلسنا وعليه قميص قوهي ورداء حبرة»[1]. ويذكر خالد بن صفوان أنه قدم على هشام بن عبد الملك «وقد ضرب له سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن، فيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر»[2]. ويقول مالك «أن العصب هو الحبرة وما أشبه»[3]. ويذكر ابن شبّة أن عبد الرحمن بن عوف دفن «وعليه ثوب حبرة من عصب»[4]. ويقول الشافعي «إن كان وشياً نسبه .. وإن كان غير وشي من العصب والحبرات وما أشبه وصفه ثوب حبرة من عمل كذا دقيق البيوت أو متركاً مسلسلاً أو صفته أو جنسه الذي هو العمل الذي يعرف به لا يخرج في السلم دونه وكذلك في ثياب القطن كما وصفت في العصب قبلها»[5].

يقول ابن منظور: «الحبرة ضرب من برود اليمن منمر، والجمع حبر وحبرات.

الليث: برود حبرة ضرب من برود اليمانية، وليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً إنما هو وشي كقولك ثوب قرمز، والقرمز صبغة. وفي الحديث أن النبي (ص) لما خطب خديجة.. خلّقت أباها بالعبير وكسته برداً أحمر .. والحبير من البرود ما كان موشياً مخططاً، وفي حيث أبي ذر: الحمد لله الذي أطعمنا الخمير وألبسنا الحبير. وفي حديث أبي هريرة حين لا ألبس الحبير. وقال رسول الله (ص): 'مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب والحبر بالكسر الوشي'» [6].

يتبيّن من هذا الكلام: ۱) أن الحبرة من البرود اليمانية، ولكن هنالك أنواعاً أخرى من البرود اليمانية غير الحبرة؛ ۲) أن الحبرة صفة لنسيج وليس اسم

(۱) الأغاني ۱/ ۱٤٠-١٤١.
(۲) المصدر نفسه ۲/ ۱۳٦.
(۳) المدونة ۱/ ۱۸۸.
(٤) وفاء الوفا ۲/ ۸۹.
(٥) الأم ۳/ ۱۰۸.
(٦) لسان العرب، مادة الحبر.

مكان فهي ليست مقتصرة على مكان واحد من اليمن؛ ٣) أنها موشّاة؛ ٤) أنها مخططة؛ ٥) أنها من ثياب الحلية.

أما النصوص الأخرى، فتظهر أن الحبرة في الغالب برود، وأنها مقطّعات ورداء[١]، ووصائل[٢]، وسرادق[٣].

العصب:

العصب: ضرب من الثياب يعصب غزله ويدرج ثم يصبغ ويحاك، ويقال برد عصب[٤] ما عصب به أبيض لم يأخذه صبغ[٥]. وذكر عصب اليمن والقطري وما أشبهه مما يصبغ غزله ولا يصبغ بعد[٦]. وورد ذكر عصب اليمن في عدة نصوص؛ فيقول الأصمعي: «أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا في اليمن: الورس والكندر والخطر والعصب»[٧]. ويقول المقدسي: «اليمن معدن العصائب والعقيق والأدم وبرود سحولا والجريب وسعيدي صنعاء»[٨]. وأشار الثعالبي إلى وشي اليمن وعصب اليمن وبرود اليمن[٩]. وتردّد ذكر عصب اليمن في عدد من المصادر الأولى. ويبدو أنه كان من لباس الترف الذي يكلف غالياً، فيروي رجاء بن حيوة عن معاذ أن من شر النساء من «إذا تحلّين ولبسن ريط الشام وعصب اليمن فأتعبن الغني وكلّفن الفقير ما لا يجد»[١٠]. وكانت عائشة ترى أن لا تلبس الحادّة ثوب العصب[١١]. وكان الشافعي يبيح لبسه، ويقول: «وأحب ما يلبس إلي البياض فإن جاوزه بعصب اليمن القطري وما يشبهه مما

---

(١) الأغاني ١/ ١٤٠-١٤١.
(٢) ابن الفقيه ٢٠.
(٣) الأغاني ٢/ ٣٣.
(٤) المخصص ٤/ ٧٢، لسان العرب ٢٠/ ٩٤ (عن الخليل).
(٥) لسان العرب ٢/ ٩٤.
(٦) الأم ١/ ١٧٤.
(٧) عيون الأخبار ٢/ ١٠٩، ياقوت ٤/ ١٠٣٦.
(٨) أحسن التقاسيم ٩٨.
(٩) ثمار القلوب ٥٣٤.
(١٠) عيون الأخبار ٤/ ١١٤.
(١١) المدونة ٥/ ١١٤ ؛ وانظر إباحة لبسه المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مادة عصب.

يصبغ غزله ولا يصبغ بعد ما ينسج فحسن»[1]. ويذكر مالك ما يدل على أن العصب أنواع، ففي المدوّنة: «قلت فهل كان مالك يرى عصب اليمن بمنزلة هذا المصبوغ بالدكنة والحمرة والخضرة والصفرة أم يجعل عصب اليمن مخالفاً لهذا؟ قال رقيق عصب بمنزلة هذه الثياب المصبغة، وأما غليظ اليمن فإن مالكاً وسع فيه ولم يره بمنزلة المصبوغ». وهو يذكر أن العصب هو الحبر وما أشبهه[2]. وقد يؤيد أن الحبرة من العصب ما يرويه ابن شبة عن عبد الواحد بن محمد أن عبد الرحمن بن عوف دفن وعليه ثوب حبرة من العصب اتماري أن يكون فيه طمة ذهب أولا[3]. وقد ورد العصب في بعض الشعر، فقال وضاح اليمن:

وأبصرت سلمى بين بردي مراجلٍ　　　وأبراد عصب من مهلهلة اليَمَنْ[4]

وقال أيضاً:

وتلبس من بز العراق مناصفاً　　　وأبراد عصب من مهلهلةِ الجَنَدْ[5]

ويقول كثير:

لبسنا ثيابَ العصبِ فاختلطَ السدى　　　بنا وبهم والحضرمي المخصّرا[6]

ويدلّ بيت وضاح اليمن على أن العصب كان يصنع في الجند. ويقول ابن منظور: والعصب ضرب من برود اليمن سمّي عصباً لأن غزله يعصب أي يدرج ثم يصبغ ثم يحاك، وليس من برود الرقم، وربما اكتفوا بأن يقولوا عليه العصب، لأن البرد عُرف بذلك الاسم، قال: «يبتذلن العصب والخز معاً والحبراتِ»... وفي الحديث المعتدّة لا تلبس المصبغة إلا ثوب عصب. العصب برود يمانية يعصب غزلها أي يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ، وقيل هي برود مخططة والعصب

---

(١) المدونة ٥/ ١١٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١٨٨.
(٣) وفاء الوفا ٢/ ٨٩.
(٤) الأغاني ٦/ ٤٤.
(٥) المصدر نفسه ٦/ ٤٣.
(٦) المصدر نفسه ٨/ ٢٩.

الفتل، والعصب الغزال، فيكون النهي للمعتدّة عمّا صبغ بعد النسيج. وفي حديث عمر (رض) أنه أراد أن ينهي عن عصب اليمن.

الجندية:

أشرنا عند الكلام عن العصب إلى بيت وضاح اليمن:

وتلبس من بز العراق مناصفا وأبرد عصب من مهلهلة الجند[1]

مما يدلّ على العصب من الجند. وقد ورد ذكر الثياب الجندية في شعر لعمر بن أبي ربيعة:

شف عنها محقق جندي فهي كالشمس من خلال السحاب[2]

ويذكر ابن منظور: «وفي حديث سالم سترنا البيت بجنادي أخضر، فدخل أبو أيوب فلما رآه خرج إنكاراً له قيل هو جنس من الأنماط أو الثياب يستر بها الجدران»[3].

إن شعر ابن أبي ربيعة يدلّ على الثياب الجندية محقّقة، وكلام ابن منظور يدل على أنها خضر غير مجففة. إن كلا النصين لا يذكر أنها من البرود، كما يستفاد من نص ابن منظور أن كل الجندية مصبوغة بالأخضر.

النجرانية:

ورد ذكر البرود النجرانية، فيروي يحيى بن بكير عن مالك بن اسحاق بن عبد الله عن أنس بن مالك: «كنت أمشي مع النبي وعليه برد نجراني غليظ الحاشية»[4]. وفي رواية أن الرسول (ص) كفّن في ريطتين وبرد نجراني[5].

---

(١) الأغاني ٦/٢٣٦.

(٢) المصدر نفسه ١/٩٢.

(٣) لسان العرب مادة "جند".

(٤) البخاري: خمس ١٩، لباس ١٨، أدب ٦٨، جنائز ٣٩، ابن ماجة مناسك٣٠، ابن حنبل ٣/ ١٥٣، ٢١٠، ٤/٢٢٣-٢٢٤.

(٥) ابن سعد ٢-٢/٦٥؛ وانظر عن النجرانية: صبح الأعشى ٩/١١٤.

وشوهد على علي بُردان نجرانيّان[1]. وقد صالح رسول الله أهل نجران على ألفي حلة من حلل الأواقي[2]:

السعيدية والتزيدية:

ومن برود اليمن السعيدية، ويقول المقدسي أن مما تشتهر به اليمن «سعيدي صنعاء»[3]، مما يدل على أنه يصنع في صنعاء.

ومنها أيضاً البرود التزيدية، وقد نسبت إلى تزيد بن حلوان، وبها خطوط حمر. يقول أبو ذؤيب:

يعثرنَ في حدّ الظباتِ كأنما　　كسيت برودَ بني يزيدَ الأذرعُ

ويذكر ابن حبيب في شرحه مشبّهاً «طرائق الدم في أذرعهن بطرائق تلك البرود، لأن تلك البرود تضرب إلى الحمرة»[4]. ويضيف ابن منظور إلى هذا الشعر بأن «التزيدية بها خطوط حمر تُشبّه بها طرائق الدم». قال علقمة:

ردّ القيانُ جِمالَ الحيّ فاحتملوا　　فكلّها بالتزيديات معكومُ[5]

وقد ورد ذكر الصنعاني دون تحديد ماهيته في نص عند الشيباني، حيث يقول «لا خير في الصنعاني بالمروي نسيئة لأنه قطن»[6].

المعافرية:

ومن البرود اليمانية المعافرية: فيروي عفان بن مسلم عن أبي عوانة، عن عبد الله بن حنش، قال: «رأيت على ابن عمر بردين معافريين»[7].

---

(1) ابن سعيد ٣-١/ ١٨.
(2) انظر نص الكتاب في مجموعة الوثائق السياسية لحميد الله ص ١١١.
(3) أحسن التقاسيم ٩٨ ؛ وانظر عن السعيدية: أنساب الأشراف ٤-٢/ ٣١.
(4) ديوان الهذليين ١/ ١٠.
(5) لسان العرب مادة زيد.
(6) ٢٢٩؛ أشار ابن حوقل إلى تميز قطن صنعاء (٢/ ٣٨٤).
(7) ابن سعد ٤-١/ ١٢٩؛ وانظر: لسان العرب، مادة عصر.

وهناك عدة نصوص تذكر أن الرسول كتب إلى أهل اليمن أن على كل إنسان منكم ديناراً كل سنة أو قيمته من المعافري[1]. يقول مالك: «لا بأس أن أسلمت ثوباً من غليظ الكتان مثل الزيقة وما أشبه في ثوب قصبي إلى أجل وثوب قرقبي معجل: الفسطاطي عندنا بمنزلة القسّي وبمنزلة الزيقة وما أشبهها من الثياب إلا ما كان من الفسطاطي الرقيق المرتفع مثل المعافري وما أشبهه فإن ذلك يضم إلى رقيق الكتان إلى الشطوي والقصبي والقرقبي وعلى هذا ينظر في ثياب الكتان»[2]. ويدل هذا النص على أن المعافري من المنسوجات الجيدة، كما يوحي أن المعافري هو من الفسطاطي الرقيق المرتفع، أي إما أن صناعة المعافري قد انتقلت إلى الفسطاط، أو أن المعافري كالفسطاطي.

يقول الأزهري: «برد معافري منسوب إلى معافر اليمن، ثم صار اسماً لها بغير نسبة»[3].

السحولية:

يقول الخليل: «السحولية ضرب من برود اليمن»[4]. ويذكر المقدسي «أن اليمن معدن العصائب والعقيق والأدم وبرود سحولية»[5]. وقد ذكرت الثياب السحولية في الكلام عن كفن الرسول؛ فيروي هشام بن عروة عن عائشة «أن رسول الله كفّن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة»[6].

ويروي ابن سعد روايات يذكر بعضها أن «النبي كفّن في ثلاثة أثواب يمانية بيض كرسف ليس في كفنه قميص ولا عمامة»[7].

---

(١) الأم ١٠١/٤، ٧٨/٣، الخراج يحيى بن آدم ٢٢٩، فتوح البلدان.

(٢) المدونة ٢٣/١٠.

(٣) الصحاح ١٩٧/٢، المخصص ٧٣/٤.

(٤) لسان العرب "مادة برد".

(٥) أحسن التقاسيم ٩٨.

(٦) الموطأ ١٧٢/١، الأم ٢٣٥/١، ابن سعد ٣-٤٣/١؛ وانظر الأحاديث عن كفن الرسول (ص) المعجم المفهرس مادة سحول.

(٧) ابن سعد ٦٣/٢٠٢، لسان العرب مادة (سحل).

وفي رواية أنه «كُفِّن بثياب بيض سحولية، ويمانية غلاظ، وثوبين وبرد حبرة، وريطتين وبرد نجراني، وبرود يمانية غلاظ، وإزار ورداء ولفافة، وقطيفة وحلة حبرة وحلة حمراء نجرانية، وثوبين أحمرين، وثوبين من السحول قدم بهما معاذ من اليمن»(١). ويروي وكيع أن عمر كفِّن في ثوبين سحوليين(٢). يروي الثعالبي عن أبي عمرة والأصمعي وأبي عبيدة والليث أن «كل ثوب من قطن أبيض فهو سحل»(٣) وعن أبي عمرو «السحل الثوب الأبيض»، وأن السحل من القطن(٤)؛ والسحول وادٍ باليمن قرب الجند، وهي ملاحف قطن بيضاء(٥).

ويروي ابن منظور عن الجوهري: «السحيل الخيط غير مفتول، والسحيل من الثياب ما كان غزله طاقاً واحداً، والمبرم المفتول الغزل طاقين، والمتام ما كان سداه ولحمته طاقين ليس بمبرم ولا مسحل، والسحيل من الحبال الذي يفتل واحداً كما يفتل الخيّاط سلكه، والمبرم أن يجمع بين نسيجين فيفتلا حبلاً واحداً .. والسحل الثوب الأبيض من الكرسف من ثياب اليمن»(٦). ويقول المنخّل:

كالسُّحُلِ البيضِ جلا لونَها ... سَحُّ نِجاءِ الحَمَلِ الأسْوَلِ(٧)

والسحولية ثياب قطن بيضاء ويقول ابن سمرة إنها شديدة البياض(٨).

العدنية:

ومن البرود اليمانية أيضاً العدنية، وقد ذكرت في عدة نصوص؛ فيروي أسامة بن زيد: «دخلنا على رسول الله (ص) نعوده وهو مريض فوجدناه قائماً قد غطى وجهه

(١) ابن سعد ٢-٢/ ٦٥-٦٧.
(٢) المصدر نفسه ٣-١/٢٦٦.
(٣) فقه اللغة ٥.
(٤) المصدر نفسه ٢٤٣، وانظر لسان العرب مادة 'سحل' عن الجوهري.
(٥) الروض المعطار للحميري.
(٦) لسان العرب ١٢/٣٤٨.
(٧) ديوان الهذليين ٢/ ١٠.
(٨) المخصص ٤/ ٧٣، الصحاح ٢/ ١٩٧، لسان العرب ١٢/٣٤٨، طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة ٣٣.

ببرد عدني فكشف عن وجهه»[1]. ويروي الحارث بن خالد المخزومي أن عتاكة زوجة عبد الملك «أمرت لي بخمسة آلاف درهم وثياب عدنية وغير ذلك من الألطاف»[2]. ويذكر ابن هشام أن أبا لهب كان يلبس حلة عدنية[3]. ويذكر محمد بن حرب الهلالي عن مروان بن إبان بن عثمان أنه «خرج وعليه سبعة قمص كأنها درج بعضها أقصر من بعض ورداء عدني بثمن ألفي درهم»[4].

وقد عُرفت الأردية العدنية في العراق، فيروي الأصبهاني: «أهدى بعض ولاة الكوفة إلى السيد رداء عدنياً»[5]. ويروي الفضل بن دكين عن عثمان بن أبي هند العبيسي: «لقيت الشعبي في يوم عيد فطر أو أضحى وعليه برود عدني»[6]. ويروي ابن شبّة عن اسحق «مر دحمان المغني وعليه رداء جيد عدني»[7]. وقد اشتهرت عدن أيضاً بالعمائم، فيروي حازم بن حرام الجذمي: «قال أتيت النبي بصيد اصطدتها من الأردن وأهديتها إليه فقبلها وكساني عمامة عدنية»[8]. ويروي البكري أن وفد همدان جاءوا النبي «وعليهم مقطّعات الحبرة والعمائم العدنية»[9].

وروى ابن هشام عن رجل أحول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية[10]. وروى عبيد الله بن عبد الملك بن شداد بن الهاد: «رأيت عثمان يوم الجمعة على المنبر وعليه إزار عدني غليظ»[11]. وذُكرت في العصر العباسي الثياب العدنية[12] والأردية العدنية، والبرود العدنية[13].

---

(1) ابن سعد ٢-٢/٣٦.
(2) الأغاني ٣/١٠٢.
(3) ابن هشام ٢/٢٦٤.
(4) الأغاني ١٧/٨٩.
(5) المصدر نفسه ٧/١٩.
(6) ابن سعد ١/١٧٧.
(7) الأغاني ٥/١٣٥.
(8) الإصابة لابن حجر ١/٢٩٩.
(9) البكري: معجم ما استعجم ٨٤٨، لسان العرب ١/٦٤٩.
(10) السيرة ٢٠/٣٢.
(11) حلية الأولياء ١/٦٠.
(12) الموشى ١٣٥؛ حكاية أبي القاسم ٣٥.
(13) لطائف المعارف ١٨٤.

وقد ذكرت أيضاً البرود الحضرمية، فيروي ابن اسحق أن الرسول عندما هاجر قال لعلي: «نم على فراشي واتّشح ببردي هذا الحضرمي الأخضر»[1]. ويروي ابن حنبل أن الرسول «صلى في الليل في برد له حضرمي»[2]. وقد أنشد كثير:

لبسنا ثيابَ العصبِ فاختلطَ السّدى بنا وبهم والحضرميّ المخصّرا[3]

أن النص الأول يشير إلى أن البرد الحضرمي أخضر، وربما كانت القراءة الصحيحة لبيت كثير (الحضرمي المخضرا)؛ فإن كان ذلك، كان البرد الحضرمي اشتهر بلون الخضرة.

ومن الأنسجة اليمانية التي ذكرتها المصادر، الحميرية، فيروي الفضل بن دكين وأحمد بن عبد الله بن يونس عن زهير بن معاوية عن عبد الملك بن عمير أنه قال: رأيت أبا موسى داخلاً من هذا الباب وعليه مقطعة ومطرف حميري[4].

الصبرية والجيشانية:

ومن منسوجات اليمن الصبرية، فيروي الأصبهاني أن جريراً قدم الحجاج «فأكرمه الحجاج وكساه جبة صبرية وأنزله فمكث أياماً»[5].

ومنها الجيشانية، وجيشان موضع باليمن تنسب إليه الخمر السود. قال عبيد بن الأبرص:

فأبنا ونازعنا الحديثَ أوانساً عليهن جيشانية ذات أغيالِ[6]

---

(١) السيرة لابن هشام ٢/ ٩٥.
(٢) ابن حنبل ١/ ٢٦٥.
(٣) الأغاني ٨/ ٢٩؛ سيرة ابن هشام ١/ ١٠٤.
(٤) ابن سعد ٤-٢/ ٨٥.
(٥) الأغاني ٧/ ٤٠.
(٦) البكري ٤١٠.

منسوجات يمانية أخرى:

وذكرت أيضاً مناديل اليمن، فيروي الأصبهاني عن محمد بن القاسم الأنباري عن أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي: «أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه أي المناديل أشرف، فقال قائل منهم مناديل مصر.. وقال آخرون مناديل اليمن، كأنها نور الربيع»[1].

وذكر مالك الملاحف اليمانية، فيقول «ولا بأس أن يشترى الثوب من الكتان والشوطي أو القصبي بالأثواب اليمانية والشقائق وما أشبه ذلك الواحد بالاثنين أو الثلاثة يداً بيد أو إلى أجل إن كان من صنف واحد»[2]. ويذكر أيضاً «ثياب القطن لا يسلف بعضها من بعض إلا الغلاظ منها الشقائق والملاحف اليمانية الغلاظ من المروي والهروي والقوهي والعدني، فهذا لا بأس أن يسلم بعضه في بعض»[3].

لا تُذكر الملاحف اليمانية في مصادر القرن الأول، ولا يمكن الجزم بسبب عدم ذكرها، وهل هو راجع إلى عدم وجودها آنذاك أو إلى قلّة استعمالها أو لأسباب أخرى أدّت إلى عدم ذكرها.

وتذكر كتب الحديث الأزر الغلاظ اليمانية، فيروي محمد بن بشار عن عبد الوهاب عن أيوب عن حميد بن هلال عن أبي بردة: «أخرجت إلينا عائشة كساء ملبداً وقالت في هذه نزع روح النبي (ص). وزاد سليمان عن حميد عن أبي بردة: أخرجت إلينا عائشة إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة»[4].

الحلل:

ويقول ابن منظور أن «الحلل برود اليمن» (لسان العرب مادة حلل). ولما

---

(١) الأغاني ١٨/١٦.

(٢) الموطأ ٢/٧٢ وانظر أيضاً الحجج للشيباني ٢٢٩.

(٣) المدونة ١/٢٣.

(٤) البخاري: خمس ٥ مسلم ٢/١٥٤، ابن ماجة: اللباس ٢/١٩٢.

وصل الحسين التنعيم في طريقه إلى الكوفة فلقي بها عيراً قد أقبل بها من اليمن بعث بها بجير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن وعلى العير الورس والحلل ينطلق بها إلى يزيد[1].

يذكر ابن منظور عدة معان للحلة، فيقول: «قال خالد بن جنبة: الحلة رداء وقميص وتمامها العمامة، قال ولايزال الثوب الجيد يقال له في الثياب حلة .. قال والحلل الوشي والحبرة والخز والقز والقوهي والمروي والحرير.وقال اليمامي: الحلة كل ثوب جيد جديد تلبسه غليظ أو دقيق ولا يكون إلا ذا ثوبين. وقال ابن شميل: الحلة القميص والإزار والرداء ولا تكون أقل من هذه الثلاثة. وقال شمر الحلة عند الإعراب ثلاثة أثواب. وقال ابن الأعرابي يقال للإزار والرداء حلّة، ولكل واحد منهما على انفراده حلّة. قال الأزهري: وأما أبو عبيد فإنه جعل الحلة ثوبين. وفي الحديث «خير الكفن الحلة» والحلل برود اليمن ولا تسمّى حلة حتى تكون ثوبين، وقيل ثوبين من جنس واحد. قال: والحلة إزار ورداء برد أو غيره ولا يقال لها حلة حتى تكون من ثوبين (لسان العرب، مادة حلل). ويتبيّن من هذه النصوص:

(١) أن الحلّة لاتقتصر على الثياب اليمانية.

(٢) أنها لا تختص بجنس معيّن وإن كانت الآراء مختلفة .

(٣) فهي رداء وقميص (خالد بن جنبة) وإزار (شمر) .

(٤) ثوبان أو ثلاثة أثواب أو إزار ورداء.

(٥) إنها من وشي وحبرة وخز وقز قوهي ومروي.

والراجح أن الحلل اليمانية هي من الحبرة.

وقد ذكرت المقطّعات والمعاجر اليمانية في العراق، فيروي الطبري أن عبيد الله بن زياد عندما جاء الكوفة .. «أخرج ثياباً مقطعة من مقطعات اليمن ثم اعتجر بمعجرة يمانية»[2].

---

(١) الطبري ٢/ ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٤٣.

كما ذكرت القطائف اليمانية، فيروي السرخسي: «لا بأس بقطيفة يمانية بقطيفتين كرديتين إلى أجل»[1].

ذكرت المصادر عدداً من الثياب التي نسبت إلى اليمن من برود اليمن؛ وقيل هو الثوب الناعم[2]. و«المرحَّل ضرب من برود اليمن سمّي (بذلك) لأن عليه تصاوير رَحْل»[3]. والمرط المرحل خزّ فيه عَلَم وفيه تصاوير وهو موشى، وكان الرسول (ص) يصلّي في مرط مرحَّل، وكست عائشة نساء من الأنصار مروطاً مرحَّلة[4]. ومن البرود المرحَّلة السيراء، وهي تعمل من القز وتكون فيها خيوط كالسيور[5].

وممّا يتّصل بالموضوع معلومات ذكرتها المصادر عن ألبسة اليمن، ماذكره نشوان بن سعيد أن معن بن زائدة ألزم الناس بلبس الثياب المصبغة بالنيل وترك شعورهم منشورة، فصار ذلك عليهم جمالاً وزينة لقدم عهدهم بذلك ومعرفتهم له[6].

وأهل حضرموت «لبس رجالهم الأزرق مكشفين الرؤوس حفاة، ولبست نساؤهم الفتوحي، ويصبغ الثوب بالزاج، وتضفر النساء رؤوسهن في أوسطها بما يشبه الهدهد يسمّونه الفوطة ويسمّى الفتوح لاستفتاح صنعاء، ويقال إنه فتح الخياط، وكانوا يلبسوه نساء بغداد إلى أواخر دولة الإمام إلى محمد بن الحسن المستضيء بنور الله أمير المؤمنين، وتسخت في أيام دولة أبي العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين، ولبس نساء جميع العرب وجميع التركمان والكرد والباذج ونساء أهل سيستان إلى الآن منه»[7].

ويذكر الهمداني أن أهل بوادي صنعاء أصحاب لباس الحمرة. . وأن الرجل

(١) المبسوط للسرخسي ١٣/ ٢٨.
(٢) المخصص ٤/ ٧٣.
(٣) المصدر نفسه ٤/ ٧٣، لسان العرب ١٢/ ٢٩٥.
(٤) شمس العلوم ٤٨، لسان العرب ١٢/ ٢٩٥.
(٥) لسان العرب ٦/ ٥٦.
(٦) شرح القصيدة الدامغة ٢١٠.
(٧) المستبصر ٢/ ١٨٩.

المسنّ يلبس اللباس الرقيق في الشتاء الشديد البرد وجمود الماء فلا يضره ذلك ويلبس الثياب العكروي في الصيف والصوف والخز فلا يضرّه[1].

أنسجة البحرين وعمان:

يروي الطبري عن هناد وأبي كريب عن وكيع عن يزيد بن ابراهيم عن ابن سيرين: «أن أبا موسى كسا ثوبين من معقدة البحرين»[2]. ويروي ابن منظور «أن أبا موسى كسا في كفارة اليمن ثوبين ظهرانياً ومعقداً، قال النضر: الظهراني ثوب يجاء به من مر الظهران، وقيل هو منسوب إلى ظهران قرية من قرى البحرين، والمعقد برد من برود هجر»[3].

وقد ذكرت منسوجات هجر، فيروي سفيان عن سماك بن حرب عن سويد بن قيس أنه قال: «جلبت ومخرمة العبدي بزاً من هجر فأتينا به مكة»[4]. ويروي ابن سعد أن الرسول (ص) بعث سليط العامري إلى هوذة الحنفي فقبل هذا الإسلام وأجاز سليط بن عمر بجائزة وكساه أثواباً من نسيج هجر، فقدم بذلك كله على النبي وأخبره به[5].

القطرية:

إن أكثر منسوجات البحرين ذكراً هي المنسوجات القطرية[6]، قد ذكر استعمالها في زمن الرسول فما بعده، وفي الحجاز وفي العراق، ووصفت بأنها ثياب، وأزر، وبرد وأردية، ولا نعلم هل كان مصدر هذا التنوع عدم دقة الرواة في الوصف، أو أنها كانت متعددة الأنواع، أو أنها كانت أقمشة يمكن أن تصنع عدة ثياب، ومع هذا فإن لها صفات خاصة مميزة.

---

(١) الإكليل ٨/٨٩.
(٢) تفسير الطبري ٧/١٧.
(٣) لسان العرب، مادة (ظهر)، وانظر أيضاً ياقوت ٢/٥٨١.
(٤) أبو داود: بيوع ٧٤، النسائي: بيوع ٥٤٤، الترمذي: بيوع ٦٤٤.
(٥) ابن سعد ١-٢/١٨.
(٦) الأم ١/١٧٤.

فيروي ابن حنبل عن «محمد بن جعفر عن شعبة عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن عائشة أنها قالت: كان لدى الرسول الله (ص) ثوبان عمانيان أو قطريان فقالت عائشة أن هذين الثوبين غليظان... وأن فلاناً قد جاءه بز فابعث إليه يبعث ثوبين إلى الميسرة»[1]. ويروي أيضاً عن «عبد الرحمن بن عباد بن راشد أنه قال: سمعت الحسن يقول حدّثني رجل من بني سليط أنه مر على رسول الله (ص) وهو جالس على باب المسجد وعليه ثوب قطري ليس عليه غيره محتب به»[2]. وفي حديث عائشة قال أيمن دخلت على عائشة وعليها درع قطري ثمنه خمسة دراهم[3]. ويروي محمد بن عبد الله الأسدي عن سفيان الثوري عن سعيد الجريري عن أبي عثمان أنه قال: أخبرني من رأى عمر يرمي الجمرة عليه إزار قطري مرقوع برقعة من أدم[4]. ويروي علي بن سهل بسند عن أبي سلمان أن عمر عليه إزار قطري يدهن إبل الصدقة بالقطران[5].

ويروي قدامة بن عتاب رأيت علياً يخطب في يوم من أيام الشتاء عليه قميص قزّ وإزار قطريان معتّماً بسب كتان ممّا ينسج في سوادكم[6]. ويروي جرموز رأيت علياً وهو يخرج من القصر وعليه قطريتان إزار إلى نصف الساق ورداء مشمر قريب منه[7].

ويروي يناق بن سلمان: مر بي عمر بن الخطاب فألقى إلي قميصه فقال اغسل هذا بالأشنان فعمدت إلى قطريتين فقطعت من كل واحدة منهما قميصاً ثم أتيته فقلت البس هذا فإنه أجمل وألين، فقال أمن مالك؟ قلت من مالي قال هل خالطه شيء من الذمة، قلت لا إلا خياطة، قال أعرب هلم إلي قميصي قال فلبسه وأنه لأخضر من الأشنان[8].

---

(١) ابن حنبل ٤/١٤٧، وانظر النسائي: بيوع ٧٠ الترمذي: بيوع ٤، ٦/٢٠٧.
(٢) ابن حنبل ٥/٢٤.
(٣) لسان العرب، مادة قطر.
(٤) ابن سعد ٣-١/٢٣٧، أنساب الأشراف ٣٢٥ (طبعة إحسان صدقي العمد).
(٥) الطبري ١/٢٧٧٤.
(٦) ابن سعد ٣-١/١٦.
(٧) المصدر نفسه ٣-١/٢٣٨.
(٨) المصدر نفسه ٣-١/١٨.

ويروي سليمان بن الربيع أنه رأى عبد الله بن عمرو بن العاص رجلاً «أبيض الراس واللحية بين بردين قطريين عليه عمامة ليس عليه قميص»[١].

ويروي علي بن ربيعة أنه «رأى على علي بردين قطريين»[٢]. ويروي الجاحظ أن أبا العتاهية أهدى المأمون هدايا منها «أردية قطرية»[٣].

أشارت بعض النصوص إلى صفات الأنسجة القطرية؛ فيقول الشافعي: «وأحب ما يلبس إليّ البياض، فإن جاوزه بعصب اليمن والقطري وما أشبهه مما يصبغ غزله ولا يصبغ بعد ما ينسج فحسن»[٤]. ويروي عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن عائشة أنها قالت كان على رسول الله (ص) ثوبان عمانيان أو قطريان، فقالت له عائشة أن هذين ثوبان غليظان[٥]. ويذكر ابن سيده أن القطرية نوع من البرود؛ ويذكر شمر عن البكراوي قال: البرود القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة، وقال خالد بن جنبة هي حلل تعمل بمكان لا أدري أين هو، قال وهي جياد وقد رأيتها وهي حمر تأتي من قبل البحرين[٦].

ويتبيّن من هذا:

١) أن القطرية يصبغ غزلها قبل نسجها.

٢) أنها ثياب غليظة فيها بعض الخشونة، وهي رخيصة.

٣) أنها من البرود والثياب والأزر وقد تجعل قميصاً.

٤) أنها حمراء اللون.

---

(١) ابن سعد ٤-٢/١٢.

(٢) المصدر نفسه ٣-١/١٨.

(٣) البيان والتبيين ٣/١٢١.

(٤) الأم ١/١٤٧.

(٥) ابن حنبل ٤/١٤٧.

(٦) المخصص ٤/١٧٢، لسان العرب مادة "قطر".

المنسوجات العمانية:

أشارت المصادر إلى المنسوجات العمانية، فيروي ابن سعد أن النبي كان له برد يمني طوله ستة أذرع وشبر، وأزر من نسيج عمان أربع أذرع وشبر في ذراعين وشبر فكان يلبسهما في الجمعة ويوم العيد ثم يطويان[1]. ويروي أيضاً: أجاز رسول الله فروة بن مسيك باثنتي عشرة أوقية وحمله على بعير نجيب وأعطاه حلة من نسيج عمان[2].

الصحارية:

ومن الأنسجة العمانية، الصحارية وهي منسوبة إلى مدينة صحار، فيروي محمد بن عمر، عن ابراهيم بن الحصين، عن داود بن الحصين، عن عبد الرحمن بن جابر، أن سعد بن معاذ كفّن في ثلاثة أثواب صحارية[3]. ويروي ابن عمر أنه كفّن في ثلاثة أثواب. قال وكيع ثوبين سحوليين، وقال محمد بن عبد الله الأسدي صحاريين وقميص كان يلبسه[4].

أنسجة العراق:

اشتهرت المنسوجات العراقية منذ صدر الإسلام وامتدت شهرتها واستعمالها إلى الحجاز. فيروي الذهبي أن مالك كان يقول إنما كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب، ثم صارت تجيش علينا بسفيان الثوري[5]. ويروي عن ابن وهب، عن الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، أنه قال: «يقدم البزّ من العراق فيأتي صاحب المدينة بتسمية متاعه وصفاته فيبتاعه الناس منه ثم يبيعونه بعضهم من بعض». وقول مالك في الرجل يقدم له أصناف من البزّ فيحضره

(١) ابن سعد ١ ١/١٠.
(٢) المصدر نفسه ٥/٣٨٣.
(٣) المصدر نفسه ٣-٢/١١.
(٤) المصدر نفسه ٣-٢/٢٢٦، أنساب الأشراف ٣٠٨ (طبعة إحسان صدقي العمد)، وانظر لسان العرب مادة "صحر".
(٥) طبقات الحفاظ ١/٤٧١.

السوام ويقرأ عليهم في عدل كذا وكذا ملحفة بصرية وكذا رائطة سابرية وذرعها كذا وكذا، ويسمّي أصناف ذلك البزّ بأجناسه وذرعه وصفته»[1].

ويروي الذهبي عن عبد الواحد بن زياد، عن معمر بن راشد الأزدي مولاهم البصري: «قال كنت مملوكاً لقوم من طاحية فبعثوني ببزّ أبيعه فقدمت المدينة فنزلت داراً»[2]، وأرسل مصعب بن الزبير إلى عمر بن أبي ربيعة ثياباً من وشي العراق لم ير مثلها[3].

ويقول وضاح اليمن:

وَتَلبس من بَزّ العراقِ مُناصِفاً وأبراد عَصبٍ من مهلهلةِ الجَنَدْ[4]

وتظهر هذه النصوص أن العراق كان يصدّر البز، غير أن نص المدوّنة يظهر أن بعض المنتوجات من العراق كالريط السابرية.

ويقول الأخطل:

وَقَربنَ للبَيْنِ الجمالَ وَزُيِّنَتْ بِأحْمَرَ مِن لَكِّ العِراقِ وَأَسْوَدَ[5]

ويقول ابن منظور أن لكّ الجلود أو الثياب المصبوغة بنبات اللّك، واللك عصارته التي يصبغ بها[6].

وقد وردت إشارات إلى خزّ العراق فيقول الأعشى:

عولين ديباجاً وفاخر سندسٍ وبخزّ أكسيةِ العِراقِ تحفّفُ[7]

ويروي الأصبهاني عن عمر بن أبي ربيعة قوله: إذ طرقني رسول مصعب بن الزبير بكتابه يقول فيه: فإذا بثياب من وشي وخزّ العراق لم أر مثلها[8].

---

(١) المدوّنة ١٠/٤٤، الموطأ ٢/٧٨.
(٢) طبقات الحفاظ ١/١٧١.
(٣) الأغاني ٩/٢٤٤.
(٤) المصدر نفسه ٦/٤٣.
(٥) ديوان الأخطل ١/٩٠.
(٦) لسان العرب مادة "لك".
(٧) الأغاني ٥/١٤٠، ٦/٣٥.
(٨) المصدر نفسه ٨/١٤١.

ويروي أبو جعفر: «أهديت لعليّ بن الحسين مستقة من العراق فكان يلبسها فإذا أراد أن يصلي نزعها»[1].

ويروي الأصبهاني عن الأصمعي «أن تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخمر فباعها وبقيت السود منها فلم تنفق»[2].

ويقول حميد بن ثور:

تَخَيَّرن إمّا أُرجُواناً مُهذَّباً وَإمّا سِجلاط العِراقِ المُختَّما[3]

ويذكر الجواليقي في شرح هذا البيت السجلاط ثياب كتان موشية كأوشية خاتم وهي، زعموا، بالرومية سجلاطس[4]. ويقول ابن منظور أيضاً السجلاط: «ضرب من ثياب الكتّان ونمط من الصوف تلقيه المرأة على هودجها.. ويقال للكساء الكحلي سجلاطي.. وخز سجلاطي إذا كان كحلياً. وفي الحديث أهدي له طيلسان من خز سجلاطي قيل هو الكحلي، وقيل هو على لون السجلاط وهو الياسمين. وهو أيضاً ضرب من ثياب الكتان ونمط من الصوف تلقيه المرأة على هودجها»[5].

النرسية والكسكرية:

ذكرت في العراق الثياب النرسية، فيقول الجواليقي النرس قرية في سواد العراق يحمل منها الثياب النرسية[6].

كما ذكرت الثياب الكسكرية، فيروي عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن عطاء أبي محمد، قال: «رأيت علياً خرج من الباب الصغير وعليه قميص كرابيس كسكري فوق الكعبين»[7].

---

(١) ابن سعد ٨/١٤١.
(٢) الأغاني ٢/٧٣.
(٣) ديوان حميد بن ثور ٣١.
(٤) المعرب ١٨٥، وانظر أيضاً لسان العرب مادة "سجلط".
(٥) لسان العرب ٦/٤٩.
(٦) المعرب ٣٣٧.
(٧) ابن سعد ٣/١٩.

البصرية:

وذكرت الملاحف البصرية، فيروي الموطأ وقول مالك في الرجل يقدم عليه أصناف الخزّ فيحضر السوّام ويقرأ عليهم برنامجه، فيقول في كل عدل كذا وكذا ملحفة بصرية وكذا ريطة سابرية ذرعها كذا وكذا، ويسمّي لهم أصنافاً من البزّ وأجناسه وهي تصنع من القطن[1].

الميسانية:

ومن أنسجة العراق الميسانية، وقد ذكرت في بعض الأشعار. فيقول حميد بن ثور:

وَجاءت يَهُزُّ المَيْسَنانِيّ مَشْيها كَهَزِّ الصَّبا غصن الكَثيب المُرَقّما[2]

ويقول أبو داوود:

ويصنّ الوجوهَ في الميسناني كما صانَ قرنَ شمسٍ غمامُ[3]

وذكر الثعالبي المطارح[4] الميسانية. ويذكر الجاحظ أن منتوجات ميسان الأنماط والوسائد[5].

ويقول ابن الفقيه لأهل كورة دجلة والسواد وميسان ودستميسان من الستور والبسط وعمل الميساني والحرير والدرانك والدورنك، وغير ذلك من أنواع البسط والفراش ما ليس لآخر[6]. وكان مما خلفه الرشيد ألف مخدّة ميساني وألف وسادة ميساني[7]. وقد ذكرت من أنسجة العراق أيضاً السيجان العراقية التي تعمل من الصوف[8]. ومما ذكر عمائم الأبلة[9].

(1) الموطأ ٢/ ٧٨، وانظر الحجج للشيباني ٢٣٦.
(2) الحاوي للماوردي ٣/ ٢٠٤.
(3) لسان العرب، مادة سن.
(4) لطائف المعارف ١٨٣، ٢٣٦، ثمار القلوب ٢٣٨.
(5) التبصر بالتجارة ٣٤٦.
(6) البلدان ٢٤١.
(7) مطالع البدور ٦١ (عن الرشيد).
(8) المدوّنة ٩/ ٨٧.
(9) لطائف المعارف ٢٣٥.

ويقول مجنون بني عامر:

ولم تغنِ سيجان العراقين نقرة ورقش القلنسيّ بالرجالِ الأطاولِ[1]

الكوفية:

وقد ذكرت الريط الكوفية في نص رواه أبو نعيم عن عبيدالله بن عبد الملك ابن شداد، أنه رأى على عثمان يوم الجمعة على المنبر إزاراً عدنياً غليظاً وريطة كوفية ممشقة[2]. ويذكر الوشّاء الخزوز الكوفية[3].

أنسجة عراقية أخرى:

ويذكر الشيباني الثياب اليهودية، فيقول: «رجل اشترى عبداً بعشرة أثواب يهودية ووصف الطول والعرض والرقعة إلى أجل معلوم»[4]. وكان الريط من المنتوجات العراقية، فيقول ربيعة بن مقروم:

جملن عتيق أنماطٍ خدورا وأظهرن الكرادي والعهونا

على الأحداج واستشعرنَ ريطاً عراقيّاً وقسّياً مصونا[5]

ويذكر ابن سعد سب الكتان ممّا ينسج في العراق، فيروي عفان بن مسلم عن أبي عوانة، عن مغيرة، عن قدامة بن عتاب، أنه رأى عليّاً يخطب في يوم من أيام الشتاء عليه قميص قزٍّ وإزاران قطريان معتماً بسب كتان مما ينسج في سوادكم[6].

كما ذكرت المسح الموصلية، فيقول السرخسي وكذلك لابأس بمسح موصلي بمسحين سابريين إلى أجل[7]، وذكرت الطنافس الحيرية[8].

---

(1) البيان والتبيين ٣/٩٩.
(2) حلية الأولياء ١/٦٠.
(3) الموشى.
(4) الجامع الكبير ١٣٥، ٢٤٣، الأصل ٢١ (٧٠) ٣١ (٩٩).
(5) لسان العرب، مادة قس.
(6) ابن سعد ٣-١/١٦.
(7) الأصل ١١/١٢١، المبسوط ٩/٢٨.
(8) الذخائر والتحف ٢٧، ٣٢.

وذكر الجاحظ ممّا تنتجه الموصل الستور والمسوح[١]. وذكر ابن واصل الثياب الموصلية[٢]. وذكر الثعالبي أن صوف تكريت بعد صوف مصر وأرمينية[٣].

وكانت واسط مشهورة بالبزبون[٤] واشتهرت الحيرة بالطنافس[٥]؛ وتتخذ بالنعمانية الطنافس الحيرية[٦]. ولعل من العراق الثياب الزطية التي تردد ذكرها في كتب الفقهاء الأولين[٧].

منسوجات بغداد:

ذكر الشافعي المنسوجات البغدادية، وذكر الثعالبي حُصر بغداد[٨]، وذكر مؤلف حدود العالم أن «صناعة بغداد القطن ومصنوعاته»[٩]، وذكر المقدسي «بغداد مشهورة بالأزر»[١٠]، واشتهرت العمامة الرصافية التي كان يلبسها الخلفاء وأحياناً كبار رجال الدولة[١١]، ويدلّ اسمها على أنها كانت ممّا يعمل في بغداد.

أسس أبو جعفر المنصور بغداد لتكون مركز إقامة للخليفة وحرسه وجنده ورجال الإدارة والحاشية، فهي المركز الإداري الأول في الدولة. وكانت منذ بداية نشأتها تصلها موارد ضخمة من جبايات الأقاليم، فكثرت فيها الأموال وازدادت الثروات ومقتنوها، وتطورت الحياة الحضرية فيها تطوّراً كبيراً، بفضل سياسة الخلفاء في رعاية عموم الاتجاهات دون انحياز ضيق لفئة محدودة. وكان من أبرز آثار ذلك تطوّر واسع في الحياة المعاشية، بما في ذلك العناية

---

(١) التبصر بالتجارة ٣٤٦، لطائف المعارف ١٨٣.
(٢) مفرج الكروب ٤/ ١٨٢، ١٨٤.
(٣) لطائف المعارف ٢٢٣، ثمار القلوب ٤٣٣.
(٤) الحيوان ٣/ ٩٤.
(٥) الذخائر والتحف ٢٧/ ٣٥.
(٦) ابن رسته ١٨٦.
(٧) الأصل ١١٤ [١٨٤] ١٣٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٠، ٦١ [١٨٠] ٨٥ [١٩] ٨٩ [١٠]، ١٠٦، ١٣٤، ١٤٨، المبسوط ١٣/ ٢، ٣٧، ٥٤، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨٩.
(٨) الأم ٣/ ٩٣، ١٠٨.
(٩) لطائف المعارف ٢٣٦، ثمار القلوب ٦٣٨.
(١٠) حدود العالم ١٣٨.
(١١) أحسن التقاسيم ١٢٨.

بالملبوسات؛ واقتضى ذلك نمو الصناعات ومنها المتعلقة بالملبوسات. ولا بد أن حاجات العامة من السكان كانت تسد بصناعات محلية لم تذكر المصادر منها غير أسماء الأسواق التي تعرض السلع، وربما تصنعها.

اعتمد أهل بغداد، في الحصول على أكثر السلع المترفة للأغنياء والعلية، على استيرادها من مراكز صنعها، وأتاحت الحرية إلى اختيار أجودها من تلك المراكز. ولعل كثيراً من منتوجات المراكز التي أشارت إليها المصادر كانت مما يرد بغداد في القرنين التاليين لإنشائها. وكان لهذا تأثير في إنماء تجارتها مما أشارت إليه المصادر. ولم يؤثر انتقال الخلفاء إلى سامرّاء، الذي لم يدم أكثر من نصف قرن، على تجارة بغداد التي احتفظت بمركزها التجاري العالمي[١]، وصارت تموّن سامرّاء بما تحتاجه من سلع. واقتضى تطور الحياة أن تنمو فيها صناعات تميزت بها. غير أن المصادر لم تذكر مراحل إنشاء ونمو هذه الصناعات وأصول تقاليدها والقائمين بها إلى أوائل القرن الرابع، حيث يتردّد ذكر العمائم الرصافية ومناسج القطن والحرير والإبريسمات، وصناعة الكاغد التي تقوم موادها الأولية على منتوجات النسيج.

كانت المراكز الرئيسة لما ذكرته المصادر من صناعات النسيج في بغداد تقع في الأطراف الشمالية الغربية من الجانب الغربي، ففيها تقع العتابية ودار القز التي يشير اسمها إلى أنها كانت مركز هذه الصناعات. وهذه المراكز كانت فيها عند تأسيس بغداد، فهي قطائع للجند.

تقع هذه المنطقة قرب شارع باب الشام وفي شماليه[٢]، وكان فيها بعد تأسيس بغداد ربض حميد وربض نصر النافذ إلى دجيل[٣]، وصاحبا هذين الربضين من رجال الجيش في زمن المنصور، ولا بد أن قاطنيها كانوا من الجند لم تذكر المصادر أصولهم. ومن النصرية قطاع السرخسية وفيه درب

(١) انظر البلدان لليعقوبي ٢١.
(٢) تاريخ بغداد للخطيب ٣/٣٠١، ٤/٣٧١، ٥/٢٩، ٣٩.
(٣) بغداد لابن الفقيه ١٤٩، معجم البلدان ٢/٢٥١.

الحاكة.[1] وقد خرب ربض حميد[2]، ولابد أن ربض نصر هو الذي صار يسمّى في القرون التالية النصرية[3] ظل عامراً وكان آخر محال بغداد[4].

يذكر ياقوت أن جهار سوق الهيثم والنصرية والعتابيين ودار القز متصلة بعضها ببعض كالمدينة المفردة في آخر خراب بغداد، يعمل بها في هذه الأيام الكاغد[5]. ولم يتردد ذكر جهار سوق الهيثم، وإنما تردد ذكر جهار سوق الفرس، وكان في زمن المنصور يتصل به قواطع الخوارزمية والبخارية ودكان الأبناء[6]. وذكر ياقوت "النصرية بينها وبين دجيل ثلاث محال جهار وسوق العتابيين ومحلة أخرى؛ ولعل النص في الأصل جهار سوق الفرس أو الهيثم، ثم العتابيين[7].

تظهر هذه النصوص أن أقدم من استوطن هذه المناطق السرخسية، والخوارزمية والبخارية والفرس؛ ولم تعرف مراكز نسيج في البلاد التي نسبوا إليها.

فأما دار القز، فقد بقيت إلى زمن متأخر وكان عليها سور[8]، وكانت مفردة في الصحراء بها دكاكين لعمل الكاغد[9]. وأول ذكر لخططها يرجع إلى سنة ٣٩٠[10]. أما العتابية، فكان بينها وبين الحربية صحراء[11]، أي أنها كانت ناحية إلى الطرف الشرقي، ووردت إشارات إلى أنها أحد محال الجانب الغربي[12].

---

(١) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١/ ٣٧، ٧٧.
(٢) معجم البلدان ٢/ ٧٥٠، ابن النجار ٦٧٣.
(٣) معجم البلدان ٢/ ١٥٧.
(٤) التكملة لوفيات النقلة للمنذري ٢٣٤٧.
(٥) معجم البلدان ٢/ ١٦٧.
(٦) سهراب ١٣٤، تاريخ بغداد للخطيب ١/ ١١٤.
(٧) معجم البلدان ٢/ ٧٥١.
(٨) المنتظم ١٠/ ١٤٧.
(٩) معجم البلدان ٢/ ١٦٧، مراصد الاطلاع ٥٠٧.
(١٠) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١/ ٨٧.
(١١) تاريخ بغداد للخطيب ١٢/ ٤٣، المنتظم ٨/ ٤٧، طبقات الحنابلة ٢/ ١٩٨.
(١٢) التكملة لوفيات النقلة ٢١٩، ٦٢٢، ٨٠١، ١٤٦١، ١٩١٥، ٢١٩٠.

لم يرد ذكر لأول القاطنين في العتابية، وإنما ذكر أن "بها تصنع الثياب العتابية، وهي حرير وقطن مختلف الألوان[1]، وهي ذات خطوط صفراء وحمراء كالشمام[2].

ورد أول ذكر لمنسوجات العتابية في سنة ٣٩٨ لمّا وضع نصر بن سابور «العشر على ما يعمل من الثياب الإبريسمات والقطنيات، فثار أهل العتابية وباب الشام»[3].

ولا بد أن تسمية العتابيات منسوبة إلى هذه المحلة ببغداد؛ ومع أنها لم تحتكر صناعته إذ اشتهرت بها مع بغداد نيسابور[4] وأصفهان[5] وأنطاكيا[6]، إلا أن الراجح أنها منشأ هذا النسيج، ولكن المصادر لم تذكر أصول صنّاعِهِ ومصدر مهارتهم في صناعته، علما بأن سكان المحلة الأولين من أصول لم تعرف عند تأسيس بغداد بصناعة النسيج.

المنسوجات المصرية:

تتوفر عن المنسوجات المصرية معلومات في صدر الإسلام أشارت إليها المصادر اللغوية والفقهية، ومعلومات من القرنين الثالث والرابع ذكرتها كتب البلدان والتاريخ التي ألفها المصريون أو من زار مصر، ووصفوا معالمها وما يتعلّق بمنسوجاتها؛ وتختلف أسماء المنسوجات المصرية في القرنين الأول والثاني عن أسمائها في القرون التالية، ممّا يدل على حدوث تطورات واسعة في أنواع المنسوجات المصرية إبان هذه القرون.

فأما ما ذكرته الكتب عن أسماء منسوجات مصر، فمن أولها القبطية، فيروي محمد بن عبد الله الأسدي بسندٍ عن عبدالله بن محمد بن عقيل: «أن النبي

(١) ابن حوقل ٢١٢، رحلة ابن جبير ٢٠٢.
(٢) مفردات ابن البيطار ٣٠١/١.
(٣) لطائف المعارف ٢١٩. ثمار القلوب ٢٥٤، المقدسي، ٣٢٣، ابن الفقيه ٢٥٤.
(٤) لطائف المعارف ١٩٥.
(٥) الاصطخري ٩٩، حدود العالم ١٣١.
(٦) الإدريسي.

كساه حلة سيراء وكسا أسامة قبطيتين»[١]. ويروي ابن أسامة بن زيد «كساني رسول الله قبطية كثيفة»[٢]. ويذكر ابن اسحق أن الرسول «تكشف عن بطنه وكأنه قبطية مصرية»[٣]. ويذكر مالك «الساج المدرج في جرابه والثوب القبطي المدرج في طيه»[٤].

والقبطية ثياب بيض[٥]. وفي حديث قال ابن أبي الحقيق: «ما دلّنا عليه إلا بياضه من سواد الليل كأنه قبطية». وفي حديث ابن عمرانه أنه «كان يجلل بدنه القباطي بالأنماط»[٦]. وقد ذكرت القبطية في الشعر الجاهلي، فقال زهير:

ليأتينك مني منطقٌ قَذَعٌ   باقٍ كما دنّس القبطية الودكُ[٧]

وقال الكميت:

لياحٌ كأنْ بالاتحميةِ مشبعٌ   إزاراً وفي قبطيةٍ مُتَجَلْبِبُ

الأشمونية والشطوية:

من الأنسجة المصرية المذكورة في مصادر الأزمنة المتقدمة، الأشمونية. فقد روى ابن سعد أن علي بن الحسين «كان يشتري كساء الخز بخمسين ديناراً فيشتو به، ثم يبيعه ويتصدّق بثمنه، ويصيّف في ثوبين من ثياب مصر أشمونين بدينار»[٨].

أما الشطوية، فهي من الأنسجة المصرية المذكورة في مصادر القرن الأول، فيذكر ابن سيده أن الشطوية ضرب من ثياب الكتان منسوبة إلى شطا، وهي

---

(١) ابن سعد ٤-١/١٠٧.

(٢) المصدر نفسه ٤-١/٤٥، ابن حنبل ٥/٢٠٥،ويروي البلاذري أن عمر أوصى لاتلبسوا نساءكم القباطي، أنساب الأشراف ٣٢٥ (طبعة إحسان صدقي العمد).

(٣) ابن هشام ٢/٩.

(٤) الموطأ ٢/٧٧، المدونة ١٠/٣٨/٧١.

(٥) الصحاح مادة قبط، المخصص ٤/٧١.

(٦) لسان العرب مادة قبط . وذكر مالك القبطي المدرج في طيّه (المدونة ١/٨).

(٧) لسان العرب مادة قبط.

(٨) ابن سعد ٥/١٦١، وانظر: ابن حوقل ١٤٨.

أرض[1]. ويضيف ابن منظور: وقيل شطي اسم قرية بناحية مصر تنسب إليها الثياب الشطوية. ويقول الشاعر: تجلّل بالشطي والحبرات (يريد الشطوي)[2].

يقول مالك: «وكذلك الكتان رقيقه كلّه واحد القرقبي والشطوي والتنيسي»[3]. ويتبين من هذا النص أن الشطوي هو من الكتان الرقيق. وقد تطرّقت نصوص أخرى إلى نوع هذا النسيج وعلاقته بالمنسوجات الأخرى. ولم يكن مالك يجيز أن يسلم الشطوي في القصبي[4]. ويقول أيضاً. ولا بأس أن يشترى الثوب من الكتان أو الشطوي أو القصبي بالأثواب من الأتريبي أو القسّي أو الزيقة أو الثوب الهروي والمروي بالملاحف اليمانية والشقائق وما أشبه ذلك، الواحد بالاثنين أو الثلاثة يداً بيد أو إلى أجل إن كان من صنف واحد، فإن كان ذلك نسيئة فلا خير فيه. قال مالك: ولا يصلح حتى يختلف فيبيّن اختلافه فإذا أشبه بعض ذلك بعضاً وان اختلفت أسماؤه فلا يأخذ فيه، اثنين بواحد إلى أجل وذلك أن يأخذ.. أو يأخذ الثوبين من القرقبي بالثوب من الشطوي[5]. ويقول الشيباني: «الشطوي جنس غير القصبي معروف ذلك، والشطوي غير جنس المروي»[6]. يذكر مالك الأنسجة القرقبية، فيقول: «وكذلك الكتان رقيقه كله واحد القرقبي والشطوي والتنيسي كله واحد». ونذكر من الأنسجة الكتانية «ولا بأس بالزيقة والمريسية وذلك أنها غلاظ كلّها»[7].

القسّية:

ذكر عدد من المصادر منسوجات مصرية منسوب كلّ منها إلى بلد بمصر، منه القسية التي ذكرت في عدد من الأشعار، فقال ربيعة بن مقروم:

علـى الأحـداجِ واسـتـشـعـرن رَيْـطـاً عـراقــيّــا وقـسّـيّــا مَـصـونـا[8]

(١) المخصص ٤/ ٧٢.
(٢) لسان العرب مادة شطي.
(٣) المدوّنة ٩/ ٢٣.
(٤) المصدر نفسه ٩/ ٢٣، الحجج للشيباني ٢٢٩، وانظر عن القسطاطية: المدوّنة ٣/ ١٤٦.
(٥) الموطأ ٢/ ٧٢.
(٦) انظر عن الشطوي المدوّنة ١/ ٣٣، ٩/ ٤ طبعة الساسي، حكاية أبي القاسم ٨٦.
(٧) المدوّنة ٩، ٦٠، وعن شطا انظر ابن حوقل ١٠٣، أحسن التقاسيم ٢٢١.
(٨) لسان العرب مادة قس.

وقال النميري:

فأدلين حتى جاوز الركب دونه ... حجاباً من القسّيّ والحبراتِ[1]

وروى عاصم بن كليب الجرمي عن أبي بردة بن أبي موسى «أن عليّاً قال إن القسّية ثياب أتتنا من الشام أو من مصر مضلعة؛ فيها حرير فيها أمثال الأترنج، قال أبو بردة فلما رأيت السبنية عرفتها»[2]. والقسية ثياب مضلّعة يجاء بها من مصر فيها حرير[3]. ويقول ابن سيده: «الثياب القسية منسوبة إلى قسّ وهو موضع، وهي ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر، وقد نُهي عن لبسها». ويضيف ابن منظور: «القسي هي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر نسبت إلى قرية على ساحل البحر قريبة من تنيس يقال لها القس. وقيل أصل القسّي القزي بالزاي منسوب إلى القز وهو ضرب من الإبريسم، وقيل منسوب إلى القس وهو الصقيع لبياضه»[4]. وقال ابن منظور: «السبنية ضرب من الثياب تتخذ من مُشاقة الكتان أغلظ ما يكون.. منسوبة إلى موضع بناحية المغرب يُقال له سَبَن»[5]. ويدل هذا على أن السبنية هي القسّية وهي مضلعة فيها أمثال الأترج.

ذكر مالك في كلامه عن السلف: «ولا بأس أن يشترى الثوب من الكتان أو الشطوي أو القصبي بالأثواب من الأتربي أو القسّي أو الزيقة»[6]. وذكر أن القسّي بمنزلة الزيقة وما أشبهها من الثياب، وأشار إلى أنهما تختلف عن الفسطاطي الرقيق «مثل المعافري وما أشبهها فإن ذلك يضم إلى رقيق الكتان إلى الشطوي والقصبي والقرقبي»[7].

ذكر ابن قتيبة أن النبي نهى عن القسّي وهي ثياب مضلّعة بحرير كما نهى عن المياثر الحمر وهي مركب كانت للعجم من ديباج[8].

---

(١) الأغاني ٦/ ٢٤.
(٢) ابن حنبل ١/ ١٣٤، النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٤٦.
(٣) ابن حنبل ١/ ١٢٤، ١٥٤.
(٤) لسان العرب مادة قس.
(٥) النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٤٦، لسان العرب: مادة سبن.
(٦) المدونة ٩/ ٧٣.
(٧) الموطأ ٢/ ٧٢.
(٨) الأشربة لابن قتيبة ١١١.

القرقبية والسبنية:

ذكر مالك المنسوجات القرقبية، فقال: «وكذلك الكتان رقيقه كله واحد القرقبي والشطوي والتنيسي كله واحد». وذكر أيضاً لم يكن يجيز أن يسلم الشطوي في القصبي[1].

ذكرنا من قبل حديث عاصم بن كليب الجرمي عن أبي بردة بن أبي موسى عن علي أنه قال «نهاني رسول الله عن الميثرة وعن القسية، قلنا له يا أمير المؤمنين وأي شيء الميثرة، قال شيء كان يضعه النساء لبعولتهن على رجالهن، قال قلنا وما القسّية، قال ثياب تأتينا من قبل الشام مضلعة فيها أمثال الأترج، قال أبو بردة فلما رأيت السبنية عرفت، قال أبو بردة فلما رأيت السبنية عرفت أنها هي»[2].

المنسوجات المصرية في مصادر القرنين الثالث والرابع:

ذكر اليعقوبي عدداً من مراكز النسيج في مصر وما ينتجه كل مركز، فقال:

الفيوم: بها يعمل الخيش.

القس: بها تعمل الثياب القسية والأكسية من الصوف الجيد.

أهناس: بها تعمل الأكسية.

أسيوط: بها يعمل الفرش القرمزي الذي يشبه الأرمني.

بهنسا: بها تعمل الستور البهنسية[3].

أخميم: بها يعمل الفرش القطوع والجلود الأخميمية[4].

شطا: بها تعمل الثياب الشطوية.

دمياط: بها تعمل الثياب الصفاق الدبيقية والثياب الشروب والقصب[5].

---

(١) الموطأ ٢/ ٧٢.

(٢) المعجم للشيباني ٢٢٩.

(٣) البلدان ٣١١، وانظر فضائل مصر ٦٨، المقدسي ٢٠١.

(٤) البلدان ٣٣٣.

(٥) المصدر نفسه ٣٣٧.

أورد ابن ظهيرة في كتابه «الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة» معلومات ذكر أنه نقلها ملخصة عن كتاب ابن زولاق «الموازنة بين مصر وبغداد»، فصّل فيها ما اختصت به مصر دون غيرها من البلاد من مأكول وملبوس ومشروب وغيرها بالقدم، فقال: فمن ذلك القصب الدبيقي الملون والأبيض والمقصور والثوب منه يبلغ مائة دينار.

وما يلبسه الرجال والنساء كما قدّمنا من عمل تنيس ودمياط والقلموني من كل نوع وكل نقش، ومنها طراز من الصوف والمطارح والشقاق، فإنها أبهى الصوف والستور والمقاطع والخيم والبراقع وفرش الطنافس والمياسر وغيرها[1].

ونقل عن ابن زولاق: ومنها ما يعمل بمصر من الأثواب الدبيقي والشرب، والقصبي وليس في الدنيا مايبلغ الثوب الذي يعمل فيه مائتي دينار وأكثر وليس فيه ذهب إلا بمصر. فالإزار للمرأة زنته مرار ذهب، ومبلغ العمامة الدبيقي مائة دينار. وأما بغداد فيعمل فيها العتابي ولايخلو من غش، وأفضله مايعمل بخراسان وأصفهان، وقطن مرو خير من قطن بغداد، وأكثر ما يبلغ الثوب الزهيري وهو أفضل ما يحمل من بغداد أربعين ديناراً وأقل[2].

ذكر ابن بسام في كتابه أنيس الجليس في «أخبار تنيس» أن تنيس «بها من المناسج التي تعمل فيها الثياب خمسة آلاف منسج عدد عمالها عشرة آلاف جنس سوى من يطيب ويرقم من ذكر وأنثى، عدد ما فيها من الأسفاط ألف وخمسمائة سفط، ومن الرزم ألف رزمة، وبرسم خزانة السلطان أربعمائة سفط فيها من الأمتعة ما لا يرى مثله، ثياب مذهّبة من هيئة المخيطة منسوجة، والثوب الواحد بألف دينار ومناديل المنيل بخمس مائة دينار، ومراتب: المرتبة بألف دينار، ومطارد ومقاطع ومقارض وستور مخمل من معين، وسقلاطون دبيقي ومصمت دبيقي، وعتابي وما لا يمكن وصفه»[3].

---

(١) الفضائل الباهرة ١٣١؛ ووردت إشارات إلى أردية مصر، ثمار القلوب ٥٣٤؛ وأنها بيضاء، الذخائر ٢٧؛ الموشى ١٣٦؛ وأشار إلى الأردية المصرية الثعالبي، ثمار القلوب ٥٣٤؛ وكانت بيضاء، الذخائر، التحف ٢٧؛ الموشى ١٣٦، ١٨٤.

(٢) الفضائل الباهرة ١٤٦.

(٣) أنيس الجليس ٢٧؛ وانظر عن تنيس ودمياط، فضائل مصر ٢٧، ابن حوقل ١٠٣.

وذكر ابن زولاق في كلامه عن كور مصر: «فمنها تنيس بها ثياب الكتان الدبيقي والمقصور والشقاق والأردية وأصناف المناديل والمناشف الفاخرة للأبدان والأرجل والمخاد والفرش القلموني المُعلّم والمطرّز، ويبلغ الثوب المقصور منها خمس مائة دينار وأقل وأكثر، ولا يُعلم في بلد ثوب يبلغ مائتي دينار فما فوقها وليس فيه ذهب إلا بمصر، وليس في الدنيا ملك جاهلي ولا إسلامي يلبس خواصه وحرمه غير ثياب مصر»[1].

وذكر الحميري عن تنيس: «وأهلها ذوو يسار وثروة وأكثرهم حاكة وبها تحاك ثياب الشروب التي لايصنع مثلها في الدنيا، ويصنع فيها لصاحب مصر قمص لايدخل فيها من الغزل سدىً ولحمة غير أوقيتين وينسج من الذهب أربعمائة دينار قد أحكمه صانعه حتى لم يخرج إلى تفصيل ولا خياطة غير الجيب واللبات تبلغ القيمة فيه ألف دينار، وكذلك إلى الآن يصنع لكل ملك يملك مصر هذا الثوب في كل عام، ويسمّى هذا القميص البدنة، وليس في جميع الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه وهو ساذج دون ذهب مائة دينار عيناً غير طراز تنيس ودمياط»[2].

وذكر ابن زولاق عن دمياط: «وبها يعمل القصب البلخي من كل فن لا تشارك تنيس في شيء من عملها، وبينهما مسافة نصف نهار، ويبلغ الثوب الأبيض وليس فيه ذهب ثلاثمائة دينار، ولا يعمل بدمياط مصبوغ، ولا يعمل بتنيس أبيض»[3].

نقل ابن ظهيرة أن مدينة بهنسا وبها طراز الستور الذي يحمل إلى الآفاق من سائر البلاد ولا يخلو منه مجلس ملك ولا أنيس[4].

---

(١) الفضائل الباهرة ٥٣.
(٢) الروض المعطار ١٩٤.
(٣) الفضائل الباهرة ٥٤.
(٤) المصدر نفسه ٦٧، وانظر فضائل مصر ٦٨، المقدسي ٢٠١.

ونقل الحميري عن بهنسا: «وبهذه المدينة تعمل الستور البهنسية وتنسج الطرز، والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والثياب المتميزة ويعمل بها التجار الستور الثمينة: طول الستر ثلاثون ذراعاً وأزيد، والفص قيمة الإثنين منها مايتا مثقال وأكثر من ذلك وأقل، ولا يصنع بها شيء من الستور والأكسية وسائر الثياب منها جيلاً بعد جيل، وهذه الأكسية والفرش مشهورة في جميع الأرض»[1].

وينقل ابن ظهيرة أن الاسكندرية بها منسج الكتان والغلائل والمعتب الذي يحمل منه إلى الآفاق، ومنسج الساماني والعباداني[2]، وبلد الأشمونيين وما يعمل بها من الأزر والكتان ويُحمل إلى سائر الآفاق، ومنها أسيوط وجبل أبي منيده، وبها منسج الأرمني والأبيض والمثلث وسائر أنواع الملبوس لا يخلو منه ملك إسلامي ولا جاهلي[3].

الفيوم وبها يعمل الطراز الصوف الشفاف والمطارف والمطرز والمعلم الأبيض والملون، ويحمل منه إلى أقصى البلاد ويبلغ الثوب منه عشرين ديناراً وكذلك المطرف[4].

الدبيقية:

ومن المنسوجات المصرية التي ذكرتها المصادر المتأخرة هي الدبيقية، وقد ذكرت في المصادر. ويقول ابن منظور: «الدبيقي من دق ثياب مصر معروفة تنسب إلى دبيق[5]. ويروي الأصبهاني أن أبا دهمان سرق من محمد بن عبد الملك منديلاً دبيقياً فجعله تحت عمامته[6]. والدبيقية أكثر ما يتردد ذكرها في القرن الرابع من المنسوجات المصرية[7]، وهي ثياب صفيقة[8]، كالهواء قيمته

(١) الروض المعطار ٧٧.
(٢) الفضائل الباهرة ٥٨.
(٣) المصدر نفسه ٦٢.
(٤) المصدر نفسه ٦٣، وانظر عن سخا ابن حوقل ٥٨، وعن أسيوط: فضائل مصر ٥٨.
(٥) لسان العرب مادة دبق.
(٦) الأغاني ٢٠/٥٠.
(٧) انظر لطائف المعارف ٢٢٦، اتعاظ الحنفا ١/ ٢١٤، ٢/ ٣٠/ ١٥٩.
(٨) الموشى ٢٢٥.

سبعون ديناراً[1]، وقد تكون من الحرير[2]، وهي بيضاء[3]، أو بيضاء مذهّبة[4]، أو معلّمة[5]، أو مدبّرة بسواد[6]، أو مذهّبة مصفّقة كالطوق[7]. ويصنع من الدبيقي السراويل[8]، والدراعات[9]، والقباء[10]، والمناديل[11]، والخيام[12]، والمظلة[13]، والحلل[14]، والخلع[15]، والثياب[16]. ويذكر المقريزي أن الحاكم بأمر الله أمر أن لا تلبس المرأة سراويل قطع من ثماني شقق دبيقي[17].

وفي العراق ذكرت حكاية أبي القاسم الشرب الدبيقي[18]. وذكر الصابي المنديل الدبيقي[19]، وأن حلة المناديل دراعة دبيقية[20]. وخلعت لابن بقية دراعة دبيقية[21]، وحمل المعتضد هدايا إلى الطائع في عشرة أكياس دبيقية[22].

---

(١) الذخائر والتحف ٢٥٢٩.
(٢) اتعاظ الحنفا ٢/ ١٥٠، ١٥٩.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٥٠، ١٦٠.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٤٤، ١٥٠، الذخائر والتحف ٧٠، حكاية أبي القاسم ٣٥.
(٥) اتعاظ الحنفا ٢/ ١٤٤.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٣٧.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٣٣.
(٨) رسوم دار الخلافة ٢٨، اتعاظ الحنفا ٢/ ٣٠.
(٩) رسوم دار الخلافة ٩٣، ٩٦، ٩٨.
(١٠) المصدر نفسه ٩٣.
(١١) المصدر نفسه ٦٨، ٩٥، نشوار المحاضرة ٦/ ١٤.
(١٢) اتعاظ الحنفا ٢/ ٢٨٧.
(١٣) المصدر نفسه ٢/ ١٥٩.
(١٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٩.
(١٥) المصدر نفسه ٢/ ١٥٠.
(١٦) رسوم دار الخلافة ٦٨، اتعاظ الحنفا ٢/ ١٣٧، ١٥٩.
(١٧) اتعاظ الحنفا ١/ ٢١٤، وانظر عن الدبيقي: رسوم دار الخلافة ٦٨، ٩٣، ٩٦، نشوار المحاضرة ٣/ ١٢٠، الذخائر والتحف ٧٥، ٨٠، ١٠٥، ١٦٢، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٧٣، ٣٩١.
(١٨) حكاية أبي القاسم ٨٦.
(١٩) رسوم دار الخلافة ٦٨.
(٢٠) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(٢١) المصدر نفسه، ٩٨.
(٢٢) المصدر نفسه، ١٠٠.

مراكز نسيج أخرى:

ينقل ابن ظهيرة أن مدينة بهنسا وبها طراز الستور الذي يحمل إلى الآفاق من سائر البلاد ولا يخلو منه مجلس ملك ولا أنيس[١].

أخميم وبها يعمل الطراز الصوف الشفاف والطارف والمطرز والمعلم الأبيض والملون ويحمل منه إلى أقصى البلاد ويبلغ الثوب منه عشرين ديناراً وكذلك المطرف[٢].

أنسجة الشام:

ترد في المصادر الحجازية بصورة خاصة أخبار الأنسجة الشامية، فيروي ابن سعد أنه «لما ارتحل رسول الله من الخرار في هجرته إلى المدينة فكان الغد لقيه طلحة بن عبيد الله جائياً من الشام في عير فكسا رسول الله (ص) وأبا بكر من ثياب الشام»[٣].

ويروى أيضاً عن هشام بن عروة عن أبيه أن الثياب التي أعطاهما إياها «ثياب بيض من ثياب الشام فلبساها فدخلا المدينة في ثياب بيض»[٤]. ذكرت في النصوص من الشام جباب، وخميصة، والبرانس، والريط، فيقول مالك: «أهدى أبو الجهم بن حذيفة لرسول الله خميصة شامية لها علم»[٥]. ويروي البخاري عن يحيى عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن مسلم عن مسروق، عن المغيرة بن شعبة، قال: «كنت مع النبي.. وعليه جبة شامية فذهب ليخرج يده من كمّها فضاقت فأخرج يده أسفلها»[٦]. ويروي حفص بن غياث عن الحسن بن عبيد الله: «رأيت عبد الرحمن بن يزيد يسجد في برنس شامي»[٧]. ولهذا النص

(١) الفضائل الباهرة ٦٧.
(٢) المصدر نفسه ٦٣.
(٣) ابن سعد ٣-١ / ١٥٣.
(٤) المصدر نفسه ٣-١/١٢٢.
(٥) الموطأ ٩٠.
(٦) البخاري: الصلاة ٦.
(٧) ابن سعد ٦/ ٨٣.

أهميته إذ يدل على أن البرانس الشامية كان لها سوق في الكوفة. وكان على عبد الرحمن بن عوف جبة شامية[1] وورد ريط الشام[2].

ويروي حفص بن حيوة عن معاذ أنه قال شر النساء.. من «إذا تحلّين الذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن فاتبعن الغني وكلّفن الفقير ما لا يجد»[3]. وهذا النص يدل على غلاء أسعار ريط الشام.

إن الأنسجة المذكورة وُصفت بأنها شامية دون تحديد مكانها، غير أن بعض الأنسجة حُدّدت أنواعها تحديداً أوفر.

الغوطية:

يروي ابن الأثير «من حديث سهيل بن عمرو حين استهداه النبي (ص) ماء زمزم فاستعانت امرأته بأثيلة ففرّتا مزادتين وجعلتاهما في كرّين غوطيين قال ابن الأثير: الكُرُّ جنسٌ من الثياب الغلاظ[4].

القسطلانية والمرنبانية والمقدية:

ويذكر ابن سيده أن القسطلانية قطف منسوبة إلى عامل أو بلد والواحد قسطلانية، المرنبانية أكسية تصنع بالشام.. صاحب العين كساء مرنباني ومؤرنب، فالمرنباني لونه لون الأرنب، والمؤرنب ما قد خلط غزله وبر الأرنب.

ويقال هو كالمرنباني «منبجاني منسوب إلى منبج»[5]. ويقال أيضاً المقدية ضرب من الثياب لا أدري لمن نسبت[6]. ويقول ابن منظور: «والمقدية خفيفة الدال قرية بالشام من عمل الأردن»[7].

---

(١) ابن سعد ٣/١٠٣/٩١.
(٢) عيون الأخبار ٤/١١٤، ثمار القلوب ٥٤٤.
(٣) عيون الأخبار ٤/١١٤، وانظر عن ريط الشام: ثمار القلوب ٥٣٤.
(٤) النهاية في غريب الحديث ٣/١٥، لسان العرب مادة: كرر.
(٥) المخصص ٤/٨٠.
(٦) المصدر نفسه ٤/٧٣.
(٧) لسان العرب مادة مقد.

مراكز النسيج في الأهواز:

لم تذكر المعاجم العربية أو كتب اللغة منسوجات إقليم الأهواز ومدنه. غير أن كتب التاريخ تذكر أقدم صناعات النسيج التي نقلها إلى هذا الإقليم أسرى الروم الذين أوطنهم سابور الثاني فيها[١]. كما تذكر كتب البلدان وبعض كتب الآداب ما اشتهرت به مدن الإقليم من منسوجات وأبرزها الخزّ والقزّ والديباج.

ففي السوس يصنع الخزّ[٢]، ومنها يحمل إلى الآفاق[٣]، كما يصنع فيها الفرش[٤]، والمطارف[٥]، والعمائم[٦]، والثياب[٧]؛ ويصنع فيها أيضاً البزّ[٨].

وفي تستر يصنع الديباج[٩]، ومنها يحمل إلى جميع الآفاق، وكانت تصنع فيها كسوة الكعبة من العهود العباسية الأولى، وفيها لكل من ملك العراق طراز وصاحب يشتغل له ما يشتهيه[١٠]. وفيها «أطراز الدبابيج الفاخرة توصف مع دبابيج الروم»[١١].

وتصنع فيها أيضاً المقاعد، وأنماط وثياب مروية[١٢]، ويعمل فيها القطن[١٣] وفي الأهواز يصنع ديباج القزّ[١٤]، ومنوط القزّ[١٥]، ويصنع الفرش في

(١) الطبري ١/٩٨.
(٢) حكاية أبي القاسم ٣٥؛ المقدسي ٤١٦؛ لطائف المعارف ٢٢٧، ٢٧٤؛ رسوم دار الخلافة ٩٣.
(٣) ابن حوقل ٢٥٢.
(٤) حكاية أبي القاسم ٣٥.
(٥) أحسن التقاسيم، الموشى ١٧٩، ١٨٦.
(٦) الموشى ١٣٦.
(٧) الذخائر ٦٨.
(٨) أحسن التقاسيم ٤١٦؛ وذكر العرجي في شعره طراز السوس؛ الأغاني ١/ ٩٤.
(٩) مروج الذهب ٣/١٨٦. أحسن التقاسيم ٤٠٩، ٤١٦.
(١٠) ابن حوقل ٢٥٤.
(١١) لطائف المعارف ١٧٤، ٢٢٥.
(١٢) أحسن التقاسيم ٤١٦.
(١٣) المصدر نفسه ٤٠٩.
(١٤) التبصر بالتجارة ٣٤٦٥.
(١٥) أحسن التقاسيم ٤١٦.

سوسنجرد[١]، ومن نهر ابان يحمل إلى أرمينية فيغزل وينسج[٢].

ومن بصنا تصنع الستور[٣]، والأنماط[٤]، وكذلك في قرقوب[٥] وفي نهر تيري تصنع الأزر[٦]، والثياب[٧]، وبزّ ومناديل ومقانع قزّ[٨]. واشتهرت عبادان بالحصر السامانية العبادانية.

أما أقليم فارس فكان يصنع الكتان الذي ينتج عندهم أو يستورد من مصر[٩]، وأهم مراكز صناعته في كازون[١٠]، وسيراف[١١]، وسينيز[١٢]، وجنابة[١٣].

ويصنع الديباج والخزّ في شيراز[١٤]، والقزّ في فسا[١٥]، والإبريسم في خبيص[١٦] وسابور[١٧]، والقطن في يزد وأبرقويه[١٨].

وتنتج الثياب في دارابجرد[١٩]، والبسط في جهرم، والبسط والستور والمقاعد في غندجان[٢٠]، والأكسية في أرجاء من الإقليم[٢١].

---

(١) الذخائر ٢٧، حكاية أبي القاسم ٣٥.
(٢) البلدان لليعقوبي ٣٢٢.
(٣) أحسن التقاسيم ٤١٦.
(٤) المصدر نفسه ٤٠٨.
(٥) المصدر نفسه ٤١٦، الذخائر والتحف ٣٧٣.
(٦) أحسن التقاسيم.
(٧) ابن حوقل ٢٥٤.
(٨) أحسن التقاسيم ٤١٦.
(٩) المصدر نفسه ٤٤٢.
(١٠) المصدر نفسه ٤٣٤.
(١١) المصدر نفسه ٤٤٢.
(١٢) ابن حوقل ٤٣٤.
(١٣) الموشى ٧٨.
(١٤) أحسن التقاسيم ٤٤٢.
(١٥) ابن حوقل ٢٦٤.
(١٦) أحسن التقاسيم ٤٦٣.
(١٧) ابن حوقل ٢٦٤.
(١٨) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(١٩) أحسن التقاسيم ٤٤٢.
(٢٠) ابن حوقل ٢٦٤.
(٢١) الموشى ١٧٩.

وكانت بمّ أهل صناعة وحذاقة ومتاجر مقصودة، ثيابها في الآفاق معروفة.. عامّتهم حاكة .. أكثر ما يعمل من الثياب بها[1].

مراكز النسيج في المناطق الشمالية

المنسوجات الكردية والرومية:

ذكرت المسوح الكردية دون تحديد مكان نسجها، فيروي سليمان بن حرب عن يزيد بن حازم، قال رأيت على علي بن الحسن طيلساناً كردياً غليظاً[2]. ويروي عبد الله بن جعفر قال أبو المليح بيع طيلسان ميمون بن مهران حين مات في ميراثه بمائة درهم، قال أبو المليح كانت الطيالسة كردية يلبس الرجل الطيلسان ثلاثين سنة ثم يقلبه أيضاً[3]. وقالت زوجة روح بن زنباع تهجوه:

بكى الخزّ من رَوْحٍ وأنكر جلدَه ... وعجّت عجيجاً من جذام المطارفُ

وقال العبا قد كنت حيناً لباسكم ... وأكسيةٌ كرديّةٌ وقطائفُ[4]

ويقول السرخسي: «لا بأس بقطيفة يمانية بقطيفتين كرديتين إلى أجل»[5]. وذكر محمد بن الحسن الشيباني الطيالسة الكردية والخوارزمية[6].

وذُكر الصوف الأذري وهو منسوب إلى أذربيجان. وذكر صاحب حكاية أبي القاسم المسوح الكردية[7].

ورد ذكر زلالي قاليقلا[8]، كما ذكر الديباج الرومي، والقطف الرومية[9] والفرجية الرومية[10]، وهي ممّا يستورد من بلاد الروم.

---

(1) أحسن التقاسيم ٤٧٠.
(2) ابن سعد ٥/ ١٦١.
(3) المصدر نفسه ٤-٢/ ١٢١.
(4) الأغاني ٨/ ١٣٣.
(5) الأصل ١/ ١٢٠ [٨]، المبسوط ١٣/ ٢٧.
(6) الأصل ١/ ٢٠ [٨].
(7) حكاية أبي القاسم ٣٧.
(8) لطائف المعارف ١٨٣؛ حكاية أبي القاسم ٣٧.
(9) اتعاظ الحنفا ١/ ٢٧٥، ٢١٤، ٢٨٣؛ ثمار القلوب ٤٥/ ٥٣٥؛ الذخائر والتحف ٤٣؛ البلدان لابن الفقيه ١٩١؛ لطائف المعارف ٢٤/ ٢٤٧.
(10) حكاية أبي القاسم ٣٥.

المنسوجات الأرمنية:

تردّد ذكر المنسوجات الأرمنية، فيروي ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز تناول وسادة أرمنية فطرحها[1] بينه وبين الأرض[2].

وكان فرش قاعة استقبال الخليفة في بغداد في القرن الرابع الهجري من الفرش الأرمني[3].

ويقول ابن سيده أن الدركل ثياب شبه الأرمنية، والراجح أن هذه المنسوجات كانت تصنع من الصوف الذي كان لما تنتجه أذربيجان منه ميزة خاصة، فيروي ابن منظور حديث أبي بكر: «لتألمن النوم على الصوف الأذري كما يألم أحدكم على النوم على حسك السعدان»[4]. والأذري نسبة إلى أذربيجان. وذكر البساط الأرمني[5]، والأنخاخ الأرمنية[6].

يذكر الجاحظ أن من منتوجات أرمينية وأذربيجان اللبود والبرادع والفرش والبسط الرقاق والتكك والصوف[7]. ويذكر المقدسي: «يحمل من بردعة الإبرسيم الكثير، ومن باب الأبواب ثياب الكتان والرقيق والزعفران والبغال الجياد، ومن بردعة الستور». ويذكر أيضاً: «ولا نظير لتككهم ومحفورياتهم وقرمزهم وأنماطهم وصبغهم»[8]. وذكر اليعقوبي أن نهر أبان في الأهواز به يصنع الفرش الذي يعمل منه الأرمني ثم يحمل إلى أرمينية فيغزل وينسج[9]. وذكر الثعالبي أن صوف أرمينية بعد صوف تكريت ومصر[10]. وذكر المقريزي الحرير الأرمني[11]. وذُكر

---

(1) حكاية أبي القاسم ٨٦.
(2) ابن سعد ٥/ ٢٥١.
(3) رسوم دار الخلافة: ٨.
(4) محاسن أصفهان للمافروخي ٨٢.
(5) لطائف المعارف ١٨٣.
(6) الذخائر والتحف ١٦٢.
(7) التبصر بالتجارة ٣٤٦.
(8) أحسن التقاسيم ٣٨٠.
(9) البلدان ٣٢٢.
(10) لطائف المعارف ٢٢٣، ثمار القلوب ٤٣٣.
(11) اتعاظ الحنفا ٢/ ٣٠.

الأثاث الأرمني منذ زمن الأمويين، فكانت لعمر بن عبد العزيز وسادة أرمينية[1]، وكان للوليد بن يزيد بيت مفروش بالأرمني أرضه وحيطانه[2].

وذكر الرشيدي الفرش الأرمني في مواضع كثيرة من كتابه[3] (١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٣، ٢٤٧، ٣١١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٧٣، ٣٩٦).

وذكرت التكك الأرمنية المنقوشة[4]، والمخاد[5]، والمطارح[6]، والنخاخ[7]، والفرش[8]، والبساط[9]، والزربية[10]، والفرش الأرمني[11]. وذكر المقريزي حرير أرمينية[12]. ووردت إشارة إلى العمائم الصقلية[13]؛ كما وردت إشارة إلى ما ينسب إلى المغرب من الزلالي[14]، والخز الملين[15] والأقطاع المذهبة[16]؛ وإشارة إلى أندلسية وقرطبية[17]. كما وردت إشارة إلى الطرّاحات القبرصية[18].

---

(١) ابن سعد ٥/ ٢٥١.
(٢) الأغاني ٦/ ٦٢.
(٣) الموشى ١٧٩، ثمار القلوب ٥٣٤.
(٤) تكملة تاريخ الطبري لعريب، وهو في الأصل الأوراق للصولي ٦٠.
(٥) حكاية أبي القاسم ٣٥.
(٦) الذخائر والتحف ١٦٢.
(٧) عريب ٢٥.
(٨) لطائف المعارف ١٨٣، الذخائر ٤٥.
(٩) الأغاني ٦/ ١٨١.
(١٠) انظر رسوم دار الخلافة ٨٣، ٩٠؛ الذخائر ٢٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣.
(١١) اتعاظ الحنفا.
(١٢) الذخائر والتحف ٢٨.
(١٣) حكاية أبي القاسم ٣١.
(١٤) الذخائر والتحف ٦٨.
(١٥) حكاية أبي القاسم ٣٥.
(١٦) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(١٧) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(١٨) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

الفصل الخامس

منسوجات بلدان الهضبة الإيرانية

ذكر ابن حوقل أن أصبهان يرتفع منها العتابي والوشي، وسائر ثياب الإبريسم والقطن، وما يجهز بذلك إلى العراق وفارس وسائر الجبال وخراسان وخوزستان، وليس كعتابي أصبهان من الجودة والجوهرية[١].

وذكر ابن رسته أن أصبهان تعمل بها البسط التي لا ترتفع عن فرشها، واستعملها الرؤساء والأجلّة ولا تستكثر، مشهور في الآفاق حسنها وجودة صنعها وبقائها، وإن استعملت مع الأرمني الفاخر من الفرش حسنت معه، وإن بسطت وحدها، وكان يعمل بها الستور المرتفعة التي تفوق الموصلية والواسطية حُسْناً وجودة وإتقاناً[٢].

وذكر محمد بن الحسن الشيباني القطائف الأصبهانية[٣]. وذكر كذلك صوف همدان[٤]. وذكر المقدسي: يصنع فيها وفي نواحيها البز[٥].

وذكرت الثياب الرازية في كتب التراجم والفقه. فقد روي أن ابن عبيد وعبد الله بن نمير بسند، عن عبد الله بن أبي الهذيل، قال: "رأيت على علي قميصاً رازيًّا إذ إن كمه بلغ الظفر فإذا أرخاه قال بلغ نصف ساعده، وقال عبد الله بن

(١) ابن حوقل ٣٦٣.
(٢) الأعلاق النفيسة ١٥٣.
(٣) الأصل ١/١٢١، المبسوط للسرخسي ١٣/٢٨.
(٤) الأصل ١/١٢٠.
(٥) أحسن التقاسيم ٩٥.

نمير بلغ نصف ذراع[(١)]. وقال ذو الرمّة: «وليل كأثناء الرويزي جُبته»، ولعلّه أراد بالرويزيّ الرازي[(٢)].

وذكر الشافعي الثوب الرازي[(٣)]. ويقول الطبري أن «السابرية من سابور، والطيالسة من الري، والحبرية من اليمن»[(٤)].

وقال ابن الفقيه إن الري «لهم الثياب الرازية التي لا يعمل في سائر الدنيا إلا في بلدهم، ولقد رأيت ثوباً منها تكسيره نحو مائتي شبر، وقد بيع بعشرة آلاف درهم»[(٥)]. وقال المقدسي: «يحمل من الري البرود والمنيرات والقطن»[(٦)]. وقال ابن حوقل: «يرتفع من الري بالجلب منها إلى غيرها من البلاد والقطن المحمول إلى العراق وأذربيجان وغيرهما والثياب المنيرة والأبراد والأكسية»[(٧)]. وذكر الثعالبي: «الثياب المنيرة من الري»[(٨)] وأن «برود الرس موصوفة كبرود اليمن، يقال لها المعدنيات تشبّهاً ببرود عدن واليمن»[(٩)].

أما البلدان الواقعة في الأطراف الجنوبية من بحر قزوين، فكانت قزوين تنتج الجوارب والأكسية[(١٠)]، وتنتج قومس الطيالسة[(١١)]، والأكسية الصوفية القومسية الرفيعة[(١٢)]، كما تنتج المناديل البيض من القطن المعلّمة وثياباً رقاقاً من صوف[(١٣)].

---

(١) ابن سعد ٣-١/١٧، حلية الأولياء ٣/٣٦١.
(٢) لسان العرب مادة روز.
(٣) الأم ٣/٩٣، ١٠٨.
(٤) تفسير الطبري ٢٤/٦٢.
(٥) البلدان ١٩٢ (مخطوطة مشهد).
(٦) أحسن التقاسيم ٣٩٥.
(٧) ابن حوقل ٣٨٠.
(٨) لطائف المعارف ٢٨٤.
(٩) المصدر نفسه ٨، ثمار القلوب ٤٢٨، نهاية الدرب للنويري ١/٤٦٢.
(١٠) أحسن التقاسيم ٣٩٧، ثمار القلوب ٥٣٤.
(١١) أحسن التقاسيم ٣٦٧، الموشى ١٧٩.
(١٢) البلدان لليعقوبي ٢٣٦.
(١٣) أحسن التقاسيم ٣٦٧.

وذكر الثعالبي أكسية الدامغان[1]. والثياب السود من جرجان[2]، و«المقانع القزيات تحمل إلى اليمن»، وديباج، وديباج دون[3]، وثياب حرير[4]، وينتجون الإبريسم الفاخر، وأكبر مراكزه بكراباد[5] ولهم الخشخاشية[6]، وهي تفوق في الرقة والنعومة حفيات نيسابور[7].

واشتهرت طبرستان بالإبريسم، ويحمل منه إلى جميع الآفاق وليس بسائر الأرض من ملك الإسلام والكفر ناحية تقارب طبرستان في كثرة الإبريسم[8]، غير أنه إبريسم أقلّ جودة مما في جرجان[9]. ويرتفع منها الأكسية الصوفية الثمينة والبرنكانات، وهي تفوق البلاد[10]، وينتجون أيضاً مناديل قطن وشرابيات ودساتك ساذجة مذهّبة، وفي قطنهم حضرة، وهو يضاهي قطن صعدة وصنعاء. وبطبرستان مزارع كتان وقنب[11]، ويصنع فيها القزّ، وأصل قصبة طبرستان بها ثياب عجيبة، وحاكة حذّاق[12]. والديلم إقليم القز والصوف، صنّاعه حذق وبزّه معروف بمصر والعراق[13]. وذكر لطبرستان الفرش[14]، فمن مخلفات الأمين ألف بساط طبري وألف وسادة طبرية وألف مخدة طبرية[15].

القوهية:

ذكرت خاصة في الحجاز، الأنسجة القوهية. وأغلب النصوص التي وردت

---

(1) ثمار القلوب ٥٣٤.
(2) لطائف المعارف.
(3) أحسن التقاسيم ٣٦٧.
(4) البلدان لليعقوبي ٢٧٧.
(5) ابن حوقل ٢/٣٨٢.
(6) لطائف المعارف ٢٣٥.
(7) المصدر نفسه ١٩.
(8) ابن حوقل ٢/٣٨١.
(9) المصدر نفسه ٢/٣٨٢.
(10) ابن الفقيه ١٥٣ب (مخطوطة مشهد)، الذخائر والتحف للرشيدي ٦٦.
(11) أحسن التقاسيم ٣٥٤.
(12) الأعلاق النفيسة ١٥٠.
(13) أحسن التقاسيم ٣٥٣.
(14) الذخائر ٢٧، ١٥٩، عريب ٢٥.
(15) مطالع البدور ١٦١، عن الرشيدي.

فيها تذكر أنها قُمُص: فيروي شريك بن عبدالله عن شيخ من الحاطبين، عن أبيه: «رأيت على عثمان (ابن عفان) قميصاً قوهياً وهو على المنبر»[1]. ويروي أحمد بن ابراهيم الدورقي عن وهب بن جرير بن حازم، عن أبيه، عن محمد بن الزبير الحنظلي، أنه عند بيعة يزيد «جاء الحسين أولهم وعليه قميص قوهي وإزار مصبوغ بزعفران»[2].

ويروي محمد بن يزيد عن حماد بن إسحق، عن أبيه، عن عثمان بن حفص الثقفي، عن أبيه، قال: «رأيت النصيب بالطائف فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قوهي ورداء حبرة»[3].

ويقول النصيب:

سَوِدْتُ فَلَمْ أملكْ سوادي وَتَحْتَهُ قميصٌ من القوهيِّ بيضٌ بنائِقُهُ[4]

ويروي محمد بن سلام عن أبيه: «أقبل طويس وعليه قميص قوهي وحبرة قد ارتدىَ بها»[5].

ويروي مسعدة بن عمران أن عمر بن أبي ربيعة أرسل إلى اليمن .. وكتبه في قوهية .. وكتب إليه:

وقـرطـاسُـهُ قـوهـيّـةٌ وربـاطُـهُ بعقدٍ من الياقوتِ صافٍ وجوهرِ[6]

ويروي محمد بن مسلم عن جرير: «قال ابن سريج دعاني فتية من بني مروان فدخلت عليهم وأنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية، وهم في القوهي والوشي يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية»[7].

---

(١) ابن سعد ٣-١/٣٩، أنساب الأشراف ٥/٨.
(٢) أنساب الأشراف ٤-٢/٢٢.
(٣) الأغاني ١/١٤١.
(٤) لسان العرب مادة قوة.
(٥) الأغاني ١٣/١٦٢، ٦/١٣٠.
(٦) المصدر نفسه ١/٩١.
(٧) المصدر نفسه ١/١٢٠.

ويذكر عبد الرحمن بن مقرن: «فخرجت الزرقاء في إزارين قوهيين متوردين»[1]. وذكر الوشاء: استعملت من القوهية المبطنة[2] والأقبية. فيروي الطبري: «فأتوا ابن ضبارة بغلمان عليهم أقبية قوهية مصبغة ألواناً فأقامهم للناس، وهم أكثر من مائة غلام لينظروا إليه»[3].

تميّزت القوهية بالرقة، فقد غنّت جارية للمتوكّل شعراً لخديجة بنت المأمون جاء فيه:

لـو أُلـبِـسَ الـقـوهـيَّ مِـنْ رقّـةٍ   أوجـعَـهُ الـقـوهـيُّ أو خُـدِّشـا[4]

يقول ابن منظور: «القوهيّ ضرب من الثياب بيض فارسي. (الأزهري) الثياب القوهية معروفة منسوبة إلى قوهستان. قال ذو الرمة: من القهز والقوهي بيض المقانع[5]. وقد ذكر مالك الأنسجة القوهية»[6].

يقول الاصطخري أن قوهستان «فيها شيء كثير من الكرابيس يحمل إلى الآفاق ومسوح ونخاخ وليس بها أمتعة مترفعة»[7]. ويقول المقدسي: «يرتفع من قوهستان ثياب تشبه النيسابورية[8] بيض». ويقول الوشّاء: «لا يحسن لبس الباقيات من القوهي»[9].

يتبيّن من هذه النصوص:

١ ـ أن الأنسجة القوهية هي في الغالب قمصان، وقد تكون أردية أو أقبية.

(١) الأغاني ١٣/ ١٢٥.
(٢) الموشى ١٣٩، ٢٤٥، ٢٧٨.
(٣) الطبري ٢/ ١٩٨٠.
(٤) الأغاني ١٤/ ١١٠.
(٥) لسان العرب، مادة قوة.
(٦) الموطأ ٢/ ٧٢.
(٧) المسالك ٢٧.
(٨) أحسن التقاسيم ٣٢٤.
(٩) الموشى ١٧٩.

٢ ـ أنها انتشرت في الحجاز في زمن عثمان فما بعده، وأكثر النصوص عنها في الحجاز.

٣ ـ كان يلبسها الخلفاء والشعراء، فهي من لباس الطبقة الموسرة.

٤ ـ أن لونها أبيض، ولكنها قد تكون مورّدة أو مصبغة ألواناً.

٥ ـ أنها رقيقة ليّنة.

٦ ـ تذكرها كتب الفقه قليلاً.

يذكر الثعالبي أن سجستان تنتج دبابيج الفرش[١].

السابري:

تردد في المصادر ذكر «السابري»، فقال حميد بن ثور:

فجاءت بمثل السابري أتعجبوا[٢]

ويقول جميل بثينة:

لها مقلتا ريم وجيدُ جداية وكشح كطيّ السابريّة أهيف[٣]

ويروي الحسن بن يزيد الطحان عن إسحق بن منصور، عن عبد السلام، عن رجل، عن أبيه حوشب، عن ميمون، قال: اشتريت من ابن سيرين سابرياً[٤]. ويروي عارم بن الفضل عن حماد بن زيد، عن أيوب، أنه قال: «رأيت على القاسم بن محمد قلنسوة من خزّ خضراء ورداء سابرياً له علم ملون مصبوغ بشيء من زعفران»[٥].

ويقول ذو الرمة:

فجاءت بنسج العنكبوت كأنّه على عصويها سابريٌّ مشبرقُ[٦]

---

(١) لطائف المعارف ٢٠٥.
(٢) ديوان حميد بن ثور ٧٥.
(٣) الأغاني ٧/٨٦.
(٤) تفسير الطبري ٥/٢١.
(٥) ابن سعد ٥/١٤٠.
(٦) الكامل للمبرد ٤٤٨؛ لسان العرب مادة سبري.

ويقول ابن دريد: «السابريّ كل ثوب رقيق، وليس كما يظن الناس أنه منسوب».

ويقول القطامي:

كأنّ سبيبةً من سابريٍّ   أعارتْها رداءً أو قناعا

ويقول في شرحه: «سبيبة شقة كتان رقيقة.. قال السائب من الكتان خاصة ولا يكون من القطن يعني البقرة، يقول كأن على ظهرها سبيبة بيضاء من الكتان»[1].

ويقول الثعالبي عند كلامه عن الثوب الرقيق: «سابري إذا كان لابسه بين المكتسي والعريان»[2].

ويقول ابن منظور «والسابري من الثياب الرقاق، وكل رقيق سابري، وعرض سابري رقيق ليس بمحقق. وفي المثل عرض سابري بقوله من يعرض عليه الشيء عرضاً لا يبالغ فيه، لأن السابري من أجود الثياب يرغب فيه بأدنى عرض. قال الشاعر:

بمنزلةٍ لا يشتكي السلّ أهلها   وعيشٍ كمثلِ السابريِّ رقيقِ

وفي حديث حبيب بن أبي ثابت: رأيت على ابن عباس ثوباً سابرياً استشف ما وراءه. كل رقيق عندهم سابريّ والأصل فيها الدروع السابرية، منسوبة إلى سابور»[3].

ويروي مالك عن ابن وهب، عن يونس بن يزيد، عن ربيعه بن أبي عبد الرحمن: «يحرم.. السابرية بالسابريتين .. والحلال منه كالربطة السابرية بالربطتين من نسج الولائد عاجل أو آجل، فهذا الذي يختلف فيه الأسواق والحاجة إليه، وعسى أن يبور مرّة السابري وينفق نسج الولائد»[4].

(١) ديوان القطامي ٤٥.
(٢) فقه اللغة ٢٤١.
(٣) لسان العرب مادة سبر.
(٤) المدوّنة ٩/ ٢٤.

ويذكر الشيباني عن أبي حنيفة: «الرجل يقدّم أصنافاً من البزّ فيحضره السوّام ويقرأ عليه برنامجه، ويقول في كل عدل كذا وكذا ملحفة بصرية، وكذا وكذا ريطة سابرية ذرعها كذا وكذا، ويسمّي أصناف البزّ لهم بأجناسه»[1]. ويذكر السرخسي المسح السابري[2]، ويقول: «لا بأس بمسح موصلي بمسحين سابريين إلى أجل»[3].

يقول ابن حوقل إن «سابور المشهورة بالثياب السابري»[4]. ويقول الجاحظ: «من فارس الثياب الكتان التوزي والسابري»[5]. والسابري من البز[6]، والسابري هو الرقيق الناعم.

منسوجات خراسان وما وراء النهر

اشتهرت خراسان بإنتاج المنسوجات، وخاصة القطنية، فيذكر الجاحظ: «قد علم الناس أن القطن بخراسان، والكتان بمصر، ثم للناس من ذلك تفاريق في البلدان ما لا يبلغ بعض بلاد هذين الموضعين»[7]. ويذكر أيضاً اللبود الخراسانية في آخر قائمة أصناف اللبود الجيدة[8]. ويذكر الرشيدي ديباج خراسان[9].

وذكر الجهشياري في تقدير ما تجبيه الدولة في أول خلافة الرشيد، أقاليم كانت عليها أن ترسل من جباياتها المنسوجات، فكانت خراسان ترسل من المتاع سبعة وعشرين ألف ثوب، وجرجان ألفي من الإبريسم، وقومس سبعين كساءً، وطبرستان والرويان ودنباون مائتي كساء وخمسمائة ثوب وثلاثمائة

---

(١) الحجيج للشيباني ٢٣٦.
(٢) المبسوط ١٣/٢٨، وانظر الأصل للشيباني ١/٥[١٦] ١٨[٥٦]، المدوّنة ٩/٢٤، الموطأ ٢/٧٨.
(٣) المبسوط ٨/٢٨.
(٤) ابن حوقل ٢/٢٦٤.
(٥) التبصر بالتجارة ٣٤٦.
(٦) الحجيج ٢٣٦.
(٧) ثمار القلوب ٥٣٠.
(٨) التبصر بالتجارة ١٨.
(٩) الذخائر والتحف للرشيدي ٢٧، ٣٠، ٧٥، ٢٣٧؛ الموشى ١٧٨، ١٨٤.

منديل، وجيلان عشرين كساءً، وإفريقية مائة وعشرين بساطاً، وأرمينية عشرين من البسط المحفورة، وخمسمائة وثمانين من الرحم[1]. ولابد أن هذه الجبايات من منتوج البلاد التي ترسلها؛ والملاحظ أن مصر لم ترسل في جباياتها منسوجات؛ ولعل هذه الجبايات لم تقتصر على زمن هارون الرشيد، وإنما كانت سارية قبله وبعده؛ وكميتها قليلة نسبياً تدل على أنها مما تزوّد به الخلافة لتتصرّف بها ولا توزّع على الأهالي.

نيسابور:

من أكبر مراكز النسيج في خراسان هي نيسابور، فيذكر الثعالبي: «من خصائص نيسابور الثياب الحفية، ومناديل الأحيرية، والتاختج والراختج والصمت، فأما الحلل والعتابيات والسقلاطونيات فإن بغداد وأصبهان تشاركان فيها»[2].

ويذكر ابن الفقيه: «لأهل نيسابور الثياب الملحمة والطاهرية، ولهم التاختج والراختج، وليس هذا إلا لهم»[3]. ويقول المقدسي: «ترتفع من نيسابور ثياب البيض الحفية، والبياض، والعمائم الشهجانية والراختج والتاختج والمقالع وبين الثوبين والملاحم بالقز والمصمت، والعتابي، والسعيدي، والطرائف، والشطبي، وثياب الشعر والغزل»[4]. ويقول الاصطخري: «وأنفس ثياب القطن والإبريسم ما يقع من نيسابور ومرو»[5].

ويذكر ابن حوقل عن نيسابور: «ويرتفع منها من أصناف البزّ وفاخر ثياب القطن والقزّ ما ينقل إلى سائر بلدان الإسلام وبعض بلدان الشرك لكثرته وجودته لإيثار الملوك والرؤساء لكسوته، إذ ليس يخرج من بلد ولا ناحية كجوهريته ولا يشاكله لرفعته وخاصيته»[6].

---

(١) الوزراء للجهشياري ٢٨٣-٢٨٧.

(٢) لطائف المعارف ١٩٤.

(٣) البلدان لابن الفقيه ٢٥٤، وانظر لطائف المعارف ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٢، الموشى ١٧٨، ١٧٩، ٢٢٥، حكاية أبي القاسم ٣٥.

(٤) أحسن التقاسيم ٣٢٣.

(٥) المسالك ١٥٨؛ وانظر ابن حوقل ٣٧٧.

(٦) صورة الأرض ٢/٤٣٣.

ذكر الوشاء الأزر النيسابورية[1] والحباب النيسابورية[2]. كما ذكر من ألبسة الظرفاء وذوي المروءات والأدباء، الملحم الخراساني وطيالسة الملحم النيسابورية، والحباب النيسابورية، والمبطنات التاختج[3]. وذكر من ألبسة متظرفات النساء المقانع النيسابورية وأزر الملحم النيسابورية الخراسانية[4]. وذكر أيضاً مليح الملحم النيسابوري[5]. ويشير إلى التاختج والقوهي[6]. وذكر لنيسابور الجباب[7] والحفيات[8] والمنوح[9]، والطيالسة العلم[10]. وذكر مؤلف حكاية أبي القاسم: «ما أرى على بدن واحد منكم ولا تاختج»[11]. وقد انتشرت صناعة النسيج في نواحي نيسابور، فقد ذكر اليعقوبي: «نيسابور بها يعمل في جميع نواحيها الإبريسم»[12]. وذكر المقدسي: من رساتيق نيسابور ثياب كثيرة غليظة. ويذكر الثعالبي أن الحصل والعتابيات والسقلاطونيات عرفت بها نيسابور وبغداد وأصفهان[13].

مرو:

ويذكر اليعقوبي أن مرو «بها جيّد الثياب الموصوفة من ثياب خراسان»[14]. ويذكر ابن الفقيه: «لأهل مرو الثياب المروزية والملاحم الفائقة التي هي أعلى الملاحم»[15]. ويقول المقدسي: «من مرو الملاحم ومقانع الخزّ والإبريسم

---

(١) الموشى ١٣٦.
(٢) المصدر نفسه ١٧٩.
(٣) المصدر نفسه ١٧٨-١٧٩، لطائف المعارف ٢٠٢.
(٤) الموشى ١٨٤.
(٥) المصدر نفسه ٢٢٥.
(٦) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(٧) الموشى ١٧٩.
(٨) لطائف المعارف ١٩٠، ٢٢٦، ٢٣٥.
(٩) المبسوط للسرخسي ٢٨/١٣.
(١٠) الموشى ١٧٩.
(١١) حكاية أبي القاسم ٣٥٠.
(١٢) البلدان ٢٧٨.
(١٣) لطائف المعارف ١٩٥، وانظر ٢٣٥.
(١٤) البلدان ٢٧٩.
(١٥) البلدان لابن الفقيه ٢٥٤.

والقصلة». ويقول الاصطخري: «وأنفس ثياب القطن والإبريسم ما يرتفع من نيسابور ومرو». ويقول أيضاً: «ويرتفع من مرو الإبريسم والقز الكثير، وبلغني أن أصل الإبريسم بجرجان وطبرستان إنما نقل قديماً من مرو، وربما حمل بزر دودة القز منها إلى طبرستان، ومنها يرتفع القطن الذي ينسب إليه القطن اللّين والثياب التي تجهز إلى الآفاق»[1].

ويذكر الثعالبي: «وكانت العرب تسمّي كل ثوب صفيق حمل من خراسان المروي، وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجاني». وقد بقي اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة. ومما تختص به مرو الثياب الملحم[2]. ويقول أيضاً: «مرو يُحمل منها الملحم والملبن والمرى والمكانس»[3]. ويذكر ابن الوردي: طراز نيسابور وملحم مرو[4].

ذكرت المنسوجات المروية منذ صدر الإسلام، فكان القاسم بن محمد يلبس المروي[5]. وكان أبو سعد عليه قباء مروي مصبوغ بسواد نظر إليه دعبل[6]. ولما زار الغريض بثينة أخرجت له ملحفة مروية مشبعة من العصفر[7]. وذكر مالك الثياب الملفقة مثل الطوطي والمروي والملفّق[8].

وقد ذكرت مصادر القرن الرابع الهجري اشتهار مرو بالأنسجة القطنية[9].

والمروية من ألبسة المترفين، غير أن بعض المروية لم تكن من النوع الجيد. فقد ورد في حكاية أبي القاسم ذكر ثياب بفت خشن مروي غليظ[10]. وورد في

---

(١) المسالك ٢٦٣؛ وانظر ابن حوقل ٢/٤٣٦.
(٢) لطائف المعارف ٢٠١.
(٣) المصدر نفسه ٢٠٠؛ ثمار القلوب ٥٤٢.
(٤) خريدة العجائب ٢١٦، لطائف المعارف ٢٣٥.
(٥) ابن سعد ٥/١٤١.
(٦) الأغاني ١٨/٢٣.
(٧) المصدر نفسه ٢/١٣٧.
(٨) المدوّنة ١٥/٢٧٩، وذكر الثعالبي 'صفيق الشاهجاني وصفيق الملحم' لطائف المعارف ٢٠١، وذكر مواعظ حكاية أبي القاسم' ثوب خشن مروي غليظ'، حكاية أبي القاسم ٧٧.
(٩) البلدان لليعقوبي ٢٧٩؛ ابن حوقل ٢/٤٣٦، ٤٥٢.
(١٠) حكاية أبي القاسم ٣٧.

بعض المصادر ذكر الثوب المروي[1]، والثوب الرقيق المروي[2]، والملحم المروي[3].

الهروية:

ذكرت الأنسجة الهروية في القرن الأول.

فيروي عفان بن مسلم عن سلام بن مسكين عن عمر أنه قال: ما أحصي ما رأيت على سعيد بن المسيب من عدة قمص الهروي، قال وكان يلبس هذا البرود الغالية البيض[4].

ويروي يونس الكاتب: «وعلى ابن سريج ثوبان هرويان مرتفعان»[5]. ويذكر ابن طلحة الأرقمي أنه زار دار مسلم بن يحيى فقال: «ثم طلعت علينا عجوز كلفاء عجفاء كان شعرها شعر ميت عليها قرقر هروي أصفر»[6].

ويقول العرجي:

بفناء بيتك وابن مشعب حاضر — في سامرٍ عطرٌ وليلٌ مقمرُ

متشعرين ملاحفاً هروية — بالزعفرانِ صباغُها والعصفرُ[7]

ويروي أبو حنيفة عن عطاء بن السائب بن جهمان: «بينا عبد الله بن عمر في المسعى عليه ثوبان لون الهروي إذ عرض له رجل فقال أتلبس هذين الثوبين المصبوغين وأنت مُحرم، فقال إنما أصبغا بمدر»[8].

---

(١) الأم ٣/ ٣٩، ١٠٨.
(٢) لطائف المعارف ٢٣٥.
(٣) المصدر نفسه ٢٠٠.
(٤) ابن سعد.
(٥) الأغاني ١/ ٩٩.
(٦) المصدر نفسه ٢١/ ٩٩.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٥١.
(٨) الخراج لأبي يوسف ٩٦.

ورد ذكر الثياب الهروية في كتب الفقه، فذكر الشيباني: «رجل غصب ثوباً هروياً قيمته أقلّ من مائة، فاستهلكه فصالح منه على مائة درهم.. وقال أبو يوسف.. يبطل الفضل على قيمته حتى لا يتغابن الناس فيه»[1]. ويقول مالك «فإذا أشبه بعض ذلك بعضاً وإن اختلفت أسماؤه فلا يأخذ الثوبين من المروي أو القوهي إلى أجل»[2]. «ولا بأس أن يشتري... الثوب الهروي أو المروي»[3]. «ولا بأس أن يشتري.. الثوب الهروي أو المروي بالملاحف اليمانية والشقائق وما أشبه ذلك»[4].

ويقول الشيباني: «المروي بالهروي نسيئة لأن الهروي جنس غير المروي... فإذا اختلفت الأجناس وإن كان أصلها قطن كلها أو كتان كلها فلا بأس به، فلا بأس بالهروي والمرويين»[5].

ويذكر السرخسي العدل الهروي[6] والجراب الهروي[7].

وهو يذكر مثالاً جراباً هروياً بثلاثمائة ألف درهم[8]، وجراباً هروياً فيه خمسون ثوباً بألف درهم[9].

وفي التهذيب «حاسراً لا تعصب» معناه جعلتها هروية وقيل صبغتها وصفرتها ولم يسمع بذلك إلا في هذا الشعر. وكانت سادات العرب تلبس العمائم الصفر، وكانت تحمل من هراة مصبوغة فقيل لمن لبس عمامة صفراء قد هرى عمامته، يريد أن السيد هو الذي يتعمّم الصفراء دون غيره. وقال ابن قتيبة هريت

(١) الجامع الصغير للشيباني ٩٩.
(٢) الحجج للشيباني ٢٢٩.
(٣) المدوّنة ٩/ ٢٣.
(٤) الموطأ ٢/ ٧٢.
(٥) الحجج للشيباني ٢٢٩.
(٦) المبسوط للسرخسي ١٣/ ٣٩.
(٧) المصدر نفسه ١٣/ ٦٣، ٢٢/ ٨٢، ١٧٤، ٢٣/ ٣٧؛ وانظر الأصل للشيباني ١/ ٩٩، ١١٥.
(٨) المبسوط ١٣/ ٢.
(٩) لسان العرب، مادة هرى.

العمامة لبستها صفراء. ويقول ابن الأعرابي: ثوب مهري إذا صبغ بالصبيب، وهو ماء ورق السمسم، ومهري أيضاً إذا كان كلون المشمش والسمسم[1].

يتبيّن من هذه النصوص:

١ ـ أن الألبسة الهروية استعملت في الحجاز كثيراً، وورد ذكرها في كتب الفقه.

٢ ـ أنها ظلت شائعة حتى في القرن الثاني.

٣ ـ أن منها قمصاناً وثياباً وملاحف، وعمائم.

٤ ـ أنها من قطن.

ذكر المقدسي: «من هراة المنجز الكثير وديباج»[2]. وذكر الثعالبي: «ومما يحمل من هراة إلى الآفاق الكرابيس والمبارم والدبابيج وطرائق الصفريات»[3]، وكذلك: «الكرابيس التي يقال لها الأرتج»[4].

مراكز أخرى في خراسان وما وراء النهر:

ومن مراكز النسيج في خراسان نسا وإبيورد وكان منها القز[5]. أما خوارزم، فيرتفع منها ثياب القطن والصوف أمتعة كثيرة تصل إلى الآفاق[6] ويأتي منها أيضاً «برود وفروش وثياب اللحف وديباج بكشكش ومقانع ملحم»[7]. وذكر محمد بن حسن الشيباني الثياب الخوارزمية[8].

---

(١) أحسن التقاسيم ٣٢٤.
(٢) المصدر نفسه ٣٢٤.
(٣) لطائف المعارف ٢٠٠.
(٤) المصدر نفسه ٢٢٦.
(٥) أحسن التقاسيم ٢٢٤.
(٦) الإصطخري ١٧٠، ابن حوقل ٢/ ٤٨١.
(٧) أحسن التقاسيم ٣٢٥.
(٨) الأصل ١/ ١٢.

وذكر اليعقوبي أن الطالقان تعمل بها اللبود الطالقانية[1]. ويذكر أن قاين يُحمَل منها بزّ كثير[2]، وبيهق يرتفع منها بز كثير[3]. ويقول أيضاً: من نيسابور وأبيورد القزّ وثيابه. ويذكر القزويني أن سرخس لأهلها يد باسطة في عمل العصائب.

أما بلاد ما وراء النهر، فإن الاصطخري يقول إن «فيها من ثياب القطن ما يفضل عنهم حتى ينقل عنهم إلى الآفاق، ولهم الفراء والصوف والأوبار»[4]. ويقول ابن حوقل: «ويرتفع من بخارا ونواحيها ما يحمل إلى العراق وسائر البقاع ثياب تعرف بالبخارية وكرابيس ثقال الأوزان، غليظة السِكك، مُبرمة الغزل، فيرغب العرب فيها، وكذلك البسط وثياب من الصوف للفرش في غاية الحسن ومقاعد ومصليات محاريب»[5]. ويقول الاصطخري: «ويرتفع من بخارا ونواحيها من ثياب القطن ما ينقل إلى الآفاق، وكذلك البسط والمصليات وثياب من الصوف يستحسن»[6]. ويقول المقدسي: «ويرتفع من بخارا الثياب الرخوة والمصليات والبسط، وثياب الوشي»[7].

ويقول المقدسي: «ومن سمرقند ثياب سيمكون والسمرقندية .. ومن بناكث ثياب تركستان .. ومن سمرقند أيضاً ديباج يحمل إلى الترك وثياب حمر تسمّى مرجل وسينيزي وخزّ كثير وثياب .. ومن فرغانة وأسبيجاب.. الثياب البيض»[8].

ويقول ابن حوقل أن ويذار، وهي مدينة تبعد عن سمرقند فرسخين، «يعمل بها الثياب الويذارية القطنية، وهي ثياب تلبس خاماً غير مقصورة وفيها قليل صفرة، وكأنها للينها خزّ، وتجلب إلى فارس والعراق وسائر الأقطار فتستحسن،

---

(١) لطائف البلدان ٢٢٦.
(٢) أحسن التقاسيم ٣١٥.
(٣) المصدر نفسه ٣٢١.
(٤) المسالك والممالك ٢٨٨.
(٥) ابن حوقل ٤٠٤.
(٦) المسالك والممالك ٣١٤-٣١٥.
(٧) أحسن التقاسيم ٣٢٤.
(٨) المصدر نفسه ٣٢٥.

ولها بقاء معروف، وليس بخراسان أمير أو وزير أو قاض أو عامر.. أو جندي إلا والثياب الويذارية الظاهرة على ما يلبسه من فاخر الثياب في الشتاء، وجمالهم بها ظاهر وزينتهم بها فاشية، وفيها نعمة، وهي ثياب صفيقة ترفة ويبلغ الثوب منها عشرين ديناراً إلى دينارين.. وتستهدى من العراق وتجلب فيفتخر بلبوسها»[1].

ويقول المقدسي: «ومن كرمينية المناديل، ومن دبوسية من وذار الثياب الوذارية، وهي ثياب على لون المصمت، وسمعت بعض السلاطين ببغداد يسمّيها ديباج خراسان»[2]. وذكر الثعالبي مما يستورد من ما وراء النهر الثياب الوذارية[3]. ويذكر الاصطخري أن الطواويس «يرتفع منها الثياب القطن ما ينقل إلى سائر المواضع»[4]. ويقول المقدسي: ومن اربنجن أزر الشتاء ثم اللبود الحمر[5]، ويذكر الشافعي الثياب من بلخ[6]، وورد في حكاية أبي القاسم من خرشنة الطنافس الخرشنية[7].

---

(١) ابن حوقل ٤٢٥ ـ ٤٢٦.
(٢) أحسن التقاسيم ٣٢٤.
(٣) لطائف المعارف ٢١٩.
(٤) المسالك ٢٧٥.
(٥) أحسن التقاسيم ٣٢٤.
(٦) الأم ٣/٩٣، ١٠٨.
(٧) حكاية أبي القاسم ٣٥.

الفصل السادس

ألوان الألبسة

الألوان

للألوان أهمية كبيرة في إظهار سمات الملابس وتمييزها، وهي من أبرز مظاهر الزينة التي دعا إليها القرآن الكريم في عدد من الآيات، فقال تعالى﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الاعراف/ ٣١ ـ ٣٢]. وذكر زينة الحياة الدنيا في عدة آيات (الكهف ٧، ٨، ٤٦، الحديد ٢٠، هود ١٥، القصص ٦٠، الأحزاب ٢٨). ووردت كلمة الزينة ومشتقاتها في حوالى أربعين آية. وذُكر اختلاف الألوان في سبع آيات؛ كما ذكرت خمسة ألوان، هي الأحمر والأصفر والأخضر والأسود والأبيض، وكل منها وصف لبعض الأشياء؛ واللون الوحيد الذي خصّ به الملبوسات هو الأخضر، وليس في القرآن حض على استعمال لون معين أو تفضيله على غيره.

تظهر الأحاديث، التي رويت عن الرسول (ص)، أنه والمسلمين الأوّلين لم يقتصروا على استعمال لون معيّن، وإنما استعملوا ألبسة لها ألوان متعددة. ولم يرد عنهم ذكر تحريم لون معين؛ كذلك لم يقيّدوا استعمال الألوان، إلا في الإحرام والحداد. فكانت ألوان الملابس يتحكّم فيها الذوق السائد بحكم التقاليد والمؤثرات الحضارية التي تعرّض لها المجتمع، وكان العباسيون أول من فرض لوناً خاصاً رسمياً للألبسة هو الأسود.

أشار المؤلّفون المعنيون بالتاريخ والأدب إلى كثير من الألوان، وعني علماء اللغة بإيراد تفاصيل عنها. فذكر الثعالبي في الفصول التي خصصها للألوان تفاصيل عن كل من اللونين الأبيض والأسود، وبعض المعلومات عن اللون الأحمر، ولم يذكر اللون الأخضر إلا مرة واحدة. وذكر البيروني عدداً من الألوان المتصلة بالأحجار والجواهر، وأضاف عدداً كبيراً من الألوان، وبخاصة الأبيض، والأسود، والأحمر.

ذكرت المصادر المصرية، بخاصة، تعابير متّصلة بالملبوسات، ولكنها لم تحدد ماهيتها. والراجح أن لها صلة بالألوان أكثر مما هي للمنسوج. ومن هذه التعابير الطميم والمثقل. وكان المثقل من أفخر الثياب، وهو ملبوس الطبقة العليا[1]. وذكر المثقل الطميم[2]، والديباج المثقل[3]، والفرش المثقلة[4]، والجبة المثقلة[5]، والشرب المثقل بالذهب، والخيام المثقلة[6]، ومظلة مثقلة[7]، وثياب مثقلة اسكندرانية[8]، وهشامية[9]. وورد ذكر الثياب المثقلة في العراق.

وذكرت المصمت وصفاً للعمامة السوداء[10]، والدراعة[11]، والقميص[12]، والثوب[13]، والثوب الأصفر المصمت[14].

---

(١) اتعاظ الحنفا ٢/ ١٣٩، ١٥٣، ١٨٥، ٢٣٤؛ الذخائر والتحف ٨٦، ١٠٥، ٣٧٣، ٣٩٠.

(٢) اتعاظ الحنفا ٢/ ١٥، ١٤٨؛ وانظر عن الطميم اتعاظ الحنفا ٢/ ٤٠، ١٣٩، ١٥٤، ١٨٤، ٢٤٨، ٢٨٨.

(٣) المصدر نفسه ٩/ ٢٧٥، ٦٢، ١٤٨، ١٨٣، حكاية أبي القاسم ٣١.

(٤) اتعاظ الحنفا ٢/ ٢٧١، ٢٧٥.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٣.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٤٤.

(٧) المصدر نفسه ٢/ ٢٨.

(٨) الأغاني ١/ ١٨٩.

(٩) رسوم دار الخلافة ٩٧، حكاية أبي القاسم ٣٥.

(١٠) رسوم دار الخلافة ٩٣.

(١١) المصدر نفسه ٩١.

(١٢) اتعاظ الحنفا ٢/ ٣، ٢٢.

(١٣) المصدر نفسه ٢/ ٧١.

(١٤) الذخائر والتحف ٦٦، ٧٥، ٣٥٥.

وذكر في المشرق المصمت الدبيقي[1]، والمصمت الفرادة[2]، وسواد مصمت[3]. وكان المصمت من خصائص نيسابور[4].

يروي ابن قتيبة: «نهى رسول الله (ص) عن المفدم، وهو المشبع، وأذنه فيما خف صبغه من ذلك المصبوغ بالزعفران، فكان النبي (ص) يلبس ماخف صبغه. ولبس الناس المعصفر وابتذلوه.. وأن الرسول (ص) نهى عن كل مغتر كما نهى عن المفدم والمعصفر»[5]. وذكر أن القاسم بن محمد كان «يلبس ملحفة معصفرة ويجلس على مجلس معصفر فيه تصاوير عنقاء»[6]. وذكر أن «إبراهيم كان يلبس المعصفر ويقول ابن قتيبة وأنا أعلم أنه زينة الشيطان، واتخذتم الحديد وأعلم أنه حلية أهل النار، وإنما أراد ابراهيم إخفاء نفسه بمثل هذا اللباس ولمجالسة الشرط ومخالفة قوم من الأدنياء، وكان أيوب يلبس قلنسوة شرب وقال لن ألبسها لعيون خير أحب إلي من أن أدعها لعيون الناس»[7].

ذكرت المصادر، وبخاصة المصرية، تحبير الشرب[8]، فذكر الوشاء الشروب المزررة من ألبسة المتظرفات[9]. وذكر الرشيدي الشروب[10]. وذكر المقريزي منديل شرب ملون[11]، وطيلسان شرب مغوف[12]، وورد وصفها للعمائم وأكثرها مذهبة[13]، ومنها بيضاء[14]، وتكرّر في المصادر ذكر الملحم. فذكر

---

(1) الموشى ٩، ١١.
(2) الموشى ١٧٩.
(3) رسوم دار الخلافة ٩٣.
(4) لطائف المعارف ١٩٥.
(5) الأشربة لابن قتيبة ١١٠، ١١١.
(6) المصدر نفسه ٨٣.
(7) المصدر نفسه ٨١.
(8) اتعاظ الحنفا ١٣٦/٢، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٤.
(9) الموشى ٨٤.
(10) الذخائر والتحف ٢٢٨.
(11) اتعاظ الحنفا ٣٠/٢.
(12) المصدر نفسه ١٥٩/٢.
(13) المصدر نفسه ١٤٨/٢، ١٧٣.
(14) المصدر نفسه ١٦٣/٢.

الوشّاء ملحم خزّ ومعلم[1]. ووردت إشارات إلى ملحم خراسان[2]، وملحم نيسابور[3].

ذكر جابر بن حيان «قاعدة الأصباغ عندهم النوشادر، واللون الذي يراد كالصفرة من الزرنيخ والنوشادر. والأخضر من مياه الأوراق الخضر والنوشادر المحلول فيها والأبيض (البيض والنوشادر) المبيّض، وكذلك إن صبغ بغير هذه بما في طبعه أن يصبغ ذلك اللون كإيصال الزرنيخ في الأصفر من اللون واستعمال الزعفران وما جرى مجراه، وكذلك في جميع الألوان»[4].

ويذكر ابن الفقيه في كلامه عن تفليس بأرمينية «وبها من الشب المنسوب إليها وهو شب الحمرة المعروف باليماني، ومنها يحمل إلى اليمن وواسط، ولا ينصبغ الصوف بواسط إلا به وهو أقوى من المصري»[5]. ويذكر ابن البيطار أن «الشب، ذكره ديوقوريدس، أصنافها كلها أو القليل منها توجد في معادن بأعيانها بمصر، وقد يكون في مواضع أخرى»[6].

ويختلف اللون الواحد في مدى تشبّعه بالصبغ. وقد أورد اللغويون نصوصاً عما يتعلق بالعصفر والزعفران من ذلك، فينقل ابن سيده عن أبي حنيفة الدينوري: «ثوب مجسد إذا كثر فيه الزعفران حتى يجف فيقوم قياماً، ومنه يقال للدم جاسد»[7]. ويقول ابن منظور: «الثوب المجسد هو المشبع عصفراً أو زعفراناً والمجسد الأحمر، يقال على فلان ثوب مشبع من الصبغ وعليه ثوب مفدم، فإذا قام قياماً من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان إجساداً فهو مجسد... أو لجسد ما أشبع صبغه من الثياب»[8]. ويذكر ابن سيده: «وثوب مفروك

---

(١) الموشى ١٧٨.

(٢) المصدر نفسه ١٧٨، ١٨٤، الذخائر والتحف ٣٠، ٧٥.

(٣) الموشى ١٧٨، ١٧٩، ٢٢٥، لطائف المعارف ٢٠٢. وانظر عن الملحم: رسوم دار الخلافة ٩٠، الذخائر والتحف ٦٦.

(٤) مختار رسائل جابر بن حيان ٣٦١.

(٥) مختصر كتاب البلدان ١٨٥.

(٦) جامع الأدوية المفردة ٣/٥٣.

(٧) المخصص ١١/٢١١.

(٨) لسان العرب ٤/٩٢.

بالزعفران وغيره إذا صبغ صبغاً شديداً»[1]. ومن هذا يتبين أن الثوب إذا كثف صبغه يقال له مشبع أو مجسد أو مفرك.

وألوان الثياب تكون إما بسبب نسجها من مواد أولية ملونة، أو بسبب صباغتها. ومن المعلوم أن بعض مواد النسيج ملونة بطبيعتها، فالقطن قد يكون أبيض أو وبرياً، والصوف قد يكون أبيض أو عسلياً أو مائلاً إلى الحمرة، والنسيج يتلون بلون المادة التي نسج منها.

أما الثوب المصبوغ، فقد يتم صبغه بعد نسجه أو بعد خياطته، أو قد يتم بصبغ الخيوط التي ينسج منها. وقد أشارت كتب الفقه إلى الصنف الأول في معرض الحكم على المشاكل القانونية التي قد تنجم بين أصحاب السلعة والصبّاغين، كأن يخطئ الصبّاغ فيصبغه بغير اللون المطلوب، أو بتشبّع أو خفيف وبمواد غير المتفق عليها، أو في عدم المحافظة على النقاوة عند الصبغ أو تخفيف. وقد جاء في المدونة: «قلت أرأيت إن اشتريت ثوباً صبغته بعصفر أو بسواد أو بزعفران أو بورس أو بمشق، أو بخضرة أو بغير ذلك من الصبغ فزاد الثوب الصبغ خيراً أو نقص، فأصبت به عيباً دلسه لي البائع»[2]. وبعض الثياب يصبغ غزلها، ثم تنسج من الغزل المصبوغ، فيقول الشافعي: «وأحب ما يلبس إليّ البياض، فإن جاوزه بعَصَب اليمن والقطري وما أشبه، مما يصبغ غزله ولا يصبغ بعدما ينسج، فحسن»[3]. وقد ألمح مالك إلى تميّز صبغ عصب اليمن، فقد جاء في المدوّنة: «قلت فهل كان مالك يرى عصب اليمن بمنزلة هذا المصبوغ بالدكنة والحمرة والخضرة والصفرة، لم يجعل عصب اليمن بمنزلة هذه الثياب المصبغة، وأما غليظ عصب اليمن، فإن مالكاً وسع فيه مالم يره بمنزلة المصبوغ»[4].

تردد ذكر العَصَب في المصادر، وأشار بعضها إلى صبغه، فيقول ابن منظور:

---

(١) المخصص ١١/ ٢١١.
(٢) المدوّنة ١٠/ ١٦٩.
(٣) الأم ١/ ١٧٤.
(٤) المدوّنة ٥/ ١١٣.

«والعصب ضرب من برود اليمن، سُمّي عَصباً لأن غزله يعْصَب، أي يُدرج، ثم يصبغ ثم يحاك، وليس من برود الرقم. وفي الحديث: المعْتدّة لا تلبس الثياب المُصَبّغة إلا ثوب عصب. العصب برود يمنية يعصب غزلها، أي يجمع ويشدّ ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً لبقاء ما عُصب منه أبيض لم يأخذه صبغ. وقيل هي برود مخططة، والعصب الفتل، والعصّاب الغزّال. فيكون النهي للمعتدّة عما صُبغ بعد»[1].

ويطلق العصب على عدة منسوجات أشهرها الحبرة، فيذكر مالك: العصب هو الحبر وما أشبه»[2]. ويروي السمهودي أن عبد الرحمن بن عوف «دفن عليه ثوب حبرة من العصب»[3]. وقد جاء في الحديث: «كان أحبّ الثياب إلى رسول الله (ص) يلبسها الحبرة»[4].

والعصب من المنسوجات الغالية فيروى عن معاذ أنه قال: «شر النساء إذا تحلّين بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن، فأتعبن الغني وكلّفن الفقير ما لا يجد»[5].

لم يكن العصب يصنع إلا في اليمن، فيقول الأصمعي: «أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن، الورس والكندر والخطر والعصب»[6]. ويقول المقدسي «اليمن معدن العصائب»[7]. ويتبيّن مما ذكر ابن منظور:

١ ـ أن العصب يصبغ غزله قبل حياكته.

٢ ـ أن طريقة صبغه هي أن يدرج (أي يلف ويشدّ).

---

(١) لسان العرب ٢/٩٢. وانظر عن إباحة صبغ العصب في الأحاديث التي وردت في كتب الصحاح، فنسنك مادة (عصب). وانظر ما كتبناه في مجلة الأبحاث (الأنسجة في القرنين الأول والثاني)، ص ٥٦٤ - ٥٦٥، سنة ١٩٦٢.

(٢) المدوّنة ١/١٨٨.

(٣) وفاء الوفا ٢/٨٩.

(٤) البخاري لباس ١٨؛ الترمذي لباس ٤٥، وانظر مقالنا عن الأنسجة ٥٦٢ - ٥٦٣.

(٥) عيون الأخبار ٤/١١٤.

(٦) المصدر نفسه ٢/١٠٩. وانظر جامع الأدوية المفردة ٤/٨٣، ١٩١.

(٧) أحسن التقاسيم ٩٨.

٣ ـ أن كل خيط من خيوط نسيجه يكون ميقعاً، أي أنه بعضه مصبوغ وبعضه أبيض.

٤ ـ الثوب المنسوج بالعصب يكون ذا ألوان متعددة، أي كالموشّى، وقد يكون مخططاً.

٥ ـ أن أصباغه خاصة.

٦ ـ أنه يقارب برود الرقم.

٧ ـ العصب أنواع، منها الحبرة، والجندية؛ وبعضه غليظ وبعضه رقيق.

٨ ـ الثياب القطرية تصبغ على الطريقة نفسها.

٩ـ العصب من الثياب الغالية الثمن ومن لباس الطبقة الموسرة.

١٠ ـ أن اليمن كانت تحتكر صناعة العصب حتى أواخر القرن الرابع على الأقل. غير أن الكليني يذكر ما يدل على أن صناعتها كانت تقلّد في البصرة فهو يروي بسندٍ عن الحسن بن راشد أنه سأل جعفر الصادق عن ثياب تعمل بالبصرة على عمل العصب اليماني من قزّ وقطن هل يصلح أن يكفّن فيها الموتى قال: إذا كان القطن أكثر من القزّ فلا بأس[1].

لم تذكر المصادر أصباغ العصب وألوانه، غير أن ارتفاع أثمانه واقتصار صنعه على اليمن قد يدل على أن ألوانه المتعددة تظهر منسجمة ترتاح إليها النفوس العلية التي تلبسه. وهذا يتطلّب مهارة فائقة في الحياكة، لعلها من الأسرار المستعملة فيه هي التي مكّنت أهل اليمن من احتكار صناعته.

ذكرنا أن وضاح اليمن ذكر في إحدى قصائده: «أبراد عصب من مهلهلة الجنده». وقد ورد في بيت لعمر بن أبي ربيعة ما يشير إلى طريقة تكوين الجندية حيث يقول:

شفت عنها محقّقٌ جنديٌّ   فهي كالشمسِ من خلالِ السحابِ

(١) الكافي ٣/ ١٤٩.

ويقول الأصبهاني الذي روى هذا البيت: «الثوب المحقق هو الوشي على صور الحُقق»[1].

ويقول ابن منظور: «ثوب محقق عليه وشي على صورة الحقق». كما يقال برد مرجل وثوب محقق. ويقول عن الحقق: «حقائق الشجر صغارها شبهت بحقاق الإبل... والحقة هذا المنحوت من الخشب والعاج وغير ذلك.. قال رؤبة «سوّى مساحيهن تقطيط الحُقق». وصف حوافر حمر الوحش، أي أن الحجارة سوت حوافرها كأنما قُطّطت تقطيط الحُقق»[2].

الوشي:

لا ريب في أن كثيراً من المنسوجات والثياب ذات ألوان متعددة بأشكال مختلفة، قد تكون في أصل المنسوج بسبب تنوّع ألوان خيوط النسيج، أو قد تكون مطبوعة ومنقوشة عليها بعد إنجاز نسجها، ويسمّى هذا النوع الأخير الوشي. وقد تردّد ذكره في المصادر التي ذكر بعضها أنواعاً من الوشي كما ذكر بعضها أشكال النقوش، وكلاهما يرتبط بالنقش وليس بنوع القماش. والواقع أن المادة التي بين أيدينا لا تكفي للتمييز بدقة بينها. وسنذكرها في ما يلي آملين أن نقع في المستقبل على مادة أوفر تمكّننا من التحقّق من الفرق بينهما.

يذكر ابن منظور عن الجوهري أن الوشي من الثياب معروف؛ وعن ابن سيده أنه يكون من كل لون، وأن الوشي في اللون خلط لون بلون[3]. وهذا التعريف لا يستلزم أن يكون الوشي مرادفاً لما يسمّى البرودري اليوم، فقد يكون الخلط في أصل الحياكة أو في طبع القماش بصبغ على سمات خاصة.

ميّز الشافعي بين الثياب الملوّنة بالوشي وغيره، فقال في باب السلف من الثياب وجوب تحديد أحوالها بدقة: «إن كان وشياً نسبه يوسفياً أو نجرانياً أو فارعاً أو باسمه الذي يعرف به، وإن كان غير وشي من العصب وما أشبه وصفه ثوب حبرة». ويقول أيضاً: «هكذا هذا في الثياب يقال هذا من وشي صنعاء

(١) الأغاني ١/ ٢٤٠، وانظر لسان العرب ١١/ ٣٤.
(٢) لسان العرب ١١/ ٢٤٠.
(٣) المصدر نفسه ١٩/ ٢٧١.

والوشي الذي يقال له اليوسفي»[1]. وذكر الجاحظ أصناف الوشي فقال: «وخير الوشي الثوب السابري، والكوفي، والابريسمي، والمذهب المنسوج، ثم الوشي الاسكندراني البحت، ثم المنسوج بالذهب ثم الوشي الغزلي، ثم الذي لا إبريسم فيه ولا ذهب، وهو اليماني لأنه يرتفع على هذا السبيل من الغزلي. والإبريسمي الكتان لا يبلغ في الثمن ما يبلغه اليماني، لأنه ربما بلغ الثوب الغزلي ألف دينار[2]. ويتبين من كلام الجاحظ أن الوشي عرفت به عدة أماكن منها سابور والكوفة والاسكندرية. والواقع أن المصادر ذكرت وشي العراق، فقد ذكر الأصبهاني «ثياباً من وشي وقز العراق»[3]، وقال حميد بن ثور:

تخيّرت إما أرجوانياً مُهَذَّباً ... وإما سجلاّظ العراقِ المختَّما

وقد عرفت بعض الكتب السجلاط بأنها «ثياب موشاة كأن وشيها خاتم»[4].

غير أن أشهر الأقاليم التي عرفت بالوشي هي اليمن. فبالإضافة إلى إشارات الشافعي والجاحظ التي ذكرناها أعلاه، يذكر الأصبهاني عن عمر بن أبي ربيعة «عليه حلية موشية يمانية»[5]. ويذكر أن الفرزدق «طلع في حلة أفواف يمانية موشاة»[6].

ويلاحظ أن اليمن هي التي اشتهرت بالوشي والتي احتكرت العصب، فيقول الثعالبي: «يقال وشي اليمن وعصب اليمن، ويضرب بها المثل في الحسن وتُشبه بالرياض والألفاظ، ويقال من نفائس الملابس برود اليمن»[7]. ولعل اشتهار اليمن بالوشي والعصب، واتفاقها بالنقوش كان من أسباب الخلط بين الزخارف الناجمة عن التطريز (البرودري) والزخارف التي من الأصباغ، هذا بالإضافة إلى غلاء ثمن كليهما، وأن بعض ما تذكر المصادر الأدبية أنه وشي، هو في

(١) الأم ٣/١١٨.

(٢) التبصر بالتجارة ٢١.

(٣) الأغاني ٩/٢٤٤.

(٤) لسان العرب ٩/١٨٤، المعرب للجواليقي ٨٢.

(٥) الأغاني ١/٩٩.

(٦) المصدر نفسه ٩/٣٣٨. وانظر أيضاً ٨/٢٥٩.

(٧) ثمار القلوب ٥٣٤. وانظر عن وشي اليمن الذخائر والتحف ٢٩، ٣٠، ٤٦، ٦٤، ٦٥، ١٠٥، ١١١، ١٥٤، ١٦٢، ٢٩٠، ٣٣٠.

الحقيقة أصباغ منوّعة للثوب، ولذلك أوردته في هذا المقال. ويلاحظ أن ابن البيطار يقول «البرود وهي العصب»[١]. ويقول الليث: «البرد معروف من برود العصب والوشي»[٢]، ويقول أيضاً «الفوف ضرب من عصب البرود»[٣].

ذُكر الوشي في بعض النصوص مجرداً وغير مقترن بأي نسيج. فيروي المغنّي ابن سريج: «دعاني فتية من بني مروان، فدخلت عليهم وأنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية، وهم في القوهي والوشي يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية»[٤].

وتردّد ذكره في المصادر مقروناً بالحلل، فذكر الأصبهاني أنه كان «على الوليد بن يزيد حلة وشي»[٥]، و«على الفرزدق حلة أفواف يمانية موشاة»[٦]، وأن عمر بن أبي ربيعة «كان يلبس تلك الحلل من الوشي»[٧].

وذكرت المصادر أيضاً مقطعات الوشي، فذكر الأصبهاني أنه كان للنصيب مقطعات وشي[٨]. وذكر ابن سعد أنه «كان أبو وائل يلبس مقطعات اليمنة»[٩]. وينقل ابن منظور عن ابن الهيثم أن «القطع ضرب من الثياب الموشاة، والجمع قطوع. والمقطعات برود عليها وشي مقطع»[١٠].

وورد في المصادر ألبسة متعددة موشاة، فقد ذكر الأصبهاني أنه كان على الوليد بن يزيد قلنسوة وشي مذهّبة[١١]، وأنه كان عليه جبة وشي، ورداء، وخف وشي، وأن النصيب دخل على عبد العزيز بن مروان في جبة وشي[١٢].

---

(١) جامع الأدوية المفردة ٤/ ٨٣، ١٩١.
(٢) لسان العرب ٤/ ٥٤.
(٣) المصدر نفسه ١١/ ١٨٠.
(٤) الأغاني ١٣/ ٣١٠.
(٥) المصدر نفسه ٣/ ٣٠٨.
(٦) المصدر نفسه ٩/ ٣٨٨.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٨٦.
(٨) المصدر نفسه ٧/ ١٣١.
(٩) ابن سعد ٦/ ٨٦.
(١٠) لسان العرب ١٠/ ١٥٦.
(١١) الأغاني ٧/ ٩١.
(١٢) المصدر نفسه ٦/ ٢٨١.

وذكرت المصادر من أنواع الوشي السعيدي[١]، والأتحمي[٢]، والمصمت[٣]، والديباج بالذهب المنسوج[٤].

ويبدو أن أكثر أشكال التلوين شيوعاً هو المخطط، وهذا يتجلّى في البرود. فيقول ابن منظور: «قال ابن سيده: البرد ثوب فيه خطوط، وخصّ بعضهم به الوشي... والبردة هي الشملة المخطّطة. قال الليث: «البرد معروف من برود العصب والوشي»[٥].

وذكرت المصادر عدة أنواع من البرود المخطّطة منها الحبير. وقد عرّفه ابن منظور: «الحبير من البرود ما كان موشياً مخططاً»[٦]. ومنها الأتحمي وهو «ضرب من البرود... ويقال تحمت الثوب إذا وشيته، وروي عن الفراء: التحمة البرود المخططة بالصفرة»[٧]. وفي ديوان الهذليين: «الأتحمي برود يمانية فيها خطوط حمر»[٨]. ويذكر ابن منظور: «البرد المذهب هو أرفع الأتحمي»[٩]، والبرود التزيدية بها خطوط حمر[١٠]، والرقم هو «ضرب من البرود.. والرقم ضرب مخطّط من الوشي، وقيل من الخزّ، وفي الحديث أتى فاطمة فوجد على بابها ستر موشّى فقال مالنا والدنيا والرقم، يريد النقش والوشي، والأصل فيه الكتاب، ورقم الثوب يرقمه خططه»[١١].

ذكر وكيع: «كانت الخيزران قد وجهت رجلاً نصرانياً على الطراز بالكوفة وكتبت إلى عيسى بن موسى أن لا يعصي له أمراً، فخرج من زقاق النخع على

(١) الأغاني ١/ ٩٩.
(٢) الموشى ١٧٩.
(٣) الموشى ١٣٧.
(٤) رسوم دار الخلافة ٩٣.
(٥) حكاية أبي القاسم ٣٥.
(٦) لسان العرب ٤/ ٥١.
(٧) المصدر نفسه ٥/ ٢٣٠.
(٨) المصدر نفسه ١٤/ ٣٣٠.
(٩) ديوان الهذليين ٢/ ١٤٦.
(١٠) لسان العرب ٢/ ٣٨٠، ١٢/ ٣٣.
(١١) المصدر نفسه ١٥/ ١٤٥.

خز وطيلسان على برذون، قال: أنا رجل المحمل الوشي وأجره مثل مائة درهم في الشهر»[1].

ومن المعلوم أن اليمن اشتهرت بالبرود، فيذكر الجاحظ أن «من خصائص اليمن السيوف والبرود»[2]. ويذكر الثعالبي برود اليمن[3]، كما يذكر: «ويقال في نفائس الملابس برود اليمن»[4].

غير أن صنع البرود انتشرت فيما بعد في أماكن أخرى. فيذكر الثعالبي: «وبرود الري موصوفة كبرود اليمن، ويقال لها العدنيات تشبيهاً لها ببرود عدن»[5].

وقد استعمل العرب منسوجات أخرى مخططة، ومنها الثياب القطرية التي ذكرنا ممّا يعصب غزله ويصبغ ثم يحاك.

ومن الألبسة المخططة الفوط وهي «أزر مخططة يشتريها الحمالون والخدم ويتّزرون بها بالكوفة»[6].

ومن ذلك البرجد الذي يذكر عنه ابن منظور أنه «كساء من صوف أحمر وقيل البرجد كساء غليظ، وقيل البرجد كساء مخطط ضخم يصلح للخباء»[7].

وقد ذكرت المصادر منسوجات وثياباً فيها نقوش وتصاوير. فذكر الثعالبي عدداً من نقوش الثياب فقال: «إذا كان الثوب في وشيه ترابيع صغار تشبه عيون الوحش فهو معيّن، فإذا كان مخططاً فهو معضّد ومشطّب. فإذا كان فيه طرائف فهو مُسَيّر. فإذا كانت خطوطه كالسهم فهو مُسَهّم. فإذا كانت تشبه العمد فهو مُعَمّد. فإذا كانت فيه نقوش وصور كالأهلّة فهو مهلّل. فإذا كان موشّى بأشكال

(١) أخبار القضاة لوكيع ٣/ ١٦٩.
(٢) التبصر بالتجارة ٢٢. وانظر لطائف المعارف ١٦٦.
(٣) لطائف المعارف ٢٣.
(٤) ثمار القلوب ٥٣٤.
(٥) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(٦) لسان العرب ٩/ ٢٤٨.
(٧) المصدر نفسه ٤/ ٥٦.

الكماب فهو مكعّب. فإذا كان فيه كالقلوس فهو مفلّس. فإذا كان فيه صور الطيور فهو مُطَيّر. فإذا كان فيه صور الخيل فهو مخيّل»[1].

نقل ابن منظور ما ذكره الثعالبي عن المفلّس[2] والمعيّن[3]، وقال عن المطيّر أنه ضرب من البرود[4]، وذكر تفاصيل أوفى عن نقوش بعض الثياب المذكورة أعلاه.

فأما عن المعضّد، فقال: «ثوب معضّد مخطّط على أشكال العضد، وقال اللحياني هو الذي وشيه في جوانبه، والمعضّد الثوب الذي له علم في موضع العضد من لابسه»[5].

وقال عن الشُطب: «السعف الأخضر الرطب من جريد النخل، وفي حديث أم زرع كمَسَلِّ شطبة، قال أبو عبيد: الشَطبة ما شُطب من جريد النخل وهو سعفه، شبهته بتلك الشطبة لنعمته واعتدال شبابه، وقيل أرادت أنه مهزول كأن سعفة في دقتها.. وقال أبو سعيد: الشطبة السيف... وثوب مشطّب فيه طرائق»[6]. ويقول عن الطرائق أنه «أخدود من الأرض أو شقة ثوب أو موشّى ملزق بعضه ببعض فهو طريقة ... طرائق: نسيجة تنسج من صوف أو شعر عرضها عظم الذراع أو أقل، وطولها أربع أذرع أو ثماني أذرع...»[7].

ويقول عن المسيّر (ثوب مسيّر وشيه مثل السيور)، وفي التهذيب إذا كان مخططاً، وسير الثوب والسهم جعل فيه خطوطاً، وعقاب مسيّرة مخطّطة.

والسيراء ضرب من البرود، وقيل هو ثوب مسيّر فيه خطوط تعمل من القزّ كالسيور وقيل برود يخالطها حرير.. وقيل هي ثياب من ثياب اليمن.. الجوهري:

---

(1) فقه اللغة ٢٤١.
(2) لسان العرب ٨/٤٧.
(3) المصدر نفسه ١٧/١٧٧.
(4) المصدر نفسه ٦/١٨٦.
(5) المصدر نفسه ٤/١٨٤.
(6) المصدر نفسه ١/٢٧٨.
(7) المصدر نفسه ١٢/٩١.

السيراء: برد فيه خطوط صفر.. قال ابن الأثير هو نوع من البرود يخالطه حرير كالسيور... حلّة مسيّرة أي فيها خطوط من إبريسم كالسيور. ويتبين من هذا الكلام أن الثوب المسيّر هو من البرود اليمانية، وأن فيه خيوطاً من القزّ والإبريسم صفراء كالسيور[1].

أما الفوف فذكر عنه ابن منظور ما يلي: «الجوهري: الفوف الحبة البيضاء في باطن النواة التي تنبت منها النخلة... والفوف القشرة التي على حبة القلب أو النواة دون لحمة التمرة وكل قشرة فوف. التهذيب: ابن الأعرابي: الفوفة القشرة الرقيقة تكون على النواة... والفوف ضرب من برود اليمن».

«وفي حديث عثمان خرج وعليه حلة أفواف، الأفواف جمع فوف، وهو القطن وواحدة الفوف فوفة، وهي في الأصل القشرة التي على النواة، يقال برد أفواف وحلة أفواف بالإضافة. الليث: الأفواف ضرب من عصب البرود. ابن الأعرابي: الفوف ثياب من ثياب اليمن موشاة، وهو الفوف وبرد مفوف أي رقيق. الجوهري: الفوف قطع القطن... وبرد أفواف ومفوّف: بياض وخطوط بيض..». ويتبيّن من كلام ابن منظور أن الأفواف هي من البرود، أو من العصب، تنسج من القطن وهي بيضاء، وفيها خطوط.

أما عن المسهّم فذكر ابن منظور: «المسهم البرد المخطط. قال ابن بري: ومنه قول أوس:

فأنا رأينا العِرض أحوج ساعة إلى الصون من ريط يمانٍ مُسَهّم

وفي حديث جابر أنه (ص) كان يصلّي في برد مسهّم، أي مخطّط فيه وشي كالسهم. وبرد مسهّم مخطّط على شكل السهام. وقال اللحياني إنما ذلك لوشي فيه.

قال ذو الرمّة يصف داراً:

كأنها بعد أحوالٍ مضينَ لها بالأشيمين يمانٍ فيه تسهيمُ»[2]

---

(١) لسان العرب ٦/٥٧.

(٢) المصدر نفسه ١٥/٢٠٠.

ويظهر من هذا الكلام أن المسهّم برد مخطّط بخطوط مقطعة كالسهم.

ويذكر ابن منظور عن المكعب: «... ثوب مكعّب مطويّ شديد الأدراج في تربيع، ومنهم من لم يقيّده بالتربيع، يقال كعّب الثوب تكعيباً».

وقال اللحياني: «برد وكعب فيه وشي مربّع، والمكعّب الموشّى، ومنهم من خصّصه فقال من الثياب»[1].

ذكرت المصادر ثياباً فيها تصاوير، فروى مالك ابن أنس أن أبا طلحة الأنصاري نزع غطاءً من تحت سهل بن حنيف لأن فيه تصاوير، وكان الرسول نهى عن استعمال ما فيه تصاوير، فاعترض سهل وقال: «ألم يقل رسول الله (ص) إلا ما كان رقماً في ثوب، قال بلى ولكنه أطيب لنفسي»[2]. ويذكر ابن سعد أن عروة كان يلبس الطيلسان المزرّر بالديباج فيه وجوه الرجال وهو محرّم لايزرره عليه[3].

والقسيّة هي ثياب مضلعة فيها حرير أمثال الأترج[4]. ويقول ابن منظور: «ثياب مضلعة مخططة على شكل الضلع»[5]. قال اللحياني هو الموشّى، وقيل المضلّع من الثياب المسيّر، وقيل هو المختلف النسيج الرقيق. وقال ابن شميل: المضلّع، الثوب الذي قد نسج بعضه وترك بعضه، وقيل برد مضلّع إذا كانت خطوطه عريضة كالأضلاع، وتضليع الثوب جعل وشيه على هيئة الأضلاع، وفي الحديث أنه أهدي له (ص) ثوب سيراء مضلّع بقز، والمضلّع الذي فيه سيور وخيوط من إبريسم أو غيره شبه الأضلاع.

وفي حديث علي: «وقيل له ما القسية، قال ثياب مضلّعة فيها حرير، أي بها خطوط عريضة كالأضلاع»[6].

---

(١) لسان العرب ٢/ ١١٣.
(٢) الموطأ ٢/ ٢٤١.
(٣) ابن سعد ٥/ ١٣٤.
(٤) ابن حنبل ١/ ١٣٤.
(٥) لسان العرب ١٧/ ٦٤.
(٦) المصدر نفسه ١٠/ ٩٧.

إن المعلومات، التي ذكرناها آنفاً، تظهر أن كثيراً من المنسوجات والثياب، وبخاصة البرود كانت منقوشة بأشكال متعددة، ولكن يغلب عليها أن تكون مخططة بدليل كثرة البرود التي وصفت بأنها مخططة. أما الأشكال الأخرى من النقوش فكانت متعددة ولكنها قليلة، ولم توضح المصادر بدقّة الزخارف المطرّزة أو التي كانت في أصل الحياكة. ويبدو لي أن أغلب النقوش والخطوط هي في أصل الحياكة.

ذكر الماوردي نوعين من النقوش أوّلهما يتعذّر ضبط نقشه كالسقلاطون والحلل، والثاني تخطيطه مضبوط كالأبراد والحبرة[1].

أما الصبّاغون، فلم أجد في خطط المدينة ومكة والبصرة والكوفة سوقاً لهم أو مكاناً خاصّاً لهم فيها، ولم أجد إلا ماذكره البلاذري من أن سليمان بن عبد الملك أحدث الرملة ومصّرها «وكان أول ما بنى فيها قصره والدار التي تعرف بدار الصبّاغين وجعل في الدار صهريجاً متوسطاً فيها»[2]. وتوجد إشارات في بعض الكتب تدل على أن اليهود كانوا يشتغلون بالصباغة في أزمنة وأمكنة أخرى. فالجاحظ يقول: «وزعم أن القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء تنبت في ثلاثة مواضع في ناحية المغرب بأرض الأندلس، وفي رستاق يقال له تارم، وفي أرض فارس، ولا يعرف هذه الحشيشة وأماكنها إلا فرقة من اليهود يتولّون قلعها كل سنة في ماه اسفنداروز»[3].

ويذكر ابن العبري أنه لم يرتفع في العالم الإسلامي يهودي إلى أكثر من أن يكون دبّاغاً. ولعل سيطرة اليهود في الصباغة ترجع إلى عهود قديمة، وأن من بعض عواملها تنظيماتهم التي تمكنهم من السيطرة على الأصباغ من منابعها المنتجة[4].

---

(١) الحاوي ٩٣ب.

(٢) فتوح البلدان ١٤٢.

(٣) التبصر بالتجارة ١٩.

(٤) تاريخ ابن العبري ٤٩/١، المترجم عن السريانية.

ألوان الملابس:

اللون الأبيض:

في النصوص كثير من الإشارات إلى إطراء اللون الأبيض وإلى كثرة استعماله وتميّز بعض الأنسجة به، فيروى أن الرسول (ص) قال: «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم»[1]. ويقول الشافعي: «وأحب مايلبس إلي البياض، فإن جاوزه بعصب اليمن والقطري وما شابه ممّا يلبس غزله ولا يصبغ بعد ما ينسج فحسن»[2]. ويقول النجاشي: «أفضل الملابس هي البياض وعصب اليمن»[3]. وقد وردت عدة أحاديث تذكر أن الرسول (ص) كان يلبس الثياب البيضاء، وأنه «دخل مكة يوم الفتح ولواؤه أبيض»، وأنه «كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية». كما ذكرت بعض الأحاديث أن الزبير كسا الرسول وأبا بكر ثياباً بيضاً، وأنه كان «على عمر قميص أبيض». ويروي البخاري: «سُمّي الحواريون لبياض ثيابهم». ويبدو أن اللون الأبيض كان أكثر الألوان شيوعاً في ألبسة الرأس، وكان من علامة النبل فيروي الكليني أن جعفر الصادق قال: «اتخذ لي قلنسوة ولا تجعلها مصبغة فإن السيد مثلي لا يلبسها»[4]. وذكر ابن سعد عدداً من الصحابة والتابعين من الحجاز بخاصة كانوا يلبسون عمائم بيضاء. وممن ذكرهم: عبد الله بن عمر[5]، وسالم مولى عمر[6]، وعليّ بن الحسين[7]، وأبو هريرة[8]، وسعيد بن المسيّب[9]، وخارجة بن زيد[10]، والقاسم بن محمد[11]،

---

(١) ابن سعد ١-٢/١٤، مسند الشافعي ١/٢٠٧، وانظر عن مواضع ورود هذه الأحاديث في الصحاح (فنسنك المعجم المفهرس)، مادة (أبيض). ومما يجدر ذكره هنا ما قاله الجاحظ عن الساسانيين «ومن قوانين الملك أن يكون منديل غمرة» (التاج ١٧).

(٢) الأم ١/١٧٤.

(٣) البركة في فضل السعي والحركة ٤٩.

(٤) الكافي ٦/٤٦٢.

(٥) ابن سعد ٥/ ١٥٢.

(٦) المصدر نفسه ٥/١٤٦.

(٧) المصدر نفسه ٥/١٦١.

(٨) المصدر نفسه ٤-٢/٥٨.

(٩) المصدر نفسه ٥/١٠٢.

(١٠) المصدر نفسه ٥/١٩٤.

(١١) المصدر نفسه ٥/١٠٢.

ونافع بن جبير[1]، ومحمد النفس الزكية. وذكر ابن سعد أيضاً أنه كانت للخليفة علي قلنسوة بيضاء مصرية (مضربة ؟)[2]. كما ذكر قلنسوة بيضاء كان يلبسها عبد الله بن عبد الله[3] والقاسم بن محمد[4] وسعد بن عبد الله[5] وسالم[6] وعلي بن الحسين[7] وعبد الله[8]. وذكر الكليني أن الرسول (ص) يلبس قلنسوة بيضاء[9]. أما الجباب البيض، فقد ذكر أن عكرمة كان يلبسها[10]، وكان محمد النفس الزكية يلبس قميصاً أبيض[11]، وكان نافع بن جبير لا يلبس إلا البياض[12]، وكان الرداء الأبيض من خصائص المسلمين، فيروي الجاحظ أن أسد بن هاني، وهو طبيب مسلم لم يلق نجاحاً، ومن أسباب ذلك أنه كان عليه رداء قطن أبيض وكان ينبغي أن يكون رداؤه حريراً أسود[13].

تردّد في الملبوسات ذكر الرياط البيض، فقال الأزهري: «لاتكون الريطة إلا بيضاء»[14]. وروى ابن حنبل حديثاً جاء فيه: «أما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء»[15]. وفي حديث آخر: «... فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة»[16]. ونقل ابن منظور بيتاً أشار فيه إلى ذلك:

لا مَهلَ حتى تَلْحقي بعنسِ   أهلِ الرياطِ البيضِ والقلنسي[17]

---

(1) ابن سعد ٦/١٨٦.
(2) المصدر نفسه ٣-١/١٩.
(3) المصدر نفسه ٥/١٥٠.
(4) المصدر نفسه ٥/١٤٢.
(5) المصدر نفسه ٥/١٥٢.
(6) المصدر نفسه ٥/١٤٦.
(7) المصدر نفسه ٥/١٦١.
(8) المصدر نفسه ٥/١٤٦.
(9) الكافي ٦/٤٦١-٤٦٢.
(10) ابن سعد ٥/٢١٥.
(11) الطبري ٣/٢٢٤.
(12) ابن سعد ٥/ ١٥٢.
(13) البخلاء ٩٠.
(14) لسان العرب ٩/١٧٨.
(15) ابن حنبل ٤/١٤.
(16) المصدر نفسه ١/٣٩٨.
(17) لسان العرب ٨/ ٦٤.

اشتهرت بعض المنسوجات باللون الأبيض، فقد ذكر ابن سعد: «البرود العالية البيض» التي كان يلبسها سعيد بن المسيّب[1]. وأشار حسان بن ثابت إلى البرود البيض قائلاً:

الدارُ واسطةٌ والنخلُ شارعةٌ والبيضُ يرفلنَ العشي كالبردِ[2]

البرد ثوب فيه خيوطٌ وخص بعضهم فيه الوشي. وثوب أبرد فيه لمع سواد وبياض يمانية. الليث: البرد معروف من برد العصب والوشي[3]. كما ذكرت الثياب البيض السحولية[4]. ووردت أحاديث كثيرة تذكر أن الرسول (ص) «كفن في ثياب سحولية بيض»[5]، وكذلك كفن أبو بكر[6].

ومن المنسوجات البيضاء القبطية وهي «ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر وهي منسوبة إلى القبط...». وقال شمر: القباطي ثياب إلى الدقة والرقة والبياض.. وفي حديث أسامة: كساني رسول الله (ص) قبطية: القبطية الثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء ... وفي حديث قتل ابن أبي الحقيق: ما دلّنا عليه إلا بياضه في سواد الليل كأنه قبطية...[7].

وذكرت من المنسوجات البيض القوهية وهي «ضرب من ثياب بيض ... قال ذو الرمة: «من القزّ والقوهي بيض المقالع». وأنشد ابن بري لنصيب:

سودت فلم أملك سوادي وتحتَهُ قميصٌ من القوهيّ بيضٌ بنائقُه[8]

وقال سحيم:

كسيتُ قميصاً ذا سوادٍ وتحتَهُ قميصٌ من القوهيّ بيضٌ بنائقُه[9]

---

(1) ابن سعد ٥/٩٩.
(2) الأغاني ٤/١٦٠.
(3) لسان العرب ٤/٥٣.
(4) المصدر نفسه ١٣/٢٤٨، ديوان الهذليين ٢/١٠.
(5) انظر فنسنك مادة (أبيض)، وانظر ابن سعد ٣-٢/٦٣-٦٧، الموطأ ١/١٧٣.
(6) ابن سعد ٣-١/١٤٣، ١٤٦.
(7) لسان العرب ٩/٢٤٨، وانظر أيضاً الصحاح ١/٥٦١.
(8) لسان العرب ١٧/٤٢٩.
(9) الأغاني ٢٠/٢.

ومن المنسوجات البيضاء الكرباس[1] والشرافي[2] والخرذق[3] والدخدار[4] وكذلك بعض ثياب الشام[5]. كان البياض هو اللون المستحبّ في لباس الأحرام، فكان عمر بن الخطاب يقول: «وإن أحسن ما يلبس المحرم البياض»[6]. ويقول الشافعي: «وأحب ما يلبس إليّ البياض، فإن جاوزه بعصب اليمن والقطري وما أشبه مما يصبغ غزله ولا يصبغ بعدما ينسج فحسن»[7]. والشافعي يفضل أن تلبس النساء في الصلاة البياض ويكره لهن الصبغ لأنها تشبه المزينة[8].

ويروى أن الخليفة الوليد بن عبد الملك كان يصلّي في ثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة. وقد استدل فان فولتن من هذا أن شعار الأمويين كان البياض[9]. ولكني لم أجد في الكتاب إشارة تدل على أن البياض كان شعار الأمويين في دولتهم، غير أنه بعد مقتل مروان وزوال الدولة الأموية اتخذ بعض الثائرين على العباسيين شعاراً لهم البياض؛ ففي سنة ١٣٢ «خلع أبو الورد أبا العباس بقنسرين فبيّض وبيّضوا معه»[10]. كما «خلع حبيب بن مرة المري وبيّض في الجزيرة»[11].

ويقول ابن منظور «المبيّضة فرقة من الثنوية، وهم أصحاب المقنّع، سمّوا بذلك لتبييضهم ثيابهم خلافاً للمسوّدة من أصحاب الدولة العباسية»[12].

---

(١) القاموس المحيط ٢/ ٢٤٥، وفي لسان العرب ٨/ ٧٩ أن الكرباس هو القطن.
(٢) لسان العرب ١٧/ ٤٢٩.
(٣) القاموس المحيط ٣/ ٢٢٧.
(٤) لسان العرب ٥/ ٣٦٤.
(٥) ابن سعد ٣-١/ ١٢٢.
(٦) المصدر نفسه ٣-١ / ١٥٦.
(٧) الأم ١/ ١٧٤.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٠٧.
(٩) السيادة العربية ١٢٥.
(١٠) الطبري ٣/ ٥٣.
(١١) المصدر نفسه ٣/ ٥٥.
(١٢) لسان العرب ٨/ ٢٩٧، وانظر كتاب صديقي عن الحركات الدينية الإيرانية ص ١٧٠.

ويذكر ابن منظور أيضاً: «يقال للحرورية المبيّضة لأن راياتهم في الحروب كانت بيضاء»[1]. غير أنه لم يذكر متى بدأ الحرورية يستعملون البياض شعاراً لهم.

ولما ثار محمد النفس الزكية كان عليه قميص أبيض محشو، وعمامة بيضاء ثم وجه إلى مكة فأخذت له البيعة وبيّضوا معه[2] وكان أصحابه يلبسون البياض[3] وكانو يدعون المبيّضة[4].

أرسل ابن عبد الله إلى السند داعياً إلى الثورة فأجابه أهلها «فقطع الأعلام البيض والقلانس البيض وهيأ لبسه من البياض يصعد فيها إلى المنبر»[5].

وعندما كان المأمون في خراسان بعد مقتل الأمين، حدثت عدة ثورات قام بها العلويون في الكوفة ومكة والبصرة واليمن، وقد أشارت بعض المصادر إلى أن هؤلاء الثوار كانوا يتخذون البياض شعاراً لهم، فقد ذكر الطبري «تبييض أخي أبي السرايا»[6]. وقال الأزدي أنه في سنة ١٩٩ دخلت المبيّضة مكة في موسم هذه السنة»[7]. وقد صرّح الطبري أن الذي دخل مكة في تلك السنة هو الحسن الأفطس العلوي. أما المطهر المقدسي فيذكر ممن بيّض ابن طباطبا بالكوفة، وعلي بن محمد، ومحمد بن سليمان بالبصرة، وابن الأفطس بمكة[8].

ويبدو أن البياض أصبح في العصر العباسي شعار العلويين، فيذكر السمعاني «المبيضة طائفة من الشيعة ولهم لواء خلاف لواء بني العباس فإن لواءهم أسود، يقال لهم المبيّضة، وجماعة منهم بنواحي بخارا إلى الساعة يقال لهم سبيل

---

(١) لسان العرب ٥/ ٢٨٨.
(٢) الطبري ٣/ ٢٢٤.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٤٠.
(٤) المصدر نفسه ٣/ ٢٣٢، ٢٩٧.
(٥) المصدر نفسه ٣/ ٣٦١.
(٦) المصدر نفسه ٣/ ١٠١٨.
(٧) تاريخ الموصل ٣٣٨.
(٨) البدء والتاريخ ٦/ ١٠٩-١١٠.

جامكان قيل إنهم يسكنون قصر عمير»[1]. ويذكر عريب أنه في سنة ٢٩٣ «كان القرامطة أظهروا الأعلام البيض»[2]. وقد اشتبك الداعي العلوي في سنة ٢٨٧ مع العباسيين «فكانت وقعة وكانت للمبيّضة على المسوّدة»[3]. وعندما كان المتقي في الرقة، استدعى رجلاً عالماً بالأخبار «فقال للرجل ما تحفظ من أشعار المبيّضة وأخبارها، فمر الرجل في أخبار آل أبي طالب إلى أن صار إلى أخبار الحسن بن زيد وأخيه محمد بن زيد وما كان من أمرهما ببلاد طبرستان»[4]. ولما دخل الحسن بن القاسم الحسني الري كتب المقتدر إلى نصر بن أحمد يقرعه وقال: «أهملت البلد حتى دخلت المبيّضة»[5].

ويذكر المقريزي أن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله كان يلبس دراعة صوف بيضاء[6]، وأن الظاهر كان يظهر للناس وعليه ثياب دبيقية بيضاء[7]، وأنه كان يلبس عمامة بيضاء مذهّبة[8].

الأبيض لون لباس الحادّ:

كان اللون الأبيض لباس الحادّ في الحجاز في العهود الأولى، فقد قالت عائشة عن لباس الحادّ على زوجها: «لا تلبس ثوباً مصبوغاً ولا مصفرًا وتلبس البياض ولا تلبس السواد». وقال مالك: «لا بأس أن تلبس (الحادّ) من الحرير الأبيض»[9]. ويقول الشافعي: «لا بأس أن تلبس (الحادّ) كل ثوب وإن جاء من البياض ليس بمزية»[10].

---

(١) الأنساب ٥٠٦ ب.
(٢) ذيل تاريخ الطبري ٨.
(٣) مروج الذهب ٨/ ١٩٤.
(٤) المصدر نفسه ٨/ ٣٥٣.
(٥) المصدر نفسه ٦/٩. ويذكر المسعودي أن «لمحمد بن الحسن بن سهل تصنيفات عن أخبار المبيّضة» مروج الذهب.
(٦) اتعاظ الحنفا ٢/ ١٠١.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٣٤، ١٥٠، ١٦٠.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ١٥٩، ١٦٠.
(٩) المدوّنة ٥/ ١١٤.
(١٠) الأم ٥/ ١١٣.

أكد الفقهاء وجوب عدم لبس الحادّ الثياب المصبغة، فقال أبو عمر: «ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب تتجلبب به... وكان لا يرى بأساً أن تلبس البرد»[1]. وسئل مالك «في الحادّ فهل تلبس الثياب المصبغة من هذه الدكن والصفر والمصبغات بغير الورس والزعفران والعصفر، فقال لا تلبس شيئاً منه ولا صوفاً ولا قطناً ولا كتاناً صبغ بشيء من هذا إلا أن تضطر إلى ذلك من برد ولا تجد غيره»[2]. ويقول أيضاً: «ولا تلبس خزّاً ولا حريراً مصبوغاً ولا ثوباً مصبوغاً بزعفران ولا عصفر ولا خضرة ولا غير ذلك، فقلنا لمالك فهذه الجباب التي تلبسها النساء للشتاء التي تصبغ بالدكن والخضر والصفر والحمر وغير ذلك، قال لا يعجبني إلا أن لا تجد غير ذلك وتضطر إليه... فقلت لمالك هل تلبس الحادّ البياض الجيد الرقيق منه، قال نعم فلم ير لذلك بأساً، ووسع في البياض كله للحاد رقيقه وغليظه... قال من المصبوغ كلّه: الجباب من الكتان والصوف الأخضر والأحمر إنها لا تلبسه»[3].

ويقول الشافعي: «ولا بأس أن تلبس الحادّ كل ثوب وإن جاء من بياض لأن البياض ليس بمزية، وكذلك بصوف الوبر وكل ما نسج على وجه، وكذلك كل ثوب منسوج على وجه لم يدخل عليه صبغ من خزّ ومروي إبريسم أو حشيش أو صوف أو وبر أو شعر أو غيره، كذلك كل صبغ لم يُرد به تزيين الثوب مثل السواد وما أشبه، فإن من صبغ السواد فإنما صبغه لتقبيحه للحزن»[4].

إن الفقرة الأولى من كلام الشافعي تدلّ على أن البياض هو اللون المستعمل للحزن، غير أن الجملة الأخيرة تدل على أن السواد أيضاً هو لون الحزن. ولما كان الشافعي قد عاش في الحجاز وبغداد ومصر، فإننا لا نعلم في أي الأقاليم ساد كل لون منهما. وهو أنه قد أخذ في زمنه يعمّ البلاد الإسلامية.

ويقول الوشّاء إن «البياض عندهم من لبس المهجورات، والأزرق من لبس الأرامل والمفرّعات»[5]. وكانت المتظرّفات يلبسن «السراويلات البيض المذيّلة،

---

(١) تفسير الطبري ٢/٣١٨، المدوّنة ٥/١١٣.

(٢) المدوّنة ٥/١١٣.

(٣) المصدر نفسه ٥/٢١٣.

(٤) الأم ٥/٢١٤.

(٥) الموشى ١٨٤.

والمعاجر السود المسنبلة ليس البياض عندهم من زي الرجال»[1]. وفي الجواريب والتكك لايذهبن من ألوانها إلى البياض ولا ما كان كثير الألوان والخليط، ولا يلبسن من الثياب البيض الكتان إلا ما كان ملوناً من جنسه أو منيراً بلون.

اللون الأسود:

يقول الكليني «إن الرسول (ص) يكره السواد إلا في ثلاث: الخف والعمامة والكساء»[2]. ويذكر البخاري: «لم تر عائشة بأساً بالحلي والثوب الأسود»[3]. ويتبيّن من هذين النصين أن اللون الأسود لم يكن محبّباً، ولكنه في نفس الوقت مباح وغير مكروه.

والسواد هو اللون الذي تميّزت به بعض المنسوجات والثياب، فالسجية هي كساء أسود[4]، «قيل إنها بردة من الصوف فيها سواد وبياض»[5]. وذكر في مكان آخر أن «البردة كساء مربع أسود فيه صفر»[6].

والخميصة «كساء أسود مربّع له علمان»[7]، وهي «لا تسمّى خميصة إلا أن تكون سوداء معلّمة»[8]. وقد ورد ذكر الخميصة السوداء في بعض الأحاديث النبوية[9]. وذكرت المصادر أن ممن كان يلبسها عثمان[10] والإمام علي[11].

---

(١) الموشى ١٨٤.

(٢) الكافي ٦/٤٤٩. ويذكر الخطيب «الحمرة صباغ الإسلام والسواد صباغ آل فرعون»، الجامع لأخلاق الراوي والسامع ١/٣٨١.

(٣) الصحاح ١/١٥٣.

(٤) لسان العرب ٤/٥٣.

(٥) المصدر نفسه ٣/١١٨.

(٦) المصدر نفسه ٤/٥٣.

(٧) الثعالبي فقه اللغة ٢٤٦.

(٨) لسان العرب ٨/٢٩٦.

(٩) انظر النسائي استسقاء ٣، ٦٥، أبو داود استسقاء ١.

(١٠) ابن سعد ٣-١/٣٩، أنساب الأشراف ٥/٣.

(١١) ابن سعد ٣-١/٢٠.

والبردة كساء مربع أسود فيه صفر تلبسه الأعراب[1]. وقد ذكرت للرسول (ص) بردة سوداء من صوف[2].

ومن الملبوسات، التي عرفت باللون الأسود، الخمار، ويبدو أن الخمار الأسود لم يكن في أوائل الإسلام مرغوباً بالحجاز إلى أن قدم المدينة تاجر من أهل الكوفة بخمر فباعها كلها وبقيت منها السود فلم تنفق وكان صديقاً للدارمي فنظم له الدارمي قصيدة يتغزل فيها بحسناء كانت تلبس الخمار الأسود فلم تبق بالمدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفد ما كان مع العراقي منها[3]. وكانت «جيشان ينسب إليها الخمر السود»[4]. وقد رويت عدة نصوص تذكر أن عائشة كانت تلبس خماراً أسود جيشانياً[5].

ومن الملبوسات المصبوغة بالأسود القميص، وقد ذكر الأصفهاني أن الفرزدق كان يلبسه[6] والجبة كان يلبسها معاوية[7] ومحمد النفس الزكية[8] والقباء المروي[9] والبرنس والمرط[10]. والساج هو الطيلسان الأسود[11].

أما الدراريع السود، فتروي بعض المصادر أن أول من لبسها المختار بن عبيد الثقفي، وقد لبس علي بن الحسن دراعة سوداء[12]. ويذكر وكيع أن قوماً جاؤوا يشهدون عند وكيع «عليهم ثياب سود عليهم خفاف بعصبة وكأنهم من الأكراد، وكأنهم ليسوا مسلمين»[13]. وقد يفهم من هذا أن الأكراد كانوا يعرفون

---

(١) لسان العرب ٤/٥٣.
(٢) ابن حنبل ٦/١٦٣، ٢١٩، ٢٤٩.
(٣) الأغاني ٣/٤٥.
(٤) البكري، معجم ما استعجم ٤١٠.
(٥) ابن سعد ٨/٥١، ٣٥٨، ٣٦٣.
(٦) الأغاني١٩/ ٤٠.
(٧) ابن سعد ٤-١/٨٣ .
(٨) الطبري ٣/٢٢٤ .
(٩) الأغاني ١٨/٥٣ .
(١٠) الأم ١/٢٠٦ .
(١١) أنساب الأشراف ١/٥٠٨.
(١٢) ابن قتيبة، المعارف ٢٤٠؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة ١٩٢ .
(١٣) وكيع، أخبار القضاة ٢/٣١٨.

بلبس الثياب السود. ومن زي المتظرّفين وذوي المروءة أن يلبسوا من النعال «ويشرك أسودها بأحمر وأصفر بأسوده»[١]. وفي القرن الرابع الهجري كان من خصائص جرجان الثياب السود[٢].

أما العمامة السوداء، فقد روي أن الرسول كان يلبسها[٣]. كما ذكرت المصادر عدداً كبيراً من الصحابة والتابعين ممن كانوا يلبسون عمامة سوداء، ومنهم عبد الرحمن بن عوف[٤]، والإمام علي[٥]، وعمر[٦]، ومعاوية[٧]، ومحمد بن علي[٨]، وسعيد بن المسيّب[٩]، وعبد الرحمن بن زيد[١٠]، وعبد الله بن عمر[١١]، وابن جامع[١٢]. وفي سنة ١٢٩ تقدم أبو حمزة الخارجي إلى عرفة ولهم أعلام عمائم سود حرقانية في رؤوس الرماح وهم في سبعمائة[١٣]. وممن كان يلبس حرقانية: ابن الحنفية[١٤]، وعبد الله بن عمر[١٥]. وممن ذكرت المصادر انه لبس خزّاً أسود عمر بن أبي ربيعة[١٦].

كثر ذكر استعمال القلانس السود في العصر العباسي، فيروي الأصبهاني أنه «كان أبو جعفر قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها»[١٧]. وكان ابن جامع يعتمّ بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس

---

(١) الموشى ١٧٩.
(٢) الثعالبي، لطائف المعارف ١٩٠.
(٣) ابن سعد ١-٢/١٥٠-١، أنساب الأشراف ١/٥٠٧.
(٤) ابن سعد ٣-١/٩٣ لسان العرب ١٣/٨٠.
(٥) ابن سعد ٣-١/٨١.
(٦) عيون الأخبار ٣/٤٦.
(٧) ابن سعد ٤-١/٨٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٤.
(٨) ابن سعد ٥/٥٨.
(٩) المصدر نفسه ٥/١٠٢، الأم ١/٢٠٦.
(١٠) ابن سعد ٦/٨٣.
(١١) المصدر نفسه ٤-٢/١١.
(١٢) الأغاني ٦/٢٩١.
(١٣) الطبري ٢/١٩٨١.
(١٤) ابن سعد ٥/٨٤.
(١٥) المصدر نفسه ٤-٢/١١.
(١٦) الأغاني ١١/١٧١.
(١٧) المصدر نفسه ١٠/٢٣٦.

لباس الفقهاء[1]. وروي أن حمزة بن أبي سلالة «على رأسه قلنسية سوداء»[2].
وكان داود الطائي ت ١٦٥ «لا يشبه القراء، عليه قلنسوة سوداء طويلة مما يلبس التجار»[3].

أصبح للّون الأسود أهمية في الألبسة، وبخاصة، منذ أن اتّخذه العباسيين شعاراً لهم. وهذا دفع عدداً من الباحثين إلى دراسة أصول استعمال العباسيين اللون الأسود، ومن أبرزهم فان فلوتن الذي يقول: «كان البياض شعار الأمويين إلى ذلك الحين، فاتخذ العباسيون السواد شعاراً لهم حداداً على الشهداء من آل البيت الذين ذهبوا ضحية استبداد الحكومة الأموية وقسوتها». . ولا يبعد أن يكون الأمويون قد اتخذوا البياض شعاراً لهم بعد أن قامت الدولة العباسية وبعد اتخاذ الخلفاء العباسيين السواد شعاراً لهم. ثم يذكر أن الألوية السوداء لم تكن يوما شعاراً للحداد، وأن الحارث بن سريج وبهلول الخارجي وأبو حمزة الخارجي قد اتخذوها شعاراً لهم، وأن لها علاقة بمحاربة الضلالة، وأنها تمثل لواء الرسول (ص) الذي كان يحمله في حروبه مع الكفّار[4].

ذكر كتاب (أخبار الدولة العباسية) المجهول المؤلّف نشأة اتخاذ العباسيين السواد شعاراً لهم وأسبابه، فقال إن ابراهيم الإمام قال لأبي هاشم بكير بن ماهان في ذلك: «والسواد يا أبا هاشم لباسنا ولباس أنصارنا وفيه عزّنا، وهو جند أيدنا الله به وسأخبرك عن ذلك كانت راية رسول الله (ص) سوداء، وكانت راية علي بن أبي طالب سوداء، فعليكم بالسواد فليكن لباسكم الثياب والرايات السود. . فانصرف أبو هاشم. . . ويبعث أبو سلمة إلى خرسان، ودفع له ثلاث رايات سود وأمره أن يدفع واحدة إلى من بمرو من الشيعة ويدفع واحدة إلى من بجرجان من الشيعة، ويبعث بواحدة إلى ما وراء النهر، فشخص أبو سلمة إلى خراسان، وكان أول من قدمها بالرايات السود. وكان مما قوّى راية الأئمة في السواد أمور: منها ما جاء فيه من ظهور الرايات السود. ومنها

---

(١) الأغاني ٦/٢٩١ .
(٢) المصدر نفسه ٢١/٣٥ .
(٣) ابن سعد ٦/٢٥٥ .
(٤) السيادة العربية ١٢٥ .

أن راية الرسول (ص) كانت سوداء. ومنها أن راية علي بن أبي طالب (رض) كانت سوداء وفيها يقول القائل يوم صفين:

لمن رايةٌ سوداءُ يخفقُ ظلُّها إذا قيل قدّمها يزيدُ تقدّما

ومنها أنه كان لباس داود حيث لقي جالوت فظفر به السواد، ومنها أن بني عبد المطلب لم يزالوا يتيمّنون بالسواد. «ويذكر أن قريشاً لما حفروا زمزم وجدت غزالين مصنوعين بالذهب مكللين بالجوهر، فحكّموا كاهناً فقال أن يسهموا فمن خرج سهمه كان له الغزال فلم يزل بنو عبد المطلب يتيمنون بالسواد مذ ذاك».

وقد أضاف الكتاب رواية عن عمرو بن شعيب أن شيعة العباسيين استوحشوا من السواد فأجابهم أبو هاشم «أن عز هذه الدولة فيه، ولا تزال دعوة بني هاشم عزيزة ما لبس السواد أهلها، وقد كانت الأنصار لما أصابت قريش ومن كان معها ما أصابت من النبي (ص) وأصحابه يوم أحد سوّدوا الثياب، كما تصنع العرب في ثيابها عند المصائب... فقال أبو هاشم قد تتابعت على آل رسول الله (ص) مصائب لا يذكر معها لأشياعهم لباس السواد حتى يدركوا بثأرهم»[1].

وفي راية الرسول يتبنّى فان فلوتن رأي من قال «الألوية تمثّل لواء الرسول الذي كان يحمله في حروبه مع الكفّار، وذلك اللواء الذي اتّفقت جميع المصادر التي اعتمد عليها أنه كان أسود»، وقد ذكر فلوتن مصادره.

فأما راية الرسول ولواؤه، فإن ابن سعد يذكر أن الألوية التي أعطاها الرسول لمن قاد السرايا السبع الأولى كانت بيضاء[2]، وأن الرسول (ص) عقد لكل من عمرو بن العاص في سريته إلى ذات السلاسل، ولعليّ في سريته إلى الفلس لواءً أبيض وراية سوداء[3]. وكلتا السريتين حدثتا بعد فتح مكة، ولم يذكر ابن سعد ألوان ألوية الرسول وراياته في الغزوات الأخرى.

---

(١) أخبار الدولة العباسية ٢٤٥-٢٤٧.

(٢) ابن سعد ١-٢/٢-٤.

(٣) المصدر نفسه ١-٢/٩٥، ١١٩.

أما في فتح مكة، فيذكر ابن سعد أنه «دخل النبي (ص) مكة وعليه عمامة سوداء»[1]. ويقول البلاذري «دخل رسول الله (ص) مكة وعليه عمامة سوداء ولواء أسود»[2]. ويذكر أن خالد بن الوليد عندما كان يحاصر دمشق من ثنية العقاب نشر راياته «وهي راية كانت لرسول الله (ص) سوداء».[3] ومن هذا يتبين أن الرسول لم يقتصر براياته على اللون الأسود، بل كان بعضها أبيض. ولم يقطع أحد القول بأن كل رايات الرسول كانت سوداء. أما راية الإمام علي في صفين فإن نصر بن مزاحم يذكر أن الراية كانت حمراء[4].

لم تذكر المصادر عن استعمال الرايات السود قبل العقد الثاني من القرن الثاني، حيث استعملها بعض الثوار في العراق والجزيرة وفي خراسان، فيروي الذهبي أن يزيد بن المهلب لما ثار على يزيد بن عبد الملك نصب رايات سوداء[5].

ويذكر الطبري أن بهلول الخارجي لما ثار في العراق كان معه لواء أسود[6]، وأن حمزة الخارجي عندما هاجم المدينة طلع جيشه «أعلام وعمائم سود حرقانية»[7]. وفي رواية يذكر: «يقال للحرورية المبيّضة لأن راياتهم في الحروب كانت بيضاء»[8].

أما في خرسان فإن الحارث بن سريج عندما تقدّم إلى مرو كان عليه يومئذ السواد[9]. وذكر الكميت يحرّض فيها أهل مرو على الانضمام للحارث:

وإلا فارفعوا الرايات سودا　　　على أهلِ الضلالةِ والتعدّي[10]

---

(1) ابن سعد ٢-١ / ١٠١.
(2) أنساب الأشراف ١/ ٣٥٥.
(3) فتوح البلدان ١١١، ياقوت ١/ ٩٣٥.
(4) وقعة صفين ٢٨٩.
(5) تاريخ الإسلام ٤/ ١٥٠.
(6) الطبري ٢/ ١٦٢٤.
(7) المصدر نفسه ٢/ ١٩٨١.
(8) لسان العرب ٥/ ٢٨٨.
(9) الطبري ٢/ ١٥٧٠.
(10) المصدر نفسه ٢/ ١٥٧٤.

ومن هذا يتبيّن أن اللون الأسود استعمل في زمن الرسول وصدر الإسلام في الألبسة والعمائم، ولكن ليس بصورة رائجة أو كشعار ثابت ومميز، ثم صار منذ العقد الثاني الهجري شعاراً لثائرين متباينين في الأفكار كالخوارج والحارث بن سريج المرجيء والعباسيين. ولعل استعماله وانتشاره في الشعارات راجع إلى بعض الآراء الشعبية التي سادت عن ظهور منقذ للعالم، وفكرة الرايات السود التي تظهر من المشرق لتنقذ العالم[١].

ويذكر أبو هلال العسكري أن إبراهيم الإمام لمّا قتله مروان «لبس شيعته السواد فلزمهم وصار شعاراً لهم»[٢].

ولما أبطل المأمون لبس السواد وأمر بلس الخضرة استاء الناس «لتركه لباس آبائه من السواد ولبس الخضرة»[٣]. وطلبوا إليه أن «يرجع إلى لبس السواد وزي دولة الآباء»[٤]. فلما عاد إلى السواد هدأ الناس.

اللون الأدكن والمرنباني

ذكر الأدكن لوناً للخز الذي كان منه مطرف كل من القاسم بن محمد[٥]، وعروة بن الزبير[٦]، وكذلك برنس ابن أبي أوفى[٧]. وكان هذا أيضاً لون جبة كل من الحسين بن علي[٨]، وجعفر الصادق[٩] وبعض الكتّاب[١٠]. أما المرنباني، فهو «لونه لون الأرانب، والمؤرنب ما قد خلط غزله وبر الأرنب»[١١]. ولم تذكر المصادر ما لونه أرنباني.

---

(١) انظر ابن حنبل ٥/٢٧٧، الترمذي فتن ٧٩، ابن ماجة الفتن ٧٩.
(٢) الأوائل ٢١٠.
(٣) الطبري ٣/١٠١٦.
(٤) المصدر نفسه ٣/١٠٣٧.
(٥) ابن سعد ٥/١٤٣.
(٦) المصدر نفسه ٥/١٤٣.
(٧) المصدر نفسه ٤-٢/٣٦.
(٨) الكافي ٦/٤٥٢.
(٩) حلية الأولياء ٣/١٩٨.
(١٠) الأغاني ١٣/٨٣.
(١١) المخصص ٤/٨٠.

اللون الأخضر:

ذكرنا من قبل أن اللون الأخضر تكرر ذكره في القرآن الكريم، وأن بعض الآيات ذكرت أن لباس أهل الجنة ثياب سندس خضر. وقد ذكرت المصادر عدداً من المنسوجات والثياب الخضر ومنها الحضرمي المخضر[1]، والجنادي الأخضر الذي سترت فيه الكعبة[2]، والمرط «قيل هو الثوب الأخضر»[3]. كما ذكر الرفرف «ثياب خضر تبسط»[4]، والخوخة «ضرب من الثياب خضر»[5]. ولم يكن الأخضر من الألوان المكروهة في الأوساط الدينية[6].

وقد ذكر أن الساج طليسان أخضر[7]، وبرنكان أخضر[8]. غير أن أكثر المنسوجات التي تردد ذكر لونها الأخضر هو الخزّ. فقد ذكر مطرف: خز أخضر على زياد[9]، وعلى الشعبي[10]، وجبة خز أخضر يلبسها القاسم بن محمد[11]، وقلنسوة، كما ذكر مالك برداً أخضر[12].

اهتم هشام بن عبد الملك بالمنسوجات، وإليه ينسب الخز الأخضر الهاشمي[13]، ونهى مالك أن «تلبس الحادّ خزاً ولا حريراً مصبوغاً ولا ثوباً مصبوغاً بزعفران ولا عصفر ولا خضرة ولا غير ذلك. ولما سئل عن الجباب التي تلبسها النساء للشتاء التي تصبغ بالدكن والخضر والصفر والحمر وغير ذلك، قال لا يعجبني إلا أن لا تجد غير ذلك وتضطر إليه»[14].

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٥، الأغاني ٩/ ١١.
(٢) لسان العرب ٤/ ١٠٦.
(٣) المصدر نفسه ٩/ ٢٧٨.
(٤) المخصص ٤/ ٧٦.
(٥) المصدر نفسه ٤/ ٧٣.
(٦) البركة في فضل السعي والحركة ٤٩.
(٧) الصحاح ١/ ١٥٤، المخصص ٤/ ٧٩، لسان العرب ٣/ ١٢٧.
(٨) الأغاني ٢١/ ٦٠.
(٩) الطبري ٢/ ١١٥، الأغاني ١٦/ ٣.
(١٠) ابن سعد ٦/ ١٧٦.
(١١) المصدر نفسه ٥/ ١٤٠.
(١٢) الموطأ، حدود ٢٥.
(١٣) الذخائر والتحف ٢١١.
(١٤) المدوّنة ٥/ ١١٤.

أما الشافعي، فيرى أنه لا يجوز أن تلبس الحاذ كل ما صبغ لغير تزيينه، إما لتقبيحه أو لنفي الوسخ عنه مثل الصباغ بالسدر وصباغ الغزل بالخضرة وتقارب السواد، ولا الخضرة الصافية وما في مثل معناه[1].

يذكر الوشّاء أن «لبس المورد والأحمر والسنيري والأخضر إنما هو لبس النبطيات ولبس الإماء المقينات» [2].

أما شعار الخضرة، فلم أجد من اتخذه في العهود الإسلامية الأولى إلا المأمون بعدما ولّي الخلافة وهو في خراسان، فيقول الطبري إن المأمون كتب إلى طاهر بن الحسين «وأمره بطرح لبس الثياب السود ولبس الخضرة... أن يأمر من قبله من أصحابه والجند والقواد وبني هاشم بالبيعة له وأن يأخذهم بلبس الخضرة في أقبيتهم وأعلامهم، ويأخذ أهل بغداد جميعاً بذلك»[3]. ويقول المسعودي إن المأمون «أمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام، وأظهر بدلاً من ذلك الخضرة باللباس والأعلام وغير ذلك، ونمى ذلك إلى من في العراق من ولد العباس، فأعظموا إذ علموا أن في ذلك خروجهم لا أمر عنهم»[4].

أثار عمل المأمون استياء أهل بغداد، وكان من العوامل التي حملتهم على تأييد الثورات التي قام بها ابراهيم بن المهدي وأبو السرايا ضده. وإذ رأوا في عيوبه «تركه لباس آبائه من السواد ولبسه الخضرة». فأرادوا أن «يرجع إلى لبس السواد وزي دولة الآباء»[5]. والواقع أن المأمون حالما عاد إلى بغداد أبطل لباس الخضرة وعاد إلى لباس السواد[6].

أخذ المأمون لباس الخضرة في زمن قريب من اختياره علي الرضا، العلوي

---

(١) الأم ٥/٢١٤.
(٢) الموشى ١٨٤.
(٣) الطبري ٣/١٠١٣.
(٤) مروج الذهب ٣/١٠١٦.
(٥) الطبري ٣/١٠١٦.
(٦) المصدر نفسه ٣/١٠٣٧.

ولي عهدٍ له، وأعطى هذا انطباعاً عند البعض أن الخضرة شعار العلويين. والواقع أن هذا ليس له سند تاريخي، ولا علاقة بين لباس الخضرة واختيار علي الرضا، وذلك أن شعار العلويين البياض كما ذكرنا، وأن علي الرضا نفسه نصح المأمون بإبطاله وقد أعطى بعض الباحثين المحدثين لذلك تعليلات يصعب قبولها[1]. ويروى أن الفضل بن سهل هو الذي دفع المأمون إلى اتخاذ شعار الخضرة لأنه كان شعار الساسانيين، وأن علياً الرضا هو الذي نصح المأمون بإبطال شعار الخضرة[2]. وذكر حمزة الأصبهاني ألوان شعارات وسراويل وتيجان الملوك الساسانيين، وذكر خمسة وعشرين ملكاً ساسانياً منهم ثلاثة عشر ملكاً كانت ألوان تيجانهم خضراً[3]. كما ذكر ابن اسفنديار ان إصبهبذ طبرستان أرسل إلى المنصور ما كان يرسله الساسانيون من أموال، ومنها ثلاثمائة حمل من بسط وألبسة من الحرير الأخضر[4].

اللون الأزرق والكحلي والبنفسجي:

لم تذكر المصادر نسيجاً أو ملبوساً أزرق إلا طيلسان لعلي بن الحسين[5]. وذكر الوشّاء عند كلامه عن زي الظرفاء وذوي المروءة من الرجال «الطيالسة القومسية الزرق السلوية»[6]. وورد في حكاية أبي القاسم أن الأمة «تجلس فتمد في وجهها إزار قصب أبيض رقيق وهي من ورائه في إزار أزرق»[7]. ويقول الوشّاء: «الأزرق والحداد لبس الأرامل والمقرعات»[8].

---

(١) أنظر هذه الآراء مقال الدكتور فاروق عمر، الألوان.
(٢) عيون أخبار الرضا.
(٣) تاريخ سني ملوك الارض والأنبياء ٤٤-٥٥.
(٤) تاريخ اسفنديار ١١٨ (ترجمة براون).
(٥) الكافي ٦/٤٤٩.
(٦) الموشى ١٧٨.
(٧) حكاية أبي القاسم ٥٤.
(٨) الموشى ١٨٤.

ومن الألوان التي ذكرت العوهق، وهو صبغ شبه اللازورد[1]. ويضيف ابن منظور «وقيل العوهق لون كلون السماء مشرب سواداً»[2] ولم تذكر المصادر ألبسة مصبوغة بالعوهق.

أما الكحلي، فقد ذكر في لون السجلاط: «قيل هو الكحلي وقيل هو على لون السجلاط وهو الياسمين»[3]. ومن المعلوم أن الياسمين أبيض وأصفر وأحمر وكحلي[4].

والسجلّاط هو ثياب صوف. وقد ذكر أنه طليسان خز، وضرب من ثياب الكتان، ونمط من الصوف، والكلمة رومية.

ذكر في الحديث أنه أُهدي للرسول (ص) طيلسان من خز سجلاط[5] ولم يرى مالك بأساً من أن يحرم الرجل من البرنكانات والطيالسة الكحلية[6]. وورد في حكاية أبي القاسم... «إذا تظرفتم لبستم... وعمائم القطن الكحلية تعلق في أهدابها خيوط خضر وحمر»[7].

أما النيل، فقد ذكر ابن البيطار «هو صنفان: أحدهما تصبغ به الثياب اللطاف بعد أن يدبر ورقة كما يدبر ورق السحاي ويطبخ في القدور ويعقد ويستعمل في صبغ الثياب، قال في الليلاب هو حب النيل»[8]. وذكر الغافقي «هو النيلج والذي يستعمله الصباغون، وعندنا هو العظلم وليس هو الذي ذكره ديسقوريدس، والذي ذكره ديسقوريدس يسمّى عندنا في الأندلس السماني، وقلما يستعمل ببلاد

---

(١) المخصص ١١/ ٢١٣.
(٢) لسان العرب ١٢/ ١٥١.
(٣) المصدر نفسه ٩/ ١٨٣.
(٤) ابن البيطار، جامع الأدوية المفردة ٤/ ٢٠٢.
(٥) لسان العرب ٩/ ١٨٣.
(٦) المدوّنة ٢/ ١٢٢.
(٧) حكاية أبي القاسم ٣٧.
(٨) ابن البيطار ٢/ ٣٠٦.

الروم. وقد يستعمل أيضاً بغربي بلاد الأندلس»[1]. ويذكر في موضع آخر من كتابه «عظلم، قال بعض علمائنا هو الوسمة»[2]. ويذكر أيضاً «وسمة هي ورق النيل»[3]. يكثر إنتاج النيل في كابل، فيذكر ابن حوقل أنه «يباع بها النيل في كل حول مما يعمل بقصبتها وسوادها دون الباقي منه بأيدي التجار على ما يذكره تجارهم بألفي ألف دينار وزائدة، والذي شاهدت دون ذلك»[4].

كما يذكر عن زغر، وهي مدينة على البحر الميت متصلة بالبادية صالحة الخيرات وفيها من النيل والتجارة ما لا يقصر عمّا بكابل من صناعته وعمّاله، غير أنه يقصر عن صباغ نيل كابل[5].

أما اللون البنفسجي، فلم يرد ذكره إلا في نص واحد ورد في الأغاني، حيث يقول: «دخل حمزة بن أبيض على سليمان بن عبد الملك، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

رأيتك في المنام شنت خزاً   على بنفسجاً وقضيت ديني

فقال يا غلام ادخله خزنة الكسوة واشتت عليه كل ثوب بنفسجي فيها»[6].

اللون الأصفر:

اللون الأصفر من الألوان التي أوردت المصادر ذكرها في الملابس في العهود الإسلامية الأولى. فقد ورد في الأحاديث النبوية ذكر لقميص أصفر[7]، وثوب أصفر[8] والملاءة الصفراء[9]، والملحفة الصفراء[10].

---

(١) ابن البيطار ٤/١٨٦.
(٢) المصدر نفسه ٣/١٢٧.
(٣) المصدر نفسه ٤/١٩٤.
(٤) ابن حوقل ٢/٤٥٠.
(٥) المصدر نفسه ١/١٨٤.
(٦) الأغاني ١٥/٢٥.
(٧) البخاري، الجهاد ١٨٨.
(٨) النسائي، استئذان ٣٣.
(٩) النسائي، لباس ٤.
(١٠) ابن ماجة، طهارة ٨٢، لباس ٢٢.

وذكرت المصادر أنواعاً من الملبوسات المصبوغة بالأصفر، ومنها مطرف خزّ كان يلبسه محمد بن الحنفية[(١)]، وابن سلمة[(٢)]، والشعبي[(٣)]، ومحمد بن علي[(٤)]. ومنها الإزار وكان يلبسه عمر بن الخطاب[(٥)]، والإمام علي[(٦)]، وابراهيم النخعي[(٧)]، والوليد بن يزيد[(٨)]، وثوب كان يلبسه عمر بن الخطاب[(٩)]، وابن عمر[(١٠)]، والوليد بن يزيد[(١١)]، وملحفة كان يلبسها عمر بن الخطاب[(١٢)]، ومحمد بن الحنفية[(١٣)]، ورداء كان يلبسه عروة بن الزبير[(١٤)]، والوليد بن يزيد[(١٥)]، وجبّة كان يلبسها القاسم بن محمد[(١٦)]، ومحمد النفس الزكية[(١٧)]، ومحمد بن علي[(١٨)]، وملاءة كان يلبسها كل من عثمان بن عفان[(١٩)]، وابراهيم النخعي[(٢٠)]، وجرير الشاعر[(٢١)]، ودراعة صفراء كان يلبسها أحد الفرسان[(٢٢)]، وغلالة كانت تلبسها جارية[(٢٣)]، وقلنسوة كان يلبسها محمد النفس الزكية[(٢٤)].

---

(١) ابن سعد ٥/٤٨ عيون الأخبار ١/٢٩٨.
(٢) ابن سعد ٥/١١٦.
(٣) المصدر نفسه ٦/١٧٦.
(٤) الكافي ٦/٤٥٠.
(٥) ابن سعد ٣-١/٢٥٢.
(٦) المصدر نفسه ٣-١/٢٠.
(٧) المصدر نفسه ٦/١٩٦-٧.
(٨) الأغاني ٢/٢١٠، ٦/٧٩.
(٩) ابن سعد ٥/١٣٤.
(١٠) المصدر نفسه ٤-١/١٢٨.
(١١) الأغاني ٢/٢١٠،٦/٧٩.
(١٢) ابن سعد ٣-١/٢٣٧.
(١٣) المصدر نفسه ٥/٨٤.
(١٤) المصدر نفسه ٥/١٣٤.
(١٥) الأغاني ٢/٢١٠،٦/٧٩.
(١٦) ابن سعد ٥/١٤٢.
(١٧) الطبري ٣/١٩٦.
(١٨) الكافي ٦/٤٥٠.
(١٩) أنساب الأشراف ٥/٤.
(٢٠) ابن سعد ٦/١٩١.
(٢١) الأغاني ٨/١٥.
(٢٢) المصدر نفسه ١١/١٧١،٧/١٠٢.
(٢٣) المصدر نفسه ٤/٢٧٥.
(٢٤) الطبري ٣/١٩٦.

ويذكر ابن منظور: «ويقال شعار مضر كان في الحروب العمائم والرايات الحمر، ولأهل اليمن الصفر»[(١)]. وقد اتخذ اليمانيون الذين ثاروا في العصر الأموي اسم القحطاني شعار الصفرة. ويذكر الجاحظ: «أما قولهم في الأصفر القحطاني فلا ندري أي المعاني أرادوا: الصفرة التي تنسب إليها الألوان أم اصفرار الجلدة كجلد جرادة مروان. وقد خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ويزيد بن المهلب على تحقق الرواية في الأصفر القحطاني، ولم يكن بين ألوانهما وبين الصفرة سبب، وخرج على ذلك ثابت بن نعيم الغامدي بالشام، وكان كأنه لم يرَ مغموساً في الورس»[(٢)].

وفي القرن الرابع الهجري، كان من الألبسة الشنعة الألوان التي لا يستحسن من الرجال «الملحم الأصفر فهي من لبس النساء، ولبس الفتيات والإماء»[(٣)]. وكان الخف الأصفر من لباس العلية، فيروي الجاحظ: «عبد الملك بن مروان كان إذا لبس الخف الأصفر لم يلبس أحد من الخلق خفاً أصفر حتى ينزعه». كما ذكر أن ابراهيم بن المهدي لما أعلن نفسه خليفة خرج للناس في خف أصفر[(٤)].

ومن الألوان الصفراء اللون، الأتحمي، وهي برود. يروي الفراء أنها مخلّطة بالصفرة، ويرى غيره أنها حمراء، والبرد المذهّب هو أرفع الأتحمي[(٥)]. وقد ورد في أحد الأبيات الشعرية ما يدل على أن الأتحمي كان لونه أصفر.

صفراءُ متحمةٌ حيكت نمانمُها   من الدمقسيّ أو من فاخرِ الطوطِ[(٦)]

ويطلق على الخزّ الأصفر الردن[(٧)].

---

(١) لسان العرب ٧/٢٦.
(٢) البرصان والعرجان ٩٩-١٠٠.
(٣) الموشى ١٧٩.
(٤) التاج ٤٧-٤٨.
(٥) لسان العرب ١٢/٣٣٠.
(٦) ديوان الهذليين ٢/١٤٦، المخصص ٤/٧٣، لسان العرب ١٢/٣٣٠.
(٧) لسان العرب ١٧/٣٦.

ومن الألوان الصفراء الهروية، فيقول ابن منظور: «هرى فلان عمامته تهرية إذا صفّرها».

وقال ابن قتيبة: «هري العمامة لبسها صفراء. ابن الأعرابي: ثوب إذا صبغ بالصبيب، وهو ماء ورق السمسم، ومهري أيضاً إذا كان مصبوغاً كلون المشمش والسمسم. وكانت سادات العرب تلبس العمائم صفراً، وكانت تحمل من هراة مصبوغة، فقيل لمن لبس عمامة صفراء قد هرى عمامته، يريد أن السيد هو الذي يتعمّم بالعمامة الصفراء دون غيره»[1]. ويذكر الثعالبي أن الأزهري يزعم «أن تلك العمائم المهراة كانت تحمل إلى بلاد العرب من هراة»[2].

الممصّرة:

ومن الألوان الصفراء الممصّرة. فينقل ابن منظور عن القتبي: «الممصّرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة»[3]. ويقول أيضاً: «الممصّر الطين الأحمر، وثوب ممصّر مصبوغ بالطين الأحمر أو بحمرة خفيفة، وفي التهذيب ثوب ممصّر مصبوغ بالعشرق، وهو نبات أحمر طيّب الرائحة تستعمله العرائس: وأنشد: مختلطاً عشرقه وكركمه. أبو عبيد: الثياب الممصّرة التي فيها شيء من صفرة ليست بالكثيرة، وقال أبو سعيد: التمصير في الثياب التي تمشق تخرّقاً من غير بلى»[4]. وممن ذكر أنه لبس رداءً ممصّراً، القاسم بن محمد[5]، وكل من الخليفة عثمان[6] وعمر بن أبي ربيعة[7] ورجل ذكره الأصفهاني[8]. وكان محمد بن علي يقول: «إن آل محمد يلبسون بعض المصبغات ومنها الممصّر»[9].

---

(١) لسان العرب ٢٠/٢٣٧، وانظر عن الصبيب لسان العرب ٢/٦.
(٢) فقه اللغة ٢٤٢.
(٣) لسان العرب ٤/٤٤٧.
(٤) المصدر نفسه ٧/٢٤-٥، وانظر عن العشرق، لسان العرب ١٢/١٢٤.
(٥) ابن سعد ٥/١٤٢.
(٦) المصدر نفسه ٣ ـ ١/٣٩.
(٧) الأغاني ١/٧٢.
(٨) المصدر نفسه ١٩/٣٨.
(٩) ابن سعد ٥/٣٦.

الهرد والكركم:

ومن الأصباغ الصفراء للملابس الهرد والكركم، فيقول ابن منظور: «الهرد العروق التي يصبغ بها»... وثوب مهرود في حديث نبوي جاء فيه أنه «ينزل عيسى ابن مريم في ثوبين مهرودين أي مصبوغين بالهرد[1]، وأن عيسى ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودين»[2].

وقد أورد ابن البيطار بعض التفاصيل عن اختلاف التسميتين، فقال: «الكركم المعروف عندنا عروق يؤتى بها من الهند، ويسمّى القرد بالفارسية، وقال ابن حسان يسمّى الهرد، وأهل البصرة يسمّونها الكركم»[3]. ويقول أبو حنيفة: «وقد صرف وقيل كركم ثوبه وقال البعيث في وصف القطا:

سماوية كدر كأن عيونها ... يداف بها ورسٌ حديثٌ وكركمُ»[4]

ينقل ابن منظور عن الأزهري: «قرأت بخط شمر لأبي عدنان: أخبرني عالم من أعراب باهلة الثوب المهرود والذي يصبغ بالورس ثم الزعفران، فيجيء لونه مثل لون زهرة الحَوْذانة، فذلك الثوب المهرود، ويروى في ممصّرتين، ومعنى الممصّرتين والمهرودتين واحد، وهي المصبوغة بالصفرة من زعفران أو غيره»[5].

ويقول ابن البيطار إن «الكركم هو الزعفران، شبّهوه بالزعفران، لأنه يصنع صبغاً أصفر كما يصبغ بالزعفران، ويؤتى به من جزائر الهند واليمن، وزعم قوم أنه أصول الورس وقيل إن الورس صنف آخر منه»[6]. ويقول أبو حنيفة عن الزعفران: «وقيل هو عجمي معرب، والكركم عجمي»[7]. إن إقران الكركم

(١) الترمذي فتن ٥٩، وانظر المخصص ١١/٢١١، لسان العرب ٤/٤٤٧.
(٢) ابن ماجة فتن ٣٣، صحيح مسلم فتن ١١٠، ابن حنبل ٤/٣٨٢.
(٣) ابن البيطار ٤/٦٥.
(٤) المخصص ١١/٢١١.
(٥) لسان العرب ٤/٤٤٧. ويقول الأزهري إن «الحوذانة نبتة لها نور أصفر طيب الرائحة».
(٦) ابن البيطار ٤/٦٥.
(٧) المخصص ١١/٢١١.

بالزعفران راجع إلى تشابه لون صبغها، وليس لترادفها، فالكركم يجلب من الهند واليمن، أما الزعفران، فنبات آخر.

الزعفران:

أشار ابن سيده إلى الفرق بين الكركم والزعفران، حيث قال: «الكركم غير الزعفران، والكركم عيدان معروفة يستغنى بشهرتها عن الشاهد عليها، لونها كلون الورس سواء وهما مباينان للون الزعفران، وهما أصفران فاقعان، وكلما زيد صباغهما نصعا، وصبيب الزعفران أيضاً أصفر، فإن زيد من صبغه رهقته كدره فإن آخر طرفيه شاكل السواد ولون الزعفران أحمر»[١]. ويتبيّن من هذا النص تقارب ألوان الكركم والورس والزعفران، وأنها جميعاً ذات لون أصفر، غير أن صفرة الورس والكركم أصفى وأنقى. والواقع أن الورس أكثر الأصباغ ذكراً في المصادر، وبخاصة في ما يتعلق بملبوسات أهل الحجاز. وكثيراً ما يُذكران معاً، فذكر ابن السكيت: «الأصفران الورس والزعفران»[٢]. وقد ورد ذكر صفرة الورس في عدة أحاديث نبوية[٣]. وكان خضاب الصحابة الورس والزعفران[٤]. ومن مظاهر تقاربهما اختلاط بعض الأسماء بينهما فيقول ابن سيده: «الغمر والزعفران وقيل الورس»[٥]. ويذكر ابن منظور: «العبير الزعفران وقيل الورس»[٦].

ويبدو أن الزعفران كان واسع الشيوع في الجزيرة بعامّة وفي الحجاز بخاصّة، وذلك لكثرة تردّد ذكره في المصادر، وكثرة أسمائه في اللغة العربية. فقد ذكر ابن سيده من أسمائه: «الريهقان، والعبير، والخلوق، والجادي، والفيد، والقمحان، والغمر، والمردقوش، والقرمد»[٧]. ويقول ابن الأعرابي: «يقال للزعفران الريهقان والجادي والجساد»[٨].

---

(١) المخصص ١١/ ٢١١ .
(٢) المصدر نفسه ١١/ ٢٠٩.
(٣) انظر الدارمي وضوء ١٠٥، أبو داود الترجّل ١٩، النسائي الزينة ٦٥.
(٤) ابن حنبل ٣/ ٧٢١، وانظر أيضاً أبو داود، الترجل ١٩، النسائي الزينة ٦٥.
(٥) المخصص ١١/ ٢١١.
(٦) لسان العرب ٦/ ٢٨٨.
(٧) المخصص ١١/ ٢١١-٢١٢، وانظر عن العبير، لسان العرب ٦/ ٢٨٨ .
(٨) لسان العرب ٤/ ٩٢ .

أوردت كتب اللغة معلومات أوفى عن الجساد، فيقول الثعالبي: «ثوب مجسّد إذا كان مصبوغاً بالجساد وهو الزعفران»[1]. وينقل ابن سيده عن أبي عبيدة أن «الجسد والجساد الزعفران، ومنه قيل للثوب مجسّد، ومجسّد إذا صبغ بالزعفران». وعن أبي حنيفة الدينوري: «ثوب مجسّد إذا كثر فيه الزعفران حتى يجف فيقوم قياماً، ومنه يقال للدم إذا جف جاسد»[2]. أما ابن منظور، فيذكر نصوصاً يدل بعضها على أن كلمة المجسّد لا تقتصر على الزعفران وحده. يقول: «الجسيد الدم اليابس وقد جسد، ومنه قيل الثوب مجسّد إذا صبغ بالزعفران».

ابن الأعرابي: يقال للزعفران الريهقان والجادي والجساد. الليث: الجساد الزعفران ونحوه من الصبغ الأحمر والأصفر الشديد الصفرة. وأنشد: «جساد من لونين ورس وعندم». الثوب المجسد هو المشبع عصفراً أو زعفران، والمجسد الأحمر، يقال على خلاف ثوب مشبع من الصبغ وعليه ثوب مفدم، فإذا قام قياماً من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان إجساداً فهو مجسد. وفي حديث أبي ذرّ أن امرأته ليس عليها أثر الجاسد. ابن الأثير: «هو جمع مجسد وهو المصبوغ المشبع بالجسد، وهو الزعفران والعصفر والجسد الجساد الزعفران أو نحوه من الصبغ . وثوب مجسد مصبوغ، وقيل هو الأحمر، والجسد ما أشبع صبغه من الثياب والمجاسد جمع مجسد وهو القميص المشبع بالزعفران»[3].

ومن خصائص صبغ الزعفران أنه إذا مسّه الماء ظهرت رائحته[4].

لم يكن لبس المصبوغ بالزعفران مباحاً للمحرم، فيقول الشافعي: «ثم أقاويل أكثر مما حفظت عنه من أهل العلم تدبّ على الرجل والمرأة المحرمين يجتمعان في اللبس ويفترقان. . . فأما ما يجتمعان فيه يلبس واحد منهما ثوباً مصبوغاً بزعفران ولاورس، وإذا لم يلبس أحدهما ثوباً مصبوغاً بزعفران ولا

(١) فقه اللغة ٢٤٢.
(٢) كتاب النبات ١٧١، المخصص ١١/ ٢١١.
(٣) كتاب النبات ١٧٢، لسان العرب ٤/ ٩٢.
(٤) الأم ٢/ ١٢٧.

ورس، لأنهما طيب وكذلك لو صدق زعفران حتى يبيضّ لم يلبسه المحرمان، وكذلك لو غمس في نضوح أو صباع (صباغ؟) أو غير ذلك لو صعد له زعفران حتى يبيَضّ لم يلبسه المحرمان»[١]. ويروي ابن عمر: «سمعت رسول الله (ص) ينهى النساء في الأحرام عن القفاز والنقاب وما مسّ الورس والزعفران في الثياب»[٢]. وفي الصحاح الستة أحاديث عن عدم جواز لبس المحرم المصبوغ بالورس والزعفران[٣]. وهذا يدلّ على أنه من لباس الترف، وممّا يؤيّد ذلك قول الجاحظ: «أهلك النساء الأحمران الذهب والزعفران»[٤]. أما في الأحوال الاعتيادية فقد كانت الألبسة المصبوغة بالزعفران منتشرة بين الصحابة والتابعين وغيرهم من المسلمين، وكانت تصبغ به مختلف الملبوسات فقد كان ابن عمر «يلبس الثوب المصبوغ بالمشق والثوب المصبوغ بالزعفران»[٥].

وذكرت المصادر إزاراً مصبوغاً بالزعفران يلبسه الرسول[٦]، والوليد بن يزيد[٧] والحسين[٨]، والقاسم بن محمد[٩]؛ ودراعة مصبوغة بالزعفران يلبسها معبد[١٠]، وإحدى الجواري[١١].

كما ذكر ممّا يصبغ بالزعفران الدرع[١٢]، والملحفة[١٣]، والخمار[١٤]. غير أن أكثر ما يصبغ بالزعفران هو العمائم. فيذكر ابن دريد «كانت سادة العرب

(١) ابن حنبل ٢/ ٢٢.
(٢) البخلاء ٩٨.
(٣) انظر فنسنك مادة (زعفران).
(٤) البخلاء ٩٨.
(٥) الموطأ ٢/ ٢١٥، المدوّنة ١٠ / ١٦٩، ابن سعد ٤/ ١٣٤، ابن حنبل ٦/ ٩٥.
(٦) عيون الأخبار ١/ ١٩٨.
(٧) الأغاني ٢/ ٢١٠، ٦/ ٧٩.
(٨) أنساب الأشراف ٤-٢ / ٢٢.
(٩) ابن سعد ٥/ ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤.
(١٠) الأغاني ١/ ٤٦.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٢٨١.
(١٢) الكامل للمبرد ٦٠٣.
(١٣) الدارمي أدب ١٢٨.
(١٤) ابن حنبل ٦/ ٩٥، ١٤٥؛ ابن ماجة ٤٨.

تصبغ عمائمها بالزعفران»[1]. وينقل الكليني عن أبي جعفر الصادق أنه قال «صبْغنا البهرمان، وصبْغ بني أمية الزعفران»[2].

وفي القرن الرابع الهجري، لم يكن يستحسن من ذي المروءة «لبس الثياب الشنعة الألوان المصبوغة بالطيب والزعفران، مثل الملحم الأصفر والدبيقي والمعتبر، لأن ذلك من لبس النساء ولبس القينات والإماء»[3].

يروي فقهاء العراق «أن تأخذ الزكاة عما يكتب له غلّة في أيدي الناس من الزعفران ونحوه لما بلغ فيما خرج كمن ذلك خمسة أوسق أدنى ما يخرج من الأرض»[4]. وهذا قد يدلّ على انتشار زراعته.

وبالرغم من استعمال الزعفران في الجزيرة العربية بعامة وفي الحجاز بخاصة في عصر الرسول، فإن المصادر لم تذكر زراعته في الجزيرة العربية، ممّا يدل على أنه كان يُستورد إليها. وأشهر المناطق التي عرفت بزراعة الزعفران في العصور الإسلامية التالية، هي:

١- الروذروار وهو «إقليم حسن وناحية شريفة ينبت فيها الزعفران الذي ليس بجميع الأرض له شبه وهو رستاق كبير وعظيم يزرع فيه الزعفران مشهور المحل والمقدار، والمعتبر منه يعتبر بموضع يعرف بكرج الروذراور، ويرتفع منها من الزعفران ما لا يرتفع من غيرها من الجبال فيتجهز إلى العراق وسائر النواحي لكثرة وجوده»[5].

٢- نهاوند، فيذكر المقدسي أن بها مزارع الزعفران[6]. ويقول ابن حوقل: «إليها يرتفع الزعفران من الروذراور»[7].

(١) الاشتقاق ٧٧.
(٢) الكافي ٦/٤٤٨.
(٣) الموشى ١٧٩.
(٤) الحجج للشيباني ١٢٧.
(٥) ابن حوقل ٢/٣٦٨.
(٦) أحسن التقاسيم ٣٩٣.
(٧) ابن حوقل ٢/٣٦٨.

٣- الدينور «وبها زعفران كثير»[١].

٤- قم[٢].

٥- أصفهان، يذكر الجاحظ أن بأصفهان الزعفران[٣]. ويقول ابن رسته: «وبها من الزعفران وإن كان في غيرها من البلدان موجوداً فإن فضله على كل من سار الموقع منه ظاهر، لأنه أزكى رائحة وأبين نفعاً وأشبع صبغاً في كل ما يستعمل ولا يبتاع في شيء من المواسم والأسواق التي يجلب إليها شيء منه ما يوجد زعفران»[٤]. وكتب الحجاج لأحد ولاته أن أصفهان حشيشها الزعفران والورود[٥].

٦-واشجرد وشومان «يرتفع منهما زعفران كثير يحمل إلى كثير من النواحي والبلدان»[٦].

الورس:

ذكرنا من قبل قول ابن سيده: «الأصفران الورس والزعفران»[٧]. ويقول الثعالبي: «ثوب إذا كان مصبوغاً بالورس وهو أخو الزعفران»[٨]. ويقول ابن حوقل: «الورس وهو نبات أحمر في معنى الزعفران»[٩]. وفي المصادر نصوص أخرى تذكر الصفرة في الورس والزعفران، فقد جاء في حديث نبوي: «فليغيّره في صفرة ورس أو زعفران»[١٠].

(١) ابن حوقل ٢/٣٦٨.
(٢) لطائف المعارف ١٨٣، ٢٨٩؛ ثمار القلوب ٥٣٧.
(٣) التبصّر بالتجارة ٢٥.
(٤) الأعلاق النفيسة ١٥٧.
(٥) محاسن أصفهان للمافروخي ٧، أصبهان لأبي نعيم ١/٣٧، لطائف المعارف ١٨١.
(٦) الاصطخري ١٦٢، ١٦٧؛ ابن حوقل ٢/٤٧٧.
(٧) المخصص ١١/٢٠٩.
(٨) فقه اللغة ٢٤٢.
(٩) ابن حوقل ١/٣٧.
(١٠) الدارمي: وضوء ١٠٥.

كما ورد ذكر تصفير اللحية بالورس والزعفران[1]. والورس أصفر خالص الصفرة، ويقال للشيء بصفر قد أورس كأنه الورس[2]. وقد ورد الورس في عدة أحاديث ذكر في جميعها مع الزعفران[3]. كما ذكرا معاً في بعض كتب الفقه[4]. غير أن أحاديث كثيرة ورد ذكر الزعفران فيها منفرداً ممّا قد يدلّ على أن الورس كان أقلّ انتشاراً من الزعفران. غير أن تردُّد ذكره وكثرة أسمائه يدلان على أنه كان واسع الانتشار أيضاً، وإن كان بدرجة أقلّ من الزعفران.

والورس يسمّى أيضاً الحصى[5]. أما النوع الجيد منه فيسمّى القنديد[6]. وفي العربية كلمات اختلف اللغويون في إطلاق كل منها على الزعفران أو الورس مثل العنبر[7].

والورس من أصباغ الزينة، وكان مالك يكرهه للمحرم[8].

وقد ذكرت ملحفة مورّسة على عائشة[9]. كما ذكر الأغاني دراعة مورّسة[10]. ويقول أبو حنيفة الدينوري: «الورس ليس ببرّي يزرع سنة فيجلس عشر سنين، أي يقيم في الأرض ولا يتعطل. ونباته مثل السمسم فإذا جف عند إدراكه تفتت خرائطه فينفض منه الورس»[11]. ويقول أيضاً: «الورس ضربان: البادرة والعتيقة، فالبادرة التي لم يعتق شجره، وهو الأفضل؛ والعتيقة، الذي يعتق شجره وقيل البادرة الحديث النبات وفي صبغه حمرة، والآخر الحبشي لسواده. وهو آخر الورس وقيل هو أصفر خالص الصفرة»[12].

(1) أبو داود ترجل ١٩، النسائي الزينة ٦٩.
(2) المخصص ١١/ ٢٠٩.
(3) انظر فنسنك مادة (ورس).
(4) انظر المدوّنة ١٠/ ١٦٩، الأم ٢/ ١٢٦.
(5) كتاب النبات ١٦٦، المخصص ١١/ ٢٠٩.
(6) المخصص ١١/ ٢١١، لسان العرب ٤/ ٣٧١.
(7) المخصص ١١/ ٢١١ لسان العرب ٦/ ٢٨٨.
(8) المدوّنة ٢/ ١٢٢.
(9) ابن سعد ٨/ ٥١.
(10) الأغاني ٢/ ١٨١.
(11) كتاب النبات ١٦٥، لسان العرب ٨/ ١٤١.
(12) كتاب النبات ١٦٥.

ويقول النويري به الورس «هو ما يسقط بأرض الصين والهند والحبشة وأرض اليمن، وعلى ورق مشجّر، يأكل الباذروج فتجمع الشجرة بما عليها منه وتلقى في الشمس حتى تنشف ثم تنفض على أنطاع الأدم فيسقط ورقها عليه الورس متعلقاً به ولونه أحمر، فإذا طحن صار أصفر، وأجوده الهندي ثم الحبشي ثم اليماني»[1].

إن قول النويري إن الورس يسقط بأرض الصين والهند والحبشة لم يرد في المصادر الأخرى التي نردد، وبخاصة القديمة منها، أن الورس يُزرع في اليمن، فيقول الأصمعي: «أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن: الورس والكندر والخطر والعصب»[2]. ويقول الجاحظ: «من اليمن الكندر والورس والخطر»[3]. ويقول الثعالبي «الورس لا يكون إلا باليمن»[4]. ويقول ابن منظور: «الورس نبت أصفر يكون باليمن»[5]. ويذكر ابن خرداذبه أن ممّا يجيء من اليمن الورس. ويذكر اليعقوبي أن «الحسين أقبل حتى مرّ بالتنعيم فلقي بها عيراً قد أقبل بها من اليمن بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية، وكان عامله على اليمن وعلى العير والورس والحلل ينطلق بها إلى يزيد»[6]. ويقول الأصبهاني: «وكانت جمال عمان تحمل الورس من اليمن إلى عمان فتصفر»[7].

وذكرت المصادر المناطق التي يزرع فيها الورس في اليمن:

١- يذكر الديثوري: «اخبرني ابن بنت عبد الرزاق قال: الورس عندنا في اليمن بحفاش وملحان، وبطنام، وشجنان، وبالرقعة ونجران، وبهوزن، وبجبال أبي جعفر كلها»[8].

---

(١) نهاية الأرب ١١/ ٣٢٥.
(٢) عيون الأخبار ٢/ ١٠٩.
(٣) التبصّر بالتجارة ٢٢.
(٤) فقه اللغة ٢٤٢.
(٥) لسان العرب ٨/ ١٤١، المسالك ٧١.
(٦) التاريخ ٢/ ٢٧٧.
(٧) الأغاني ١٧/ ٨١.
(٨) كتاب النبات ١٦٥.

٢- واديا شيعان موضع، وهما في مخلاف اليحصبان قرب المعافر «وفيهما الورس الناهي»[١].

٣- نشق، وهي همدان «بلدة كثيرة الورس والزرع والعسل»[٢].

٤- وادي الجنات وهو يقع في الجنوب الغربي من اليمن ويصب في جهة باب المندب «وهو كثير السيول والمآجل والمسايل، فيه الأعناب والورس مختلطة في أعاليه»[٣].

٥- المذيخرة وهو جبل في أعلاه مزارع ومياه، وفيه ينبت الورس[٤].

٦- دامغ وهو ما بين صنعاء وذمار، كثير الأنهار الجارية وكان يصلح فيه أيام حمير شجر الورس وسائر الفواكه[٥].

٧- عدن يذكر المقدسي أن ورسها مشهور[٦].

اللون الأحمر:

اللون الأحمر من الألوان الشائعة عند العرب. وقد قالوا: «الحمرة ثياب الشهرة». وقال العتابي: «جمال كل مجلس أن يكون سقفه أحمر، وبساطه أحمر»[٧]. وكان العرب إذا سوّدوا رجلاً عمّموه عمامة حمراء[٨]. وكانت التيجان للملوك والعمائم الحمر للسادة من العرب. قال الأزهري: «كان يحمل إلى البادية من هراة عمائم حمر يلبسها أشرافهم»[٩].

---

(١) صفة جزيرة العرب ٦٨، ١٠١.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه ٧٦.
(٤) ابن حوقل ١/٣٧، وانظر المستبصر ٢/ ١٨٣.
(٥) الإكليل ٨/٧٣.
(٦) أحسن التقاسيم ٩٨.
(٧) الحيوان ٥/٩٥.
(٨) لسان العرب ١٥/ ٢٢٠.
(٩) المصدر نفسه ٢/٩٧.

والأحمر هو لون عدة منسوجات وأقمشة: ومنها القطرية[١]، والتزيدية[٢]. ويقول ابن منظور إن فيها خطوطاً حمراء[٣]. والوصائل وهي ثياب حمراء يؤتى بها من اليمن[٤]. وقد ورد في بعض الأحاديث أن الرسول (ص) استعملها[٥]. ويروي ابن حنبل عن ابن عباس أن الرسول نهاه عن لبس الحمرة[٦]. وفي رواية أخرى نهاه عن الميثرة الحمراء[٧]. والعقل ضرب من الواشي وفي المحكم من الواشي الأحمر، وقيل هو ثوب أحمر يجلّل به الهودج[٨]. وكانت اللبود المغربية حمراء[٩]. والملاحف وقد استعملها علي بن الحسين[١٠]، ومحمد بن علي[١١]، وابراهيم النخعي[١٢]، وابراهيم التميمي[١٣]. والعمائم وقد لبسها الشعبي[١٤]. كما لبس عمامة لها علم لونه أحمر كلّ من سعيد بن المسيّب[١٥]، ومحمد بن علي[١٦]. ويقول ابن منظور عن مضر: «ويقال كان شعارهم في الحرب العمائم والرايات الحمر»[١٧]. وذكر أبو فرج الأصفهاني أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك «ضرب له سرادق من حبرة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن، وفيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خزّ أحمر مثلها مرافقها، وعليه دراعة خزّ أحمر مثلها عمامتها»[١٨]. ويقول القاضي الرشيدي: «وكان

---

(١) لسان العرب ٦/٤١٧.
(٢) ديوان الهذليين ١/١٠.
(٣) لسان العرب ٥/١٨٤.
(٤) المعاني الكبير٢/٩١٨.
(٥) انظر الترمذي ١/٤٥، ابن ماجة ٢/١٩٧.
(٦) ابن حنبل ١/١٥.
(٧) المصدر نفسه ١/١١٩.
(٨) لسان العرب ١٣/٤٩١.
(٩) التبصر بالتجارة ١٨.
(١٠) ابن سعد ٤/١٦١.
(١١) المصدر نفسه ٥/٢٣٦.
(١٢) المصدر نفسه ٦/١٨٦.
(١٣) المصدر نفسه ٥/١٧٦.
(١٤) المصدر نفسه ٦/ ١٧٦.
(١٥) المصدر نفسه ٥/١٠٢.
(١٦) المصدر نفسه ٥/٢٣٧.
(١٧) لسان العرب ٧/٢٦.
(١٨) الأغاني ٢/١٣٦.

هشام وبنو مروان يكسون الناس الخز إلا الأصفر والأحمر، ويكسونهم ما سوى ذلك من الألوان ويدّخرون الأحمر والأصفر لأنفسهم»[1]. ويذكر الأزدي أن مروان بن محمد في معركة الزاب كانت عليه «ثياب حمر»[2]. ولما ثار أبو محمد الأموي على العباسيين لبس الحمرة ودعا الناس[3]. غير أن هذا لا يعني أن شعار بني أمية كان الحمرة، أو أنهم احتكروه لأنفسهم.

ويذكر الكليني أن أبا جعفر قال: «صبغنا البهرمان وصبغ بنو أمية الزعفران»[4]. ومن المعلوم أن البهرمان أحمر والزعفران أصفر.

وفي القرن الرابع الهجري، كان «لبس المورد والأحمر والسنيري والأخضر إنما هو لبس النساء والنبطيات ولبس الإماء والمتقيات»[5]. ومن زيّ المتظرّفين وأهل المروءة والأدب أن يلبسوا تعالاً «يشرك أسودها بأحمر وأصفرها بأسود ويعيبون لبس الأحمر من الخفاف»[6].

وفي هذا القرن، جرت به العادة أن يكون جلوس الخليفة في الحفلات بألبسة رسمية منها[7]. ومما ينكر دخول الداخل إلى دار الخلافة بنعل أو خف أحمر ولا تكة حمراء، لأن الأحمر لباس الخليفة. «واتفق أن دخل ابن أبي الشوارب القاضي ـ وكان من جلّة القضاة وممّن يرجع نسبه إلى بني امية - دار المطيع لله رحمه الله بخف أحمر، ورآه المكنّى أبا الحسن بن أبي عمرو الشاربي الحاجب، وكانت بينهما عداوة، فقال له تأتي أيها القاضي إلى خليفة آبائك في العنادة المباينة. وعرف المطيع لله ذلك فلم ينكره، وانصرف ابن أبي الشوارب إلى داره واحتجب فيها ولم يخرج منها حينها كمداً، وكانت وفاته عقب هذه القصة»[8].

---

(1) الذخائر والتحف ٢١١.
(2) تاريخ الموصل ١٢٨.
(3) أنساب الأشراف ٣/١٧٠.
(4) الكافي ٦/٤٤٨، لسان العرب ١٤/٣٢٧.
(5) الموشى ١٨٤.
(6) المصدر نفسه ١٧٩.
(7) الصابي رسوم دار الخلافة ٩٠.
(8) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

ولا نعلم متى بدأت عادة لبس الخليفة الخف الأحمر في المناسبات الرسمية، ولا سبب منشئها.

ويقول الأزدي أن في سنة ١٣٣ «خرج أبو محمد السفياني فلبس الحمرة وهو وجنده»[١]. ولم يذكر مصدر آخر لون لباسه.

ويذكر الطبري في حوادث سنة ١٦٠ «ظهرت فيها المحمرة بجرجان، عليهم رجل يقال له عبد القهار فغلب على جرجان وقتل بشراً كثيراً، فغزاه عمرو بن أبي العلاء من طبرستان فقتل عبد القهار وولده»[٢]. وقد يدل الاسم العربي للقائد على أن هذه الفرقة لا علاقة لها بالخرمية[٣].

اشتهرت في التاريخ الإسلامي فرقة واحدة اتّخذت الحمرة شعاراً لها هي المحمرة. فيقول البغدادي عند كلامه على فرق المزدكية أن منهم «الخرمية، ظهروا في دولة الإسلام وهم فريقان: بابكية ومازيارية، وكلتاهما معروفة بالمحمرة. فالبابكية منهم أتباع بابك الخرمي الذي ظهر في جبل بناحية أذربيجان وكثر أتباعه. أما المازيارية فهم أتباع مازيار الذي أظهر دين المحمرة بجرجان»[٤]. ويقول السمعاني: «المحمرة طائفة من البابكية الخرمية»[٥]. ويذكر المسعودي الجاوذانية أصحاب جاوذان بن شهرك الخرمي صاحب بابك، وأن «المحمرة من الخرمية»[٦]. كما يذكر المحمرة والخرمية[٧]. ويقول الطبري أنه في سنة ٢٠١ «تحرّك بابك الخرمي في الجاويذانية أصحاب جاويذان بن سهل صاحب البذ وادّعى أن روح جاويذان دخلت فيه»[٨].

واللون الأحمر أنواع عرف عند العرب كثير منها وأطلقوا على كل منها اسماً خاصاً. وقد أجملها ابن منظور بقوله: «الأرجوان هو الشديد الحمرة، ولا

(١) تاريخ الموصل ١٤٢ وانظر مقال فاروق عمر، والألوان ودلالتها السياسية.
(٢) الطبري ٣/ ٤٩٣.
(٣) انظر صديقي، الحركات الدينية الإيرانية ٢٢٥ (بالفرنسية).
(٤) الفرق بين الفرق ١٦١.
(٥) التنبيه والإشراف ٣٠٦.
(٦) المصدر نفسه ٣٠٧.
(٧) المصدر نفسه ١٤٤.
(٨) الطبري ٣٠/ ١٠١٥.

يقال لغير الحمرة أرجوان، والبهرمان دونه بشيء من الحمرة، والمفدم المشبع حمرة، والمضرّج دون المشبع، ثم المورد بعده»[1]. وقال في موضع آخر المضرّج دون المفدم، وبعده الموّرد[2].

الأرجوان:

ورد ذكر الأرجوان في بعض الأشعار. فقال حميد بن ثور:

تخيّرنَ إمّا أرجواناً مهذّباً ... وإمّا سجلّاطَ العراقِ المختّما[3]

وقال آخر:

كأن الأرجوانَ على ذراها ... وديباجَ العراقِ دمُ نمير[4]

وهذا يدلّ على أن الأرجوان كان معروفاً بالعراق بكثرة. ويذكر أبو داود «الأرجوان الأحمر من الديباج وكانت مراكب العجم»[5].

ويروي ابن حنبل عن عمران بن حصين أن رسول الله (ص) قال لا أركب الأرجوان ولا ألبس القميص المكفّف بالزينة[6]. ويروي ابن حنبل أيضاً أنّ ابن عمر كان يحرّم العلم في الثوب، وميثرة الأرجوان وصوم رجب[7]. ويبدو من نص ابن حنبل أن النبي لم يحرّمه، ولكن ابن عمر هو الذي يرى أنه حرام، ولكن هذا النفور لم يصل حد امتناع الناس عن استعماله، فقد كان سعيد بن المسيّب يلبس برنس أرجوان يوم الأضحى[8]، وعثمان بن عفان غطّى وجهه بقطيفة حمراء أرجوان وهو مُحرم[9]. يقول البيروني: «قال ابن دريد في

(١) لسان العرب ١٤/٣٢٧.
(٢) المصدر نفسه ١٥/٢٤٦.
(٣) المصدر نفسه ٩/١٨٤.
(٤) ديوان الهذليين مقطوعة ٢٧١.
(٥) أبو داود ٤/٣٦.
(٦) ابن حنبل ٤/٤٤٢.
(٧) المصدر نفسه ١/٢٦.
(٨) الأم ١/٢٠٦، ابن سعد ٥/١٠٢.
(٩) لسان العرب ١٤/٣٢٧.

الأرجوان إنه فارسي معرب، وهو أشد الحمرة، ويقال له القرمز، وإنه إذا بولغ من نعت الحمرة مثل ثوب أرجوان وثوب بهرماني، والأرجوان لباس قياصرة الروم، وكان لبسه فيما مضى محظوراً على السوقة»[1]. أما البهرمان، فقد ذكرنا من قبل قول ابن منظور أنه دون الأرجوان بشيء من الحمرة[2].

ويقول الجاحظ: «وخير الياقوت البهرماني ثم الأحمر المورد ثم الأصفر ثم الإسمانجوني»[3].

ويذكر البيروني تفاصيل عن البهرمان ولونه الأحمر، فيقول: «الياقوت الأحمر، أجودُه الرمّاني ثم البهرماني ثم الأرجواني ثم اللحمي، ثم الجلّناري ثم الوردي»[4]. ويضيف البيروني بعد ذلك وقد قيل في الرمّاني والبهرماني أنهما صفتان لموصوف واحد، إلا أن الأول برسم أهل العراق، والآخر برسم أهل الجبل وخراسان... فإنه جعل البهرماني أعلى درجاته... وابتدأ بالوردي آخذاً من جنبه البياض إلى لون الورد، ووضع الخيري فوقه لفضل حمرته على الوردي، ثم البهرماني العصفري الخالص الذي لا يشوبه شيء من النشاستج الزردج، بتفاصيل من عند الأحمر إلى أن ينتهي إلى.. البهرماني. وقيل في كتاب مجهول إن خير اليواقيت البهرماني ثم المورّد، وقيل في الأرجواني إنه شديد الحمرة، فإن كان دون فهو بهرماني، والبهرمان هو العصفر، يقال ثوب مبهرم أي معصفر[5].

العصفر:

نقلنا أعلاه قول البيروني أن البهرمان هو العصفر. وقد ذكرت هذا عدة مصادر مما يدلّ على حمرة العصفر، فقال الجاحظ: «سواد السبج، بياض الثلج

(١) الجماهير ٣٧.
(٢) لسان العرب ١٤/٣٢٧.
(٣) التبصّر بالتجارة ٩.
(٤) الجماهير ٣٣.
(٥) المصدر نفسه ٣٤-٣٥.

وحمرة العصفر، صفرة الذهب»[1]. والعصفر من أكثر الألوان ذكراً في المصادر العربية التي ذكرت كثيراً من الألبسة المصبوغة به، كما أن كتب اللغة ذكرت له أسماء كثيرة، مما يدلّ على انتشار استعماله عند العرب في صدر الإسلام بخاصة. يقول الدينوري: «العصفر هو الذي يصبغ به، منه ريفي ومنه بري، وكلاهما ينبت بأرض العرب»[2]. غير أني لم أجد في المصادر العربية ذكراً للمناطق التي كان يزرع بها من جزيرة العرب بالتخصيص، علماً بأن كثرة استعماله تدلّ على مدى توفّره في الجزيرة العربية.

نقل البيروني: «قال السري في كتاب الشموم إن العصفر لغة حميرية، وقال حمزة العصفر معرب وفارسيته هسكو»[3]. يقول أبو حنيفة: «يقال للعصفر الإحريض والخريع واليهرم والبهرمان والمريق»[4]. ويدعى حب العصفر القرطم[5] وتدعى سلافة العصفر الجريال، والعرب تسمّي اللون الأحمر جريالاً؛ وقد جاء في قول الشاعر:

وسبيئةٍ ممّا تعتّقُ بابلٌ كدمِ الذبيحِ سلبتُها جريالُها

وهذا يؤيّد أن العصفر أحمر.

ويقول الدينوري: «وللعصفر شبابان، أحدهما القلي والآخر حب الرمان، والشباب ما يوقد لونه ويشده فيشبّه كما تشبّ النار، وبالسراة شجرة تسمّى الحلق تنبت نبات الكرم وترتقي في الشجر لها ورق حامض، فيؤخذ ورقها فتطبخ فيجعل ماءها في العصفر، فيكون خيراً له من حبّ الرمان، ويجفّف

(1) الحيوان ٥/٨.

(2) أبو حنيفة الدينوري، كتاب النبات ١٦٧. وانظر أيضاً لسان العرب ٧/٢٥٧، جامع الأدوية ٣/١٢٥.

(3) الجماهير ٣٥.

(4) كتاب النبات ١٦٨. وانظر أيضاً لسان العرب ٧/٢٥٧؛ جامع الأدوية ٣/١٢٥. وانظر عنت ترادف كلمة العصفر مع الإحريض، لسان العرب ٨/٤٠٤، جامع الأدوية المفردة ٤/٤٠٤. وعن الخريع، لسان العرب ٩/٤٢٢. وعن المريق، المخصص ١١/٢١٠، لسان العرب ١٢/٢١٨، جامع الأدوية المفردة ٤/١٥٤.

(5) المخصص ١١/٢١٠، لسان العرب ١٥/٣٧٦، جامع الأدوية المفردة ٣/١٢٥، ٤/١٥.

ورقها، فيحمل في البلاد لهذا من الشأن، وحبّ الرمان عندهم كثير، ولا سيما ما يكون منه بنواحي عمان في منتهى الجودة»[1].

أثار استعمال المعصفرات نقاشاً في الأوساط الدينية، فرويت بعض الأحاديث التي تدلّ على عدم إقرار استعمالها. فيروي هشام الدستوائي، بسند عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله (ص) رأى «على عبد الله بن عمرو بن العاص ثوبين معصفرين فقال من أمرك بهذا؟ فقال اغسلها يا رسول الله، فقال رسول الله أحرقها»[2]. ويذكر الجاحظ: «ورد في الحديث لا تبيتوا في المعصفر»[3]. ويروي أبو بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن أسامة بن زيد عن عبد الله بن حنين: «سمعت عليّاً يقول نهاني رسول الله، ولا أقول نهاكم عن الألبسة المعصفرة»[4]. ويروي عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه: «أقبلنا مع رسول الله (ص) من ثنية فالتفت إلي وعليّ ريطة مضرّجة بالعصفر، فقال ما هذا، فعرفت ما كره، فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورهم فقذفتها فيه، ثم أتيته من الغد فقال يا عبد الله للنساء ما فعلت الريطة فأخبرته، فقال ألا كسوتها بعض أهلك، فإنه لا بأس بذلك».[5] ويروى عن مالك أنه يقول «في الملاحف المعصفرة في البيوت للرجال وفي الأفنية قال لا أعلم من ذلك شيئاً حراماً، وغير ذلك من اللباس أحب إليّ»[6]. «وكان يكره مالك الورس والزعفران والعصفر والمفدم الذي ينتفض، ولم ير بالمشق والمورد بأساً»[7].

ويروي ابن سعد عن أبي جعفر محمد بن علي: «قال إنا آل محمد نلبس الخزّ والعصفر والممصّر واليمنة»[8]. ويروي عن أبي جعفر أنه قال: «إنا نلبس

---

(1) كتاب النبات ١١٧٠، وانظر أيضاً المخصص ١١/٢١٠، لسان العرب ١٢/٣٥٢.
(2) ابن سعد ٤-٢/١١.
(3) الحيوان ٤/٥٧.
(4) ابن ماجة ٢/١٩٧، الكافي ٦/٤٤٧.
(5) ابن ماجة ٢/١٩٧.
(6) الموطأ٢/٢١٥.
(7) المدوّنة ٢/١٢٢.
(8) ابن سعد ٥/٢٣٦.

المعصفرات والمضرجات»[1]. وإنه قال: «صبغنا البهرمان وصبغ بني أمية الزعفران»[2]. ويقول الكليني: «لا بأس بالمعصفر»[3]. والواقع أن العرب وبخاصة في الحجاز، كانوا يستعملون المعصفر بدليل كثرة ذكر المصادر وبخاصة كتب الفقه للألبسة المعصفرة .فقد ذكرت هذه المصادر الثياب المعصفرة وقد لبسها كلّ من عمر بن الخطاب[4]، ومحمد بن الحنفية[5]، وخارجة بن يزيد[6]، وعروة بن الزبير[7]، والقاسم بن محمد[8]، وعمر بن أبي ربيعة[9].

وقد ورد ذكر الرداء المعصفر، كان على عروة بن الزبير[10] وعلى جارية لسليمان بن عبد الملك التي كانت تلبس غلالة معصفرة[11]. كما ذكرت الريطة المضرّجة بالعصفر[12].

وذُكرت المفدمة[13] والمشبعة[14]. ويذكر الوشاء أنه في القرن الرابع الهجري كان المتظرفون وذوو المروءة يلبسون في المضد والعلاجات ووقت الشراب والخلوات الأزر المعصفرة[15].

أما في الإحرام فقد وردت إشارات متناقضة عن استعماله، فقد قال مالك: «أكره الثوب المفدم بالعصفر للرجال والنساء أن يحرم في ذلك، قال لأنه

---

(١) الكافي ٦/٤٤٧.
(٢) المصدر نفسه ٦/٤٤٨، لسان العرب ١٤/٣٢٧.
(٣) الكافي ٦/٤٤٧.
(٤) ابن سعد ٤-٢/١١، ٥/١٥٠، ٢٣٦. وانظر أيضاً المدوّنة ٥/١١٣، ابن حنبل ٢/٢٠٧.
(٥) ابن سعد ٣-١/٢٣٧.
(٦) المصدر نفسه ٥/٨٤.
(٧) المصدر نفسه ٥/١٩٤.
(٨) المصدر نفسه ٥/١٣٤.
(٩) الأغاني ٨/١٧٨ . وانظر الملاحف المعصفرة الموطأ ٢/٢١٥.
(١٠) الأغاني ٤/٢٧٥.
(١١) الكافي ٦/٤٤٧، ابن ماجة ٢/١٩٧.
(١٢) المصدران أنفسهما، الموضعان أنفسهما.
(١٣) ابن ماجة ٢/١٩٧.
(١٤) الأم ٢/١٢٦، ابن حنبل ٢/١٠٠.
(١٥) الموشى ١٧٩.

ينتفض»[1]. وروي عن عروة: «كره المفدم للمحرم ولم ير بالمضرج المبرهم بأساً»[2]. وروي عن أسماء بنت أبي بكر أنها «كانت تلبس المعصفرات المعشبات وهي محرمة ليس فيها زعفران»[3].

أما في الحداد، فيروي مالك بسند من القاسم بن محمد عن عائشة أنها قالت: «لا يحلّ لمؤمنة أن تحدّ على ميتة فوق ثلاثة أيام إلا على زوج، فإنها تعتد أربعة أشهر وعشراً، ولا تلبس معصفراً ولا تقرب طيبا ولا تكتحل ولا تلبس إن شاءت ثياب العصب»[4].

المفدم:

ذكرنا فيما سبق أن العرب عرفوا درجات من اللون الأحمر أعلاها الأرجواني ثم البهرمان الذي يتلوه المفدم الذي يذكر ابن منظور عنه أنه من ثياب المشبع حمرة، وقيل هو الذي ليست حمرته شديدة، وأحمر مفدم مشبع، قال شمر: المفدم من الثياب المشبعة حمرة، وثوب فدم إذا أشبع صبغة، وثوب فدم إذا كان مصبوغاً بحمرة مشبعاً. وفي حديث أنه نُهي عن الثوب المفدم المشبع بالحمرة، وكان الذي لا يقدر على الزيادة عليه لتناهي حمرته، فهو كالممتنع عن قبول الصبغ، ومنه حديث علي: نهاني رسول الله (ص) أن أقرأ وأنا راكع، عن لبس المعصفر المفدم. وفي حديث عروة أنه كره المفدم للمحرم، ولم ير بالمضرّج بأساً[5]. ورد المفدم في الحديث مقترناً بالعصفر، ممّا يدلّ على أن الكلمة تطلق على اللون، وليس على مادة معيّنة، وأن المفدم هو صبغ عصفر أيضاً. وقد كره بعض الفقهاء استعمال المفدم، فيروى عن ابن عمر أنه قال: «نهى رسول الله (ص) عن المفدم»[6]. وكان مالك يكره الورس

(1) المدونة ٢/١٢٢ .
(2) لسان العرب ١٤/٣٢٧ .
(3) الأم ٢/١٢٦ .
(4) المدونة ٥/١١٣ .
(5) لسان العرب ١٥/٢٤٦، وانظر أيضاً ١٤/٣٢٧، وفنسنك، مادة فدم. ويقول الحسن بن سهل إن المفدم المشبع صفرة.
(6) ابن حنبل ٢/١٠٠، ابن ماجة ٢/١٩٧ .

والزعفران والعصفر المفدم الذي ينتفض، ولم ير بالمشق والمورد بأساً[1]. كما كان جعفر الصادق يكره المفدم إلا للعروس[2].

المضرّج والمورّد:

ذكرنا من قبل أن ابن منظور يذكر «المفدم وهو المشبع حمرة، والمضرّج دون المشبع، ثم المورّد بعده»[3] كما أشرنا إلى حديث عروة أنه كره المفدم للمحرم، ولم يرى بالمضرّج بأساً[4]. ويظهر أن المضرّج كان قريباً من المورّد لدرجة جعلت البعض يعتبرهما واحداً. فيروي ابن سعد بسند عن أبي عامر الخزاز عن عبد الله بن أبي مليكة: «قال رأيت على عائشة ثوباً مضرّجاً، فقلت وما المضرّج، فقال هذا الذي تسمّونه المورّد»[5]. والمضرج قريب الشبه بالعصفر، وقد ورد في كتب الحديث حديث عمرو بن شعيب الذي جاء فيه: «فإذا علي ريطة مضرجة بالعصفر»[6]. وقال أبو جعفر محمد بن علي: «لا تصلّوا في المشبع المضرّج»[7]. وقال أيضاً: «إنا نلبس المعصفرات والمضرّجات»[8].

أما المورّد، فقد كان لون ثوب النساء غالباً، فقد ذكر منه درع على عائشة[9]، وإزار استعمله كلّ من الشعبي[10]، والحسن[11]، والوليد بن يزيد[12]، والزرقاء[13]. وذكر من المورّد ثوب كان على عائشة[14]، ورداء على الزرقاء[15].

(١) المدوّنة ٢/١٢٢.
(٢) الكافي ٦/٤٤٧.
(٣) لسان العرب ١٤/٣٢٧، ١٥/٢٤٦.
(٤) المصدر نفسه ١٥/٢٤٦.
(٥) ابن سعد ٨/٤٩.
(٦) أنظر قسنك مادة (ضرج).
(٧) الكافي ٦/٤٤٦.
(٨) المصدر نفسه، ٦/٤٤٧.
(٩) ابن سعد ٨/٣٥٨، ٣٦٣.
(١٠) المصدر نفسه ٦/١٧٧.
(١١) أنساب الأشراف ٤-٢/٢٢٩.
(١٢) الأغاني ٩/٢٦٣.
(١٣) المصدر نفسه ١٣/١٥.
(١٤) ابن سعد ٨/٤٩.
(١٥) الأغاني ١٣ / ١٥.

كما ذكرت ملحفة مورّدة على الشعبي[1]، وعلى الشاعر ابن ميّادة[2]. ومما يصبغ بالمورّد الكتان[3]، والقهوي[4]. وفي القرن الرابع الهجري، «كان لبس المورّد الأحمر والستيري الأخضر إنما هو لبس النساء والنبطيات، ولبس الإماء والمتقيّنات»[5].

القرمز:

القرمز صبغ حيواني[6] أحمر اللون[7]. ومن خصائصه أنه لا يصبغ به إلا ما كان من حيوان كالحرير والصوف[8]. ويذكر الجاحظ أنه «زعم أن القرمز حشيشة تنبت في ثلاثة مواضع من الأرض، في ناحية المغرب بأرض الأندلس، وفي رستاق يقال له تارم، وفي أرض فارس، ولا يعرف هذه وأماكنها إلا فرقة من اليهود يتولّون قلعها كل سنة من ماه اسفندار مذ تيبس تلك الدودة، وخير ما يصبغ به في الأماكن بأرض واسط»[9].

الشرف:

الشرف طين أحمر... «وقال الليث الشرف له صبغ أحمر يقال له الداربرنيان». وقال ابن الأعرابي: «هو نبت أحمر تصبغ به الثياب»[10]. وكانت الثياب العمرية مصبوغة به[11]، وهي التي كان عمر بن عبد الله بن معمر يفسهما على أهل المدينة[12]. وكانت عائشة لا ترى بأساً بالخمار يصبغ بالشرف[13]. ويسمّى الثوب المصبوغ بالشرف ثوب مشرّف.

---

(١) ابن سعد ٦/ ١٧٧.
(٢) الأغاني ٢/ ١١١.
(٣) ابن سعد ٦/ ١٧٧.
(٤) الأغاني ١٣/ ١٥.
(٥) الموشى ١٨٤.
(٦) المخصص ١١/ ٢١٢، لسان العرب ٧/ ٢٦ نهاية الأرب للنويري ١١/ ٣٢٦.
(٧) الحيوان ٥/ ٩٤.
(٨) نهاية الأرب ١١/ ٣٢٦، جامع الأدوية المفردة ٤/ ١٤.
(٩) التبصر بالتجارة ١٩.
(١٠) لسان العرب ١١/ ٧٥. ويذكر الثعالبي الشرف طين أحمر، فقه اللغة ٢٤٢.
(١١) لسان العرب ١١/ ٧٥.
(١٢) الأغاني ١٤/ ١٠٢.
(١٣) لسان العرب ١١/ ٧٥.

الممشق:

من الألوان الحمراء التي تردّد ذكرها هي الممشّق والمغرة. فيقول ابن منظور: «الممشّق المغرة، هو صبغ أحمر، ثوب ممشّق مصبوغ بالمشق. الليث: المشق طين أحمر يصبغ به الثوب»[1]. «ثوب ممغّر مصبوغ بالمغرة... والمغر والمغرة لون إلى الحمرة... وقيل الأمغر الذي ليس بناصع الحمرة وليست إلى الصفرة وحمرته كلون المغرة.... وقيل هو الذي ليس بناصع الحمرة، وهو نحوٌ من الأشقر كلون الشقرة... والأشقر الأقهب دون الأشقر في الحمرة وفوق الأفضح... وقيل المغرة حمرة ليست خالصة... والمغرة المدر الأحمر الذي يصبغ به»[2]. وينقل ابن البيطار عن ديسقوريدس في الخامسة: «ما كان منها منسوباً إلى البلاد التي يقال لها السويس فأجوده... وقد يجمع بالبلاد التي يقال لها قبادوقيا من بعض المغاير ويصفّى ويجلب إلى البلاد التي يقال لها سويس ويباع هناك ولذلك ينسب إليها»[3].

ذكرت المصادر عدداً ممّن كان يلبس ثياباً بالمشق، ومنهم عثمان بن عفان[4]، وعبد الله بن عمر[5]، وطلحة بن عبيد الله[6]، وأبو هريرة[7]. كما لبسه عمر بن أبي ربيعة[8] وكثيّر عزّة، ومعبد المغنّي[9]. وكان لبسه مباحاً في الإحرام، ففي حديث جابر: «كنا نلبس المشق في الإحرام»[10]. وذكر مالك ثوباً صبغه بمشق[11]. وذُكرت ريطة كوفية ممشّقة كانت على عثمان بن عفان[12].

---

(١) لسان العرب ١٢/٢٢٣.
(٢) المصدر نفسه ٧/٢١.
(٣) جامع الأدوية المفردة ٤/٦٠.
(٤) ابن سعد ٣-١/٣٩.
(٥) المصدر نفسه ٤-١/١٢٧ . الموطأ ٢/٢١٥.
(٦) ابن سعد ٣-١/٥٦، لسان العرب ١٢/٢٢٣.
(٧) لسان العرب ١٢/٢٢٣.
(٨) الأغاني ١/٧٢.
(٩) المصدر نفسه ١/٣٥.
(١٠) لسان العرب ١٢/٢٢٢.
(١١) المدوّنة ١٠/١٦٩.
(١٢) حلية الأولياء ١/٦٠.

ويبدو أن الممشق لم يكن من أصباغ الزينة، فقد كان مباحاً لبسه في الإحرام، وكان طلحة يلبسها في الإحرام[1].

أما المغرة فإن ابن البيطار ينقل عن ديوسقوريدس أنه يأتي من السويس ومن قبادوقيا، وأن أجودها المصرية والتي من قبادوقيا، وأن بعضها يأتي «العرب من البلاد التي يقال لها لبيس بأن يحرق الجوهر الذي يقال له الآجر فإذا احترق استحال وصار مغرة»[2].

وذكر مؤلف حكاية أبي القاسم ثوب قلمون، وذكر المقريزي ممن تعلّموا المرتبة والخيام[3].

---

(١) ابن سعد ٣-١/١٥٦.

(٢) جامع الأدوية المفردة ٤/ ١٦٠ -١٦١.

(٣) حكاية أبي القاسم ٣٥؛ اتعاظ الحنفا ٢/٢٨٨، ٣٨٣.

الفصل السابع

الملبوسات(*)

الرداء:

ذكرت المصادر رداءً سنبلانياً كان على الخليفة عليّ[١]، ورداءً كان على القاسم بن محمد[٢]، ورداءً قرقبياً مفتولاً كان على محمد النفس الزكية، عندما ثار[٣].

تذكر كثير من النصوص الأردية مصبغة إما بالعصفر كالرداء الذي كان يستعمله عروة بن الزبير[٤] أو ممصّراً أو بالزعفران، كالرداء الذي كان يلبسه القاسم بن محمد حين أعرس[٥]، والذي كان يلبسه الوليد بن يزيد[٦]. والغالب

(*) من الدراسات القيّمة عن الملبوسات، كتاب "الملابس العربية في الشعر الجاهلي" ليحيى وهيب الجبوري، والفصل الغني في كتاب "العامة في بغداد" لبدري محمد فهد. وقد قصر الكتاب الأول على دراسة الملبوسات في العصر الجاهلي؛ أما الكتاب الثاني فقد أفاض بمعلومات واسعة وبخاصة العمامة في العهود العباسية المتأخرة. ولا غنى عن المعلومات الواسعة التي أوردها في نطاق معالجتهما.

(١) ابن سعد ٣-١/١٨.

(٢) المصدر نفسه ٥/١٤٢.

(٣) الطبري ٣/١٦٩.

(٤) ابن سعد ٥/١٣٤.

(٥) المصدر نفسه ٥/١٤٢.

(٦) الأغاني ٢/٢١٠.

أن الرداء يلبس بلا إزار. ويلبس الإزار مع ألبسة أخرى. وبخاصة مع الرداء حيث تردد ذكرهما معاً في أحاديث عن الرسول (ص) «وهو متّزر بإزار ليس عليه رداء. . . عليه رداؤه وإزاره.. دخل على رسول الله في إزار ورداء .. صلّى جابر في إزار ورداء .. يُحرم أحدكم في إزار ورداء ونعلين على بردتين متّزراً إحداهما مرتدياً الأخرى»[1]. ويذكر ابن سعد أنه كان للرسول (ص) برد يمنة وإزار من نسيج عمان فكان يلبسهما يوم الجمعة ثم يطويان[2]. قال أحدهم: «ربما رأيت عليّاً يخطبنا وعليه إزار ورداء مرتدياً به غير ملتحف وعمامة فينظر إلى شعر رأسه وبطنه»[3]. و«رأيت عليّاً يخرج من القصر وعليه قطريتان إلى نصف الساق ورداء مشمراً»[4] وقد دخل حمّاد الراوية على الوليد بن يزيد «فإذا هو على سرير ممهّد وعليه ثوبان إزار ورداء يقيئان الزعفران قيّاً»[5]. وقد يُلبس الرداء مع الإزار والقميص، فيروي خالد بن أياس «رأيت على سعيد بن المسيّب قميصاً إلى نصف ساقيه وركبه طالعة أطراف أصابعه ورداء فوق قميصه خمس أذرع وشبراً»[6]، وكان على محمد النفس الزكية حين ثار قميص غليظ ورداء قرقبي مفتول[7].

وقد يلبس الرداء مع الإزار والقميص، فتروي أم كثير أنها رأت عليّاً ومعه مخفقة وعليه رداء سنبلاني وقميص كرابيس وإزار كرابيس إلى نصف ساقيه الإزار والقميص[8]. ويروي الكليني أن الخليفة عليّ اشترى ثلاثة أثواب «القميص الى فوق الكعب، والإزار إلى نصف الساق، والرداء من يديه إلى ثدييه ومن خلفه إلى إليته». ويروي رجل أن عليّاً عندما قتل كان عليه قميص «فشبرت بدنه فإذا هو ثلاثة أشبار، وشبرت أسفله فإذا هو اثنا عشر شبراً»[9].

---

(١) انظر مواضع هذا الحديث من كتب الصحاح: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.
(٢) ابن سعد ١-١/١٠.
(٣) المصدر نفسه ٣-١/١٧.
(٤) المصدر نفسه ٣-١/١٨.
(٥) الأغاني ٣/٢١٠، ٦/٧٩.
(٦) ابن سعد ٥/١٠٣.
(٧) الطبري ٣/١٦٩.
(٨) ابن سعد ٣-١/١٨.
(٩) الكافي ٦/٤٥٦.

ويقول الأعمش: «رأيت إزار أبي وائل إلى نصف ساقيه وقميصه فوق ذلك ورداءه فوق ذلك، ومجاهد مثل ذلك»[1]. قد يلبس الرداء مع الثياب، فيروي ابن قتيبة عبد الله بن جعفر «رأيت رسول الله (ص) عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران ورداءه وعمامته»[2]. ويروي جرير بن عثمان أنه رأى عبدالله بن عمر مشمّراً ورداؤه فوق القميص[3]. وفي العهود العباسية، ذكر الوشّاء الأردية الرشيدية، والمرشوشة[4]، والمحشاة المدنية الملوّنة[5]، وذكر أبو القاسم رداء شطوياً[6]. وذكر الثعالبي أردية مصر[7]، وذكر المقريزي الرداء المحشي المذهب[8].

ورد ذكر الإزار في كثير من أحاديث الرسول كما تردّد ذكره في كتب التراجم، الأمر الذي يدل على شيوعه كما يذكر الشيباني[9]، ومؤلّف حكاية أبي القاسم[10]. ويختلف طول الإزار فكان للنبي إزار من نسيج عمان طوله أربع أذرع وشبر في ذراعين وشبر[11]. وكان سالم بن عبد الله يأتزر بإزار قصير ليس له حاشية[12]. وكان إزار ابن عمر فوق العرقوبين ودون العضلة[13]، وكان إزار أبي وائل إلى نصف ساقه[14]، وروي أن الخليفة عليّ كان يأتزر فوق السرّة[15]،

---

(١) ابن سعد ٦/ ١٨.
(٢) عيون الأخبار ١/ ٢٩٨.
(٣) ابن سعد ١/ ٢٩٨.
(٤) الموشى ١٨٤، ١٣٦.
(٥) المصدر نفسه ١٧٩.
(٦) حكاية أبي القاسم ٨٦.
(٧) ثمار القلوب ٥٣٤.
(٨) اتعاظ الحنفاء ٢/ ١٣٣.
(٩) الجامع الكبير ٢٥٣.
(١٠) حكاية أبي القاسم ٨٦.
(١١) ابن سعد٦-١/ ١٠.
(١٢) المصدر نفسه ٥/ ١٤٦.
(١٣) المصدر نفسه ٤-١/ ٢٨.
(١٤) المصدر نفسه ٦/ ٦٨.
(١٥) المصدر نفسه ٣-١/ ١٧

ويروى عن الرسول أنه قال .. «أزرة المؤمن إلى نصف الساق ولاجناح فيما بينه وما بين الكعبين»(١). ويعتبر إسبال الإزار وإرخائه من الخيلاء. فقد قال رجل لابن أخي خالد بن الوليد: «أتدع ابن أثال يفني أوصال ابن عمك بالشام وأنت بمكة مسبل إزارك تجرّه وتخطر فيه متخايلاً»(٢). وكان إزار الشعبيّ مسترخياً(٣)، وتروى عن الرسول أحاديث في النهي عن إسبال الإزار أو جرّه خيلاء. ويبدو أن القرشيين عرفوا إرخاء الإزار فقد قال الأخطل:

مشي قرشية لاشكّ فيها ... وأرخي من مآزرِهِ الفضولا(٤)

ويُلبس الإزار بأشكال مختلفة: فيروي الخليفة علي: «قال لي رسول الله (ص) إذا كان إزارك واسعاً فتوشّح به، وإذا كان ضيقاً فأتزر به»(٥). ولبس عدد من الصحابة الإزار محلّلاً، فيروي كثير بن زيد رأيت سالم بن عبدالله يصلّي في قميص واحد محلّل الإزار(٦)، ويقول الأزرق بن قيس: ما رأيت ابن عمر إلا وهو محلول الإزار(٧). ويروي الأصفهاني أن تميم أوّل من عقد في طرف النساء الإزار زنّاراً وخيط إبريسم، ثم تجعله في رأسها فيثبت الإزار ولا يتحرّك ولا يزول(٨). كما ذُكر سرور ابن تيزم المغنّي وقد اتّزر بمئزر على صدره، وهي إزرة الشطار عندنا(٩).

وقد يُلبس الإزار مع القميص، فيروي زريق أن الحسين جاء مرة وعليه

---

(١) لسان العرب ٥/ ٧٢.
(٢) الأغاني ١٥/ ١٣.
(٣) ابن سعد ٦/ ١٧٧.
(٤) الأغاني ٨/ ٢٩٦.
(٥) ابن سعد ٣-١/ ١٧.
(٦) المصدر نفسه ٥/ ١٣٦.
(٧) المصدر نفسه ٤-١/ ١٢٨.
(٨) الأغاني ٧/ ٣٠٢.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٤٠٨، ٦/ ٣٣٩.

قميص قوهي وإزار مصبوغ بزعفران[١]. وكان ابن عمر يأتزر فوق القميص في السفر[٢]، وكان يمشي بين ثوبين كأني أنظر إلى عضلة ساقه تحت الإزار والقميص فوق الإزار[٣]. ويروي قدامة أنه رأى علياً يخطب عليه قميص قزّ وإزاران قطريان[٤]. وكان أبو هريرة يكره أن يأتزر فوق قميصه[٥].

وقد يلبس الإزار مع ألبسة أخرى: فقد روى أبو ظبيان: خرج علينا عليّ في إزار أصفر وقميصة سوداء[٦]. ويروي الأعمش رأيت إزار أبي وائل إلى نصف ساقيه، وقميصه فوق ذلك، وجاهد في مثل ذلك[٧]. ولما صار بنو الحسن إلى الربذة دخل محمد بن عبد الله على علي بن جعفر وعليه قميص وساج وإزار رقيق تحت قميصه[٨]. كما قد يلبس تحت الملحفة. وقد شوهد الوليد بن يزيد وهو يرتدي إزاراً ورداء[٩]، وقد منع عمر بن عبد العزيز دخول الحمام بدون إزار[١٠].

ذكرت أزر من عمان[١١] وأزر قطرية[١٢]. وقد يكون الإزار أصفر كإزار عمر يوم أصيب[١٣]، وإزار علي[١٤]، أو مورّداً أو مصبوغاً بالزعفران مثل إزار الحسين[١٥]، وإزار الوليد بن يزيد[١٦]، وإزار الشعبي[١٧]، وقد يكون الإزار أحمر[١٨].

---

(١) أنساب الأشراف ٤-٢/٢٢.
(٢) ابن سعد ٤-١/١٢٨.
(٣) المصدر نفسه ٤-١/١٢٨.
(٤) المصدر نفسه ٣-١/١٦.
(٥) المصدر نفسه ٤-٢/٥٩.
(٦) المصدر نفسه ٣-١/٢٠.
(٧) المصدر نفسه ٦/٦٨.
(٨) الطبري ٣/١٧٦.
(٩) الأغاني ٦/٧٩، ٢/٢١٠.
(١٠) ابن سعد ٤-٦/١٢٧.
(١١) المصدر نفسه ١-١/١٠.
(١٢) المصدر نفسه ٣-١/٢٧٣، ٧/١٦.
(١٣) المصدر نفسه ٣-١/٢٥٢.
(١٤) المصدر نفسه ٣-١/٢.
(١٥) أنساب الأشراف ٤-٢/٢٢٩.
(١٦) الأغاني ٩/٢٦٣.
(١٧) ابن سعد ٦/١٧٧.
(١٨) الأغاني ٢/٣١٥.

القميص:

يعتبر القميص من القطعات عند البعض على ما يروي ابن منظور[١]. وهو من الثوب، فيروي عن حجاج الصواف أنه قال: «أمرني عمر بن عبد العزيز وهو والٍ على المدينة أن أشتري له ثياباً، فاشتريت له ثياباً فكان فيها ثوب بأربعمائة، فقطعه قميصاً ثم لمسه بيده، فقال ما أخشنه وأغلظه»[٢]. وللقميص أكمام، فكان القاسم بن محمد تتجاوز كماً قميصه وجبه أصابعه بأربعة أصابع أو شبر أو نحوه[٣]. وكان قميص الخليفة عليّ إذا مدّ كمّه بلغ الظفر فإذا أرخاه.. بلغ نصف ساعده. وقال عبد الله بن نمير بلغ نصف الذراع[٤]. أما قميصه السنبلاني فقد جاء خيّاط فمدّ كمّ القميص فأمره أن يقطعه من خلف أصابعه[٥]. وقد يكون القميص محلّل الأزرار[٦]. أما طول القميص فيختلف، فكان على سعيد بن المسيّب قميص إلى نصف ساقيه: كمّاه طالعة منهما أطراف أصابعه ورداء فوق القميص خمسة أذرع وشبرا[٧]. وكان على سالم بن عبد الله قميص إلى نصف ساقه[٨]. أما عمر بن عبد العزيز، فكانت قمصه وجبابه ما بين الكعب والشراك[٩]، وكان على الفرزدق قميص أسود إلى سرته[١٠].

وقد تبدّلت أساليب لبس القميص. فيروي ابن قتيبة قال معمر رأيت قميص أيوب يكاد يمس الأرض فكلّمته في ذاك فقال الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وأنها اليوم في تشميره[١١]. ويروى أن الرسول (ص) قال إن

---

(١) لسان العرب ١٠/١٥٥.
(٢) ابن سعد ٥/٢٤٦.
(٣) المصدر نفسه ٥/١٤٠.
(٤) المصدر نفسه ٣-١/١٧.
(٥) المصدر نفسه ٣-١/١٨.
(٦) المصدر نفسه ٥/١٤٦.
(٧) المصدر نفسه ٥/١٠٣.
(٨) المصدر نفسه ٥/١٤٦.
(٩) المصدر نفسه ٥/٢٩٨.
(١٠) الأغاني ١٩/٤٠.
(١١) عيون الأخبار ١/٩٨.

المُحرِم: لا يلبس القميص ولا العمامة ولا البرنس ولا السراويل ولا الخفين إلا لمن لا يجد نعلين[1].

ذكر من ألوان القمصان البيضاء والسوداء، فيروي الطبري أن محمد النفس الزكية جاء عند ثورته وعليه قميص أبيض محشوّ وعمامة بيضاء[2]. ويروي الأصفهاني أن الفرزدق جاء مرة وعليه قميص أسود وقد شقّه إلى سرّته[3]. وقد تصنع القمصان من الكتان. ويروى أنه كان لسالم بن عبد الله قميص كتان[4]، أو قد تصنع من الكرابيس: فقد ذكر عطاء: رأيت على عليّ قميصاً من هذه الكرابيس[5]. كما ذُكر القميص المكفّف بالديباج وأشهر القمصان التي تردّد ذكرها هي القوهي الرازية ثم الهروية[6]. وذكر الوشاء القميص المحبّر[7]. وذكر المقريزي القميص المصمّت والطميم المذهّب[8].

ويُلبس القميص مع الرداء أو مع الجبّة، وقد تلبس فوق القميص الملحفة والملاءة[9].

الملحفة:

يقول ابن منظور: «اللحاف والملحف والملحفة اللباس الذي فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه، وكل شيء تغطيت به... فقد التحفت به والملحفة عند العرب الملاءة السمّط، فإذا بطّنت ببطانة أو حشيت، فهي عند العوام ملحفة. ويقول في مكان آخر الإزار والملحفة وتذكر أغلب النصوص الملحفة المعصفرة، فقد كان يلبسها خارجه بن زيد وعمر بن أبي ربيعة والقاسم بن محمد. كما ذكرت ملحفة صفراء لبسها عمر بن الخطاب،

(١) الأم ٢/١٢٥.
(٢) الطبري ٣/٢٢٤.
(٣) الأغاني ٩/٤٤.
(٤) ابن سعد ٥/١٤٦.
(٥) المصدر نفسه ٣-١/١٧.
(٦) انظر فصل مراكز النسيج.
(٧) الموشى ١٧٩، ١٣٦.
(٨) اتعاظ الحنفا ٢/٧١.
(٩) ابن سعد ٦/١٨٦.

ومحمد بن الحنفية[1]. وذكرت الملحفة الحمراء وقد استعملها علي بن حسين ومحمد بن علي، وإبراهيم النخعي، وإبراهيم التيمي، وقد تكون الملحفة مورّدة.

وقد تلبس الملحفة مع القميص، فقد روي عن عروة بن الزبير أنه كان يصلّي في قميص وملحفة مشتملاً بها على القميص، أو تُلبس مع الإزار. فيروي سلمة بن كهيل مارأيت ابراهيم في صيف قط إلا وعليه ملحفة حمراء وإزار أصفر[2]. وقد لبس طويس ملحفة فأتزر بها وأرخى لها ذنبين[3]. وقد ورد عن طريقة لبس الملحفة: «رأيت القاسم بن محمد وعدناه في مرضه وعليه ملحفة معصفرة قد أخرج نصف فخذه منها»[4]. ويروي موسى بن نافع ان ابن جبير يصلّي وعليه ملحفة شقتان ملفقة[5].

الملاءة:

يذكر ابن منظور «أن الملاءة الريطة وهي الملحفة.. وفي الحديث .. فرأيت السحاب يتسرّب وكأنه الملاءة حين تطوى.. وهي الإزار والريطة»[6].

ذكرت الملاءة ووُصف لونها في عدد من النصوص فمنها: الصفراء فكان على عثمان ملاءة صفراء[7]، وكان لإبراهيم النخعي ملاءتان صفراوان يخرج فيهما إلى المسجد الجامع ويجمع فيهما[8]. وكانت له أيضاً ملاءة حمراء يصلّي بنا فيها[9]. وكان سعيد بن المسيّب يلبس ملاءة شرقية[10]. وكان على الوليد الثاني ملاءة ظبية[11]. ويتبيّن من هذه النصوص أن الملاءة كانت من ألبسة الرجال في الحجاز والكوفة والشام.

(١) لسان العرب مادة لحف.
(٢) ابن سعد ٦/١٩٦ ـ ١٩٧.
(٣) اتعاظ الحنفا ٢/١٣٢.
(٤) ابن سعد ٥/١٤٢.
(٥) المصدر نفسه ٦/١٨٦.
(٦) لسان العرب ١/١٥٥.
(٧) أنساب الأشراف ٥/٤.
(٨) ابن سعد ٧/١٩٧.
(٩) المصدر نفسه ٦/١٩٧.
(١٠) المصدر نفسه ٥/٩٩.
(١١) الأغاني ١/٥٢.

الريطة:

يقول ابن منظور: «الريطة الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين، وقيل الريطة كل ملاءة غير ذات لفقين كلّها نسيج واحد، وقيل هو كل ثوب ليّن دقيق وجمع ريط رياط قيل:

لامهل حتى تلحقي بعنس أهل الرياط البيض والقلنس

قال الأزهري لاتكون الريطة إلا بيضاء والرايطة كالريطة»[1].

ذكرت الريطة في بعض النصوص، فيروي أبو عبيدة عن أبيه: دخل علينا كثيّر يوماً، وقد أخذ بطرف ريطته، وألقى طرفها الآخر، وهو يقول[2]:

خلقُ البيضُ الحسانُ لنا وجيادُ الريط والإزرِ[3]

ويذكر أبو نعيم عن عبد الملك بن شداد أنه رأى عثمان يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ، وريطة كوفية ممشوقة[4]. ويذكر مالك الرائطة من نسيج الولائد[5].

الدراعة:

كانت الدراعة من أهم ثياب النساء زمن الرسول (ص)، حين كانت الثياب بسيطة وقليلة. وقد ذكرت الدراعة لباساً للنساء في عدة نصوص[6]، وللرجال[7]. وقد تكون الدراعة صفراء[8]، أو مورّدة[9] أو مورّسة[10] أو

---

(1) لسان العرب ٩/ ١٧٨.
(2) الأغاني ٨/ ١٢٥.
(3) المصدر نفسه ٩/ ٤٩.
(4) حلية الأولياء ١/ ٦٠.
(5) المدوّنة ٩/ ٢٤، ٣١.
(6) الأغاني ٢/ ٢٨١، ابن سعد ٨/ ٣٥٨.
(7) الأغاني ١/ ٤٦.
(8) المصدر نفسه ١١/ ١٧١.
(9) ابن سعد ٨/ ٣٥٨.
(10) الأغاني ٢/ ١٨٠.

مصبوغة بالزعفران[1]. وذكرت في العهود العباسية الدراعة[2]، والدراعة الديبقية[3]، والمحشمة[4]، والصوف البيضاء[5]، والسرنجود[6].

الخميصة:

يقول أبو عبيد: «الخميصة كساء أسود مربّع له علمان، ويقول، وعن الأصمعي، إن الخميصة ملاءة معلّمة من خزّ وصوف»[7]. ويذكر ابن منظور: «الخميصة برنكان أسود معلّم من المرعز والصوف ونحوه، والخميصة كساء أسود مربّع له علمان، فإن لم يكن معلّماً فليس بخميصة .. وفي الحديث جئت البهو عليه خميصة، تكرّر ذكرها في الحديث، وهي ثوب خزّ أو صوف معلّم، قيل لا تسمّى خميصة إلا أن تكون سوداء معلّمة، وكانت من لباس الناس قديماً وجمعها الخمائص ثياب من خزّ ثخان سود وحمر ولها أعلام ثخان»[8] أيضاً. وقد ذكرت الخميصة في زمن الرسول، فيروى أنه قال تعس عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة[9]، ممّا يدلّ على أنها من ألبسة المترفين.

وقد ذكرت خميصة سوداء لبسها عثمان[10]، كما لبسها عليّ مع إزار أصفر[11].

البرنكان:

ينقل ابن منظور عن ابن الأعرابي: البرنكان ضرب من الثياب .. عن

---

(1) الأغاني ١/٤٦.
(2) الذخائر ١٥٤، ١٦١.
(3) رسوم دار الخلافة ٢٦، ٩٨.
(4) اتعاظ الحنفا ٢/٣، ٢٢.
(5) الموشى ١٢.
(6) المصدر نفسه ١٧٨.
(7) فقه اللغة ٢٤٦.
(8) لسان العرب ٨/٢٨٦.
(9) البخاري: كتاب الجهاد ٧٠، ابن ماجة: الزهد ٨.
(10) ابن سعد ٣-١/٣٩، أنساب الأشراف ٥/٣.
(11) ابن سعد ٣-١/٢٠.

الجوهري: البرنكان ضرب من الأكسية، قال الفرّاء البرنكان كساء من صوف له علمان[1]. ولم يرد ذكر البرنكان في الحديث، ولكن يذكر الأصفهاني أن رؤبة بن العجاج دخل السوق وعليه برنكان أخضر[2]. ويذكر ابن قتيبة أن جعفر البرمكي مر على الأصمعي ورآه على مصلّى بال وعليه برنكان أجرد[3].

المرط:

يقول الثعالبي المرط من خزّ أو صوف يؤتزر به[4]. ويقول ابن منظور: «المرط كساء من خزّ أو صوف أو كتان، وقيل هو الثوب الأخضر.. وفي الحديث أنه (ص) كان يصلّي في مروط[5].

ذكر المرط من الألبسة، فروى الأصفهاني أن بثينة جاءت وهي تتعثر في مرطها[6].

ويقول

وتلبسُ للجارات إتباً ومئزراً ومرطاً فبئس الشيخ يرفلُ في الإتبِ[7]

الغلالة:

يقول ابن منظور الغلالة شعار يلبس تحت الثوب لأنه لا يتغلّل فيها أي يدخل[8].

وقد ذكر الأصفهاني الغلالة في الأغاني، فذكر أن سليمان بن عبد الملك

---

(1) لسان العرب ١٢/ ٢٨١، وانظر ابن سعد ٤٥/ ٨٠.
(2) الأغاني ٢١/ ٦٠.
(3) عيون الأخبار ١/ ٢٩٩.
(4) فقه اللغة ٢٤٦.
(5) لسان العرب ٩/ ٢٧٨.
(6) الأغاني ٨/ ١٥٤.
(7) المصدر نفسه ١/ ٤٠١.
(8) لسان العرب ١٤/ ١٥.

وجارية إلى جنبه وعليها غلالة ورداء معصفران وعليها وشاحان من ذهب وفي عنقها فصلان من لؤلؤ وزبرجد وياقوت[1]. وذكرت الغلالة في العهود العباسية،[2] ومنها القصب[3]، والمذهّبة[4]، والممسّكة[5]، والرقاق[6]، والدخانية[7].

الخمار:

يقول ابن منظور: «وقيل الخمار ما تغطي المرأة رأسها»[8]. وقد ذكر الخمار في عدّة نصوص. فيروي ابن سعد عن عائشة: «عليها خمار جيشاني»[9]، وخمار أسود[10]. ويبدو أن الخمر السود لم تكن شائعة في بداية الإسلام، وأن العراق كان من البلاد المنتجة لها، فيروي الأصفهاني أن تاجراً من أهل الكوفة قدم المدينة بخمر فباعها كلّها وبقيت السود منها فلم تنفق وكان صديقاً للدارمي، فنظم له الدارمي قصيدة مطلعها: «قل للمليحة في الخمارِ الأسود» .. فلم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفد ما كان ما للعراقي منها[11]. ويبدو أن الخمار كان أخص بلبس الحرائر، فيروي أحمد بن محمد عن عبد الرحمن بن حسن عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز «كتب أن لا تلبس أمة خماراً ولا يتشبّهن بالحرائر»[12].

القباء:

والقباء ثوب مفتوحٌ، فيروي الأصفهاني أن رجلاً كان في جيبه مخيصة فشقّه

---

(1) الأغاني ٤/ ٢٧٥.
(2) الذخائر ١٥٤، ٣٠٢؛ رسوم دار الخلافة ٩٦؛ لطائف المعارف ١٨٦.
(3) رسوم دار الخلافة ٩٧.
(4) اتعاظ الحنفا ٢/ ١٣٣.
(5) الموشى ١٣٦، ١٧٩.
(6) المصدر نفسه ١٧٩.
(7) المصدر نفسه ١٨٤.
(8) لسان العرب ٥/ ٢/ ٣٤.
(9) ابن سعد ٨/ ١/ ٣٤.
(10) المصدر نفسه ٨/ ٣٦٣.
(11) الأغاني ٣/ ٤٥.
(12) ابن سعد ٥/ ١٨١.

إلى أسفله فصار قباء[1]. وكان القباء مستعملاً في العراق وفي الحجاز، وهو إما من سندس كقباء زياد أبن أبيه[2]، أو من خزّ كقباء عروة بن الزبير[3]، أو من ديباج كقباء أهدي إلى الرسول[4]، وكقباء زياد الأعجم[5]. والقباء أو من سمور كقباء الشعبي[6]، أو من كتان كالقباء الذي كساه أبو جعفر بن عتاب[7]. وقد يكون القباء مبطّناً بالحرير كقباء عروة[8]. وقد يلبس مع المطرف كما فعل زياد بن أبيه[9]، أو قد يلبس قباوان أحدهما فوق الآخر، كما فعل ابن عتاب حيث كساه أبو جعفر قباء خزّ وكساه تحته قباء كتان مرقوع القب[10].

يروي أبو الفرج أن زياد الأعجم كان يخرج وعليه قباء ديباج تشبُّهاً بالأعاجم[11]، ممّا يدلّ على أن هذا اللباس هو لباس الأعاجم. ويقول أيضاً ولما تولّى محمد بن عبد الملك الوزارة اشترط أن لا يلبس القباء وأن يلبس الدراعة ويتقلّد عليها سيفاً بحمائل فأجيب إلى ذلك[12]. وذكر القباء في العصور العباسية[13].

السروال:

ذكر ابن سعد أن سعيد بن المسيّب كان يلبس السروال[14]. وروى ابن جريج عن عطاء أنه قال من لم يكن له إزار وله تبان أو سروال فليلبسهما.

---

(1) الأغاني ٨/٢٠٨.
(2) المصدر نفسه ١٦/٢٠٣، ١١٥.
(3) ابن سعد ٥/١٣٤.
(4) صحيح مسلم ٢/١٥٣.
(5) الأغاني ١٤/١٠٠.
(6) ابن سعد ٦/١٧٦.
(7) الأغاني ٢٠/٤٥.
(8) ابن سعد ٥/١٣٤.
(9) الأغاني ١٦/٣٢٠.
(10) المصدر نفسه ٢٠/٤٢.
(11) المصدر نفسه ١٤/١٠٠.
(12) المصدر نفسه ٢/٤٥.
(13) رسوم دار الخلافة ٦، ٩٢؛ اتّعاظ الحنفا ٢/١٣٤.
(14) ابن سعد ٥/١٠٣.

ويسمّى شداد السروال هميان، وكانت توضع فيه الدراهم. فقد أخرج ابن جامع «من وسطه همياناً فيه ثلاثمائة درهم».

البردة:

يقول ابن منظور: «البردة كساء يلتحف به، وقيل إذا جعل الصوف شقّه وله هدب فهي بردة. وفي حديث ابن عمر أنه كان عليه يوم الفتح بردة فلوتٌ قصيرة، وقال شمر رأيت أعرابياً بخزيمية وعليه شبه منديل من صوف قد اتَّزر به فقلت ما تسمّيه، قال بردة .. قال الأزهري وجمعهما برد، وهي الشملة المخططة قال الليث: وأما البردة فكساء مربّع أسود تلبسه الأعراب»[١].

ويروي البخاري عن سهل بن سعد: «جاءت امرأة ببردة، قال أتدرون ما البردة؟ فقيل له نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها، فقالت يارسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي (ص)»[٢]. وقد ورد في الأغاني ذكر بردة من برد الأعراب[٣].

لابد من الإشارة إلى تمييز البردة من البرود التي هي أنسجة يمانية تنسب إلى أماكن مختلفة من اليمن كانت تعرف بصناعتها.

الشملة:

يتبيّن من الحديث النبوي الذي أورده البخاري عند الكلام عن البردة أن البردة هي شملة منسوج في حاشيتها، ومن كلام الأزهري أنها الشملة المخطّطة.

فأما الشملة، فيقول ابن منظور: «المشمل ثوب يشتمل به، واشتمل بالثوب إذا أداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده .. والشملة الصمّاء التي ليس تحتها قميص ولا سراويل. قال أبو عبيد اشتمال الصمّاء هو أن يشتمل بالثوب

---

(١) لسان العرب ٤/٥٣.
(٢) البخاري: البيوع باب النساج.
(٣) الأغاني ٢/١٣.

حتى يجلّل به جسده، ولا يرفع منه جانباً فيكون فيه فرجة تخرج منها يده وهو التلفع، وربما اضطجع فيه على هذه الحالة. قال أبو عبيدة وأما تفسير الفقهاء فإنهم يقولون هو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبه فيبدو منه فرجه، قال والفقهاء أعلم بالتأويل في هذا الباب وذلك أصح في الكلام. الجوهري: والشملة كساء دون القطيفة يشتمل به. وقال أبو منصور: الشملة عند العرب مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به فإذا لُفِق لفقين فهي مشمّلة يشتمل بها الرجل إذا نام الليل .. الليث: المشمّلة والمشمّل كساء له خمل متفرق يُلتحف به دون القطيفة.. وفي الحديث ولا تشتمل اشتمال اليهود هو افتعال من الشملة وهو كساء يُتغطى به ويُتلفّق فيه، والمنهي عنه هو التجلّل بالثوب وإسباله من غير أن يرفع طرفه»[١].

ذكرت المصادر استعمال الشملة فيروي الأغاني أنه «كان العرجي يستقي على إبله في شملتين، ثم يغتسل ويلبس حلّة بخمسمائة دينار»[٢].

المطرف:

يقول ابن منظور: «المطرف واحد المطارف وهي أردية من خزّ مربّعة لها أعلام، وقيل ثوب مربّع من خزّ له أعلام. الفرّاء: المطرف من الثياب في طرفيه علمان»[٣]. ويقول الثعالبي إن المطرف كساء في طرفيه علمان[٤]. لم يرد للمطرف ذكر في كتب الحديث سوى ما روي أن عائشة كست عبد الله بن الزبير مطرف خزّ[٥]. وكان المطرف من لباس الطبقة الميسورة. فيروي ابن قتيبة أن بعض أشراف البصرة كانوا «إذا أتوا السلطان ركبوا ولبسوا المطارف»[٦]. وأكثر النصوص التي ذكرت المطرف ذكرته مقروناً بالخزّ. وممّن ذكر أنه لبس

(١) لسان العرب ١٣/٣٩١-٣٩٢.
(٢) الأغاني ١/٣٩٠.
(٣) لسان العرب ١١/١٢٣.
(٤) فقه اللغة ٢٤٦.
(٥) ابن حنبل ٤/٣٨٣، ٤٣٨. وانظر: فنسك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مادة طرف.
(٦) عيون الأخبار ١/٢٩٧.

مطرف خز: عثمان بن عفان[١]، ومحمد بن عمر[٢]، وعبد الله بن عمر[٣]، وأبو سلمة[٤]، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[٥]، ومحمد بن الحنفية[٦]، والوليد بن يزيد[٧].

كان مطرف الخزّ يلبس مع الجبّة. وممّن ذكر أنه لبسهما عبدالله بن عمرو بن عثمان[٨]. والسيد الحميري[٩]، ومحمد بن علي بن جعفر[١٠]. كما كان يلبس أيضاً مع البرنس، حيث ذكر أن شريح لبسهما[١١].

إن ألوان المطارف منوّعة: منها الأخضر وقد لبسه زياد[١٢]، والشعبي[١٣]، والأحمر وقد لبسه عبد الله بن عمرو بن عثمان[١٤]؛ والأصفر وقد لبسه أبو سلمة[١٥]، ومحمد بن الحنفية[١٦]، والشعبي[١٧]؛ والأدكن وقد لبسه عروة بن الزبير[١٨].

ولم يتردّد ذكر المطارف في العهود العباسية إلا مرة، ذكره الرشيدي ممّا يدل على تناقص استعماله.

---

(١) ابن سعد ٣-١/٤٠.
(٢) المصدر نفسه ٣-١/١٢٧.
(٣) المصدر نفسه ٥/٥٠.
(٤) المصدر نفسه ٦/٧١.
(٥) المصدر نفسه ٥/٨٤.
(٦) الأغاني ٧/٧.
(٧) المصدر نفسه ١٩/١٥.
(٨) المصدر نفسه ٧/٢٥٠.
(٩) ابن سعد ٥/٣٣٦.
(١٠) الأغاني ١٦/٣.
(١١) المصدر نفسه ٦/٩٦.
(١٢) ابن سعد ١٦/٣.
(١٣) المصدر نفسه ٥/١٧٦.
(١٤) المصدر نفسه ١٩/٥١.
(١٥) المصدر نفسه ٥/١١٦.
(١٦) المصدر نفسه ٥/٧٤، عيون الأخبار ١/٢٩٨.
(١٧) ابن سعد ٦/١٧٦.
(١٨) المصدر نفسه ٥/١٤٣.

الطيلسان:

يقول الجوهري: الساج الطيلسان الأخضر، والجمع سيجان[1]. ويقول ابن الأثير: «وفي حديث ابن عباس كان يلبس في الحرب من ما يكون من السيجان الخضر، جمع ساج، وهو الطيلسان الأخضر، وقيل الطيلسان المقوّر ينسج كذلك كان القلانس تعمل منها أو من نوعها. وفي حديث أبي هريرة أصحاب الدجال عليهم السيجان. وفي رواية: كلّهم ذو سيف محلّى وساج. وفي حديث جابر: فقام في ساجه .. وهو ضرب من ملاحف منسوجة»[2]. نقل ابن منظور كلام ابن الأثير وأضاف إليه قول ابن الأعرابي: «السيجان الطيالسة السود، واحدها ساج. .»[3] وقد تردّد في المصادر استعمال السيجان بالديباج، أو المدبّجة.

أما الطيالسة، فقد ذكر ابن منظور أنها ضرب من الأكسية، وأن الطلسة هي الغبرة إلى السواد[4]. ويعتبر الشافعي الطيالسة من أصناف مواد المنسوجات إذ يقول البياض والحرير والطيالسة والصوف كله والإبريسم[5].

ذكرت المصادر استعمال الصحابة والتابعين والعرب الطيلسان. وذكر أن جبير بن مطعم أول من لبس طيلساناً بالمدينة[6]. وكان بعض من شهد القادسية يلبس طيلساناً[7].

وروى ابن سعد بسند عن يزيد بن حازم أنه قال: «رأيت على علي بن الحسين طيلساناً كردياً غليظاً»[8]. وروى الواقدي بسند عن حكيم بن عباد بن

---

(١) الصحاح للجوهري ١/ ١٥٤.
(٢) النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٩٨.
(٣) لسان العرب ٣/ ١٢٧.
(٤) المصدر نفسه ٧/ ٤٣٠.
(٥) الأم ٣/ ١٠٨.
(٦) الاستيعاب لمعرفة الإصحاب ٣/ ٢٣٣.
(٧) ابن سعد ٦/ ١٠٤.
(٨) المصدر نفسه ٥/ ١٦١.

حنيف أنه قال: «رأيت أبا جعفر متكئاً على طيلسان مطوي في المسجد، قال محمد بن عمر (الواقدي) ولم يزل ذلك من فعل الأشراف وأهل المروءة عندنا الذين يلزمون المسجد يتكئون على طيالسة مطوية، سوى طيلسانه وردائه الذي عليه»[1]. ورد ذكر برنس من طيالسة، فيروي ابن سعد أن الأسود بن يزيد رؤي وهو يسجد في برنس طيالسة[2]. وورد في صحيح مسلم ذكر «جبة طيالسة كسروانية لها ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج»[3]. وأشارت المصادر إلى لبس الطيلسان مع الجبّة أو الحلل أو الإزار، والسراويل: فقد روى اليعقوبي أن الحكم بن أبي العاص خرج من عثمان وعليه جبّة خز وطيلسان[4]. وروى الأصفهاني أن المجنون كانت عليه «حلتان فاخرتان وطيلسان وقلنسوة»[5]. ودخل على سليمان بن علي فإذا عليه طيلسان مطبّق أبيض وسراويل وشي سدول. وذُكر الطيلسان المزود بالديباج، استعمله عروة بن الزبير[6]، وسعيد بن المسيّب[7]، وكريب[8]، وأبو ميسرة وأصحابه[9]، والأسود بن هلال[10]. ويُلبس الطيلسان مع الجبّة كما فعل الحكم بن أبي العاص[11]. وكانت للنبي جبّة من طيلسان[12]. كما كان يلبس مع الإزار، كما فعل سعيد بن المسيّب[13]. وتردّد ذكر الطيالسة الكردية ولبسها عدد من المسلمين[14]. وقد ذكرت في العهود

---

(١) ابن سعد ٥/ ١٣٧.
(٢) المصدر نفسه ٦/ ٤٩.
(٣) مسلم ٢/ ١٥٢.
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٨٩.
(٥) الأغاني ٢/ ٣٩.
(٦) ابن سعد ٥/ ١٣٤.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) المصدر نفسه ٥/ ٢١٦.
(٩) المصدر نفسه ٦/ ٧٢، ٨٦.
(١٠) المصدر نفسه ٦/ ٨١.
(١١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٨٩.
(١٢) ابن حنبل ٦/ ٣٤٧.
(١٣) ابن سعد ٥/ ١٠٢.
(١٤) المصدر نفسه ٥/ ١٦١، ٤-٢/ ٢٢١.

العباسية الطيالسة النيسابورية، والقومسية الزرق السلولية[١]. وذكر المقريزي الطيلسان المحشى المذهب[٢] والطيالسة السود[٣] والطيلسان المشرب[٤].

الساج:

ينقل ابن منظور عن ابن الأعرابي «السيجان الطيالسة السود، واحدها ساج، وفي حديث لابن عباس (رض) أن النبي كان يلبس في الحرب من القلانس ما يكون من السيجان الخضر وهو الطيلسان الأخضر، وقيل طيلسان المقوّر ينسج، كذلك كانت القلانس منها أو من نوعها، وحديث أبي هريرة أصحاب الدجال عليهم السيجان، وفي رواية كلّهم ذو سيف محلّى وساج، وفي حديث جابر فقام في ساجه .. وهو ضرب من الملاحف منسوجة»[٥]. ويذكر ابن سيده: «قال أبو عبيد: البت ثوب من صوف غليظ شبه الطيلسان. صاحب العين: وهو الذي يسمّى الساج، غيره الساج الطيلسان، كل طيلسان أخضر ساج .. ابن دريد: الساج هو الطيلسان وقيل الساج الطيلسان الغليظ الضخم»[٦].

ورد ذكر الساج في الأحاديث[٧]. وقد ذكر مالك: «والصوف كذلك منه ما يخرج منه السيجان العراقية وما أشبهها من الأسوانية، ومن الصوف ما لايكون منه هذه السيجان أبداً لاختلافه»[٨]. وذكر ابن سعد: «على أبي هريرة ساج زرّر بديباج»[٩].

ويقول الجوهري: الساج الطيلسان الأخضر والجمع سيجان[١٠]. ويقول ابن

(١) الموشى ١٧٩.
(٢) اتعاظ الحنفا ٢/ ٧١.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٩٢.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٥٩.
(٥) لسان العرب ٣/ ١٢٦. وانظر عن الطيالسة الجامع الكبير الشيباني ٢٥٣. رسوم دار الخلافة ٩١. اتعاظ الحنفا ٢/ ٧١، ٩٢، ٢٥٩؛ ١/ ٢٧٢.
(٦) المخصص ٤/ ٧٩.
(٧) انظر ابن حنبل ٣/ ١٧٠، ٣٩٢؛ ٤/ ٢١٦.
(٨) المدوّنة ١١/ ١٢.
(٩) ابن سعد ٤-٢/ ٨٥.
(١٠) الصحاح للجوهري ١/ ١٥٤.

الأثير: «وفي حديث ابن عباس كان يلبس في الحرب من القلانس مايكون من السيجان الخضر، جمع ساج، وهو الطيلسان الأخضر، قيل الطيلسان المقوّر ينسج كذلك كان القلانس تعمل منها أو من نوعها..»[1].

وتردد في المصادر استعمال السيجان المزررة بالديباج، أو المدبّجة. وقد أوردنا تفاصيل أخرى في ما كتبناه عن الساج في فصل مواد النسيج.

البتّ:

يقول ابن سيده: البتّ ثوب من صوف غليظ شبه الطيلسان. صاحب العين: وهو الذي يسمّى الساج. ابن السكيت: البتّ كساء أخضر مهلهل تلتحف به المرأة فيغتبها[2].

ويقول ابن منظور: «البتّ كساء غليظ مهلهل مربع أخضر وقيل من وبر وصوف.. التهذيب: البت ضرب من الطيالسة يسمّى الساج مربّع غليظ خضر والجمع بتوت. الجوهري: البتّ الطيلسان من خزّ ونحوه وفي حديث دار الندوة وتشاورهم في أمر النبي (ص) فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل عليه بتّ، أي كساء غليظ مربّع، وقيل طيلسان من خزّ وفي حديث علي (رض) أن طائفة جاءت إليه فقال لقنبر بتّتهم أي أعطهم البتوت. وفي حديث الحسن (رض): أين الذين طرحوا الخزوز والحبرات ولبسوا البتوت والنمرات. وفي حديث سفيان: أجد قلبي بتوت وعباء»[3]. وبالإضافة إلى ما ذكره ابن منظور، فقد ورد ذكر البتّ في حديث روته عائشة عن صلاة الرسول (ص) حيث قالت: «وما رأيته يلقي على الأرض بشيء قط إلا أني أذكر أن يوم مطر ألقيت تحته بتّاً..»[4].

البجاد:

يقول ابن منظور: «البجاد كساء مخطّط من أكسية الأعراب.. إذا غزل

(١) النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٩٨.
(٢) المخصص ٤/ ٧٩.
(٣) لسان العرب ٢/ ٣١٣.
(٤) ابن حنبل ٦/ ٥٨.

الصوف بسرّة ونسج بالصيصة فهو بجاد ..ومنه ذو البجادين، وهو دليل النبيّ (ص)، وهو عنبسة بن نهم المزني، قال ابن سيده: أراه كان يلبس في سفره مع سيدنا رسول الله (ص)، وقيل سمّاه رسول الله (ص) بذلك، لأنه حين أراد المصير إليه قطعت أمّه بجاداً قطعتين فارتدى أحدهما واتّزر بالأخرى»[1].

أما البرنس، فيقول ابن منظور: «البرنس كل ثوب رأسه منه ملتزق به، درّاعة كان أو ممطراً أو جبّة. الجوهري: البرنس قلنسوة طويلة وكان النسّاك يلبسونها في صدر الإسلام»[2]. وكان يصلّي بالبرنس بعض الصحابة مثل سعيد بن المسيّب[3]، وسعيد بن جبير[4]، وعلقمة[5]، ومسروق[6]. وكان يلبسه أيضاً ابن عون[7]، وأبو الدرداء[8].

ذكرت برانس من الخزّ لبسها بعض المسلمين مثل ابن أبي أوفى[9]، وأبي عبيدة بن عبد الله[10]، وموسى بن طلحة[11]، وعبد العزيز بن عبد الملك[12]. أما ألوانه، فقد ذكر منها برنس خز أدكن[13]، وبرنس أرجوان[14]. ولبس ابن المسيّب يوم الأضحى برنس أرجوان وعمامة سوداء[15].

---

(١) لسان العرب ٤/ ٤٣.
(٢) لسان العرب-مادة برنس.
(٣) الأم ١/ ١٠٦.
(٤) ابن سعد ٦/ ١٨٦.
(٥) المصدر نفسه ٦/ ٦٢.
(٦) المصدر نفسه ٦/ ٥١.
(٧) عيون الأخبار ١/ ٢٩٧.
(٨) البخاري ١-٢/ ٢٨.
(٩) ابن سعد ٤-٢/ ٣٦.
(١٠) المصدر نفسه ٦/ ١٤٦.
(١١) المصدر نفسه ٥/ ١٢١.
(١٢) الأغاني ٨/ ٤٤.
(١٣) ابن سعد ٤-٢/ ٣٦.
(١٤) الأم ١/ ٢٠٦.
(١٥) الأغاني ٩/ ١٠٦.

إن كافة النصوص التي أوردناها تبيّن أن البرانس من ألبسة الرجال. وتوجد نصوص أخرى تبيّن أن البرانس كانت من ألبسة النساء أيضاً. فيروي الأصفهاني: «جلست جميلة يوماً ولبست برنساً طويلاً، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك .. ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود، وعلى رأسها البرنس الطويل، وعلى عاتقها بردة يمانية، وعلى القوم أمثالها .. ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر فوضعتها على رأسها»[1].

ويبدو أن البرانس كانت غالية الثمن، فيروي الأصمعي «أن ابن عون اشترى برنساً من عمر بن أنس بن سيرين فمرّ على معاذة العدوية فقالت أمثلك يلبس هذا؟ قال فذكرت ذلك لابن سيرين، فقال ألا أخبرتها أن تميماً الداري اشترى حلّة بألف يصلّي بها»[2]. وكانت البرانس في القرن الرابع الهجري يلبسها الثوار بعد استسلامهم[3].

المستقة:

يقول ابن الأعرابي والأصمعي وأبو عبيدة: «المستقة هي فرو طويل الكم»[4]. ويقول أبو عبيد أن أصلها بالفارسية مشتة فعرّبت[5]. ويذكر شمر «أن النبي كان يلبس البرانس والمستاق ويصلي فيها». ويروى عن أنس أن «ملك الروم أهدى إلى النبي مستقة من سندس فلبسها»[6]. وكان يصلّي في المستقة كلّ من سعد بن أبي وقاص[7]، ويحيى بن وثاب[8]، وعلقمة[9]، ومسروق[10].

(١) الأغاني ٨/٢٦.
(٢) عيون الأخبار ١/٢٩٧.
(٣) تكملة الطبري ٥/٨، ١٨، ٢٩، ٣٠، ٤٠، ٥٣.
(٤) لسان العرب ١/٢٢٠. وانظر المعرب للجواليقي ١٣٠.
(٥) لسان العرب ١٢/١٨.
(٦) المصدر نفسه ١/٢٢٠.
(٧) ابن سعد ٣-١/١٠١.
(٨) المصدر نفسه ٦/١٠٩.
(٩) المصدر نفسه ٦/٦٢.
(١٠) المصدر نفسه ٦/٥١.

كما كان يلبس المساتق كلّ من الشعبي[1]، وابراهيم النخعي[2]. ويذكر ابن سعد: أهديت لعلي بن الحسين مستقة من العراق فكان يلبسها فإذا أراد أن يصلّي نزعها[3]. ويذكر الأصبهاني حنين «وعوده في حجره وعليه قباء خشك سوي وقال اسحق بخشكون ومستقة حمراء وخفان مكعبان»[4]. إن كافة هذه النصوص التي رواها ابن سعد تتعلّق بأهل العراق، ممّا يدلّ على شيوع استعمال المساتق لديهم. غير أن هذا لا يعني أن استعمالها قصر على أهل العراق، فقد رأينا أن بعض النصوص تذكر أن الرسول استعملها.

الجباب:

يقول ابن منظور: «الجبة ضرب من مقطّعات الثياب تلبس»[5]. وورد في نصوص كثيرة ذكر الجباب من الخزّ، منها جبة لكلّ من محمد بن علي[6]، وعروة بن الزبير[7]، والقاسم بن محمد[8]، والحكم بن العاص[9]، وعبيد الله بن عمر بن عثمان[10]، والعجاج[11]، والأخطل[12]، وحماد عجرد.[13] وذكرت النصوص أيضاً جبّة صوف[14]، وجبّة وشي[15]. كما ذُكرت الجبّة دون ذكر نسيجها[16]. وكان للنبي طيالسة عليها لبنة شبر من ديباج كسرواني وفرجاها

(١) ابن سعد ٦/١٧٦.
(٢) المصدر نفسه ٦/١٩٦.
(٣) المصدر نفسه ٥/١٦١. وانظر: البيان التبين للجاحظ ٢/٩٢.
(٤) الأغاني ٢/٣٥٠.
(٥) لسان العرب ١/٢٤٢.
(٦) ابن سعد ٥/١٣٦.
(٧) المصدر نفسه ٥/٢٣٤.
(٨) المصدر نفسه ٥/١٤١.
(٩) تاريخ اليعقوبي ٢/١٨٩.
(١٠) الأغاني ١٩/٥١.
(١١) المصدر نفسه ١٠/١٥٢.
(١٢) المصدر نفسه ٨/٢٩٩.
(١٣) المصدر نفسه ٨/٧٢.
(١٤) المصدر نفسه ٣/٥٧.
(١٥) المصدر نفسه ٧/١٣٠.
(١٦) ابن سعد ٥/٢١٥. الأغاني ٨/١٧٠٤/٢٥٠.

مكفوفان به[١]. أما ألوان الجباب فمنوّعة: منها البيضاء كجبّة عكرمة[٢]، وصفراء كجبّة القاسم[٣]، وجبّة محمد النفس الزكية يوم أعلن الثورة[٤]؛ أو خضراء كجبّة القاسم[٥]، أو حمراء كجبّة عبيد الله بن عمرو بن عثمان[٦]؛ أو دكناء كالجبّة التي رآها حماد عجرد على بعض الكتّاب[٧].

وقد تلبس الجبّة وحدها، فيروي عصام بن قدامة «كان عكرمة يؤمّنا في جبّة بيضاء ليس عليه قميص ولا إزار ولا رداء»[٨]؛ أو مع رداء، فيروي عطاء «رأيت القاسم وعليه جبّة خزّ خضراء ورداء مبشّت»[٩]، وكان على الوليد بن يزيد جبّة وشي ورداء وشي[١٠]. أو مع كساء، فيروي خالد بن الياس: «رأيت على القاسم بن محمد جبة خزّ وكساء خزّ وعمامة»[١١]؛ أو مع قميص، فيروي زيد بن أيوب «أمّنا سالم في قميص وجبّة قد اتّزر فوقها»[١٢]؛ أو مع مطرف، فيروي الأصفهاني أن الفرزدق «مر بعبيد الله بن عمرو بن عثمان وهو جالس في سقيفة داره عليه مطرف خز أحمر»[١٣]، وكذلك السيد الحميري؛ أو مع طيلسان، فيروي اليعقوبي أن سعيد بن أبي العاص خرج من دار عثمان وعليه جبّة خز وطيلسان.

العمائم:

العمائم ممّا تتميز به العرب منذ أيام ما قبل الإسلام. وقيل "تيجان العرب

(١) ابن حنبل ٥/٣٠٧.
(٢) ابن سعد ٥/٢١٥.
(٣) المصدر نفسه ٥/١٤٢.
(٤) الطبري ٣/١٩٦.
(٥) ابن سعد ٥/١٤١، ١٤٢.
(٦) الأغاني ١٩/٥١.
(٧) المصدر نفسه ١٣/٨٣.
(٨) ابن سعد ٥/٢١٥.
(٩) المصدر نفسه ٥/١٤٢.
(١٠) الأغاني ٦/٢٨١.
(١١) ابن سعد ٥/١٤١.
(١٢) المصدر نفسه ٥/٤٦.
(١٣) الأغاني ١٩/٥١.

العمائم*. فكما قيل في العجم توّج من تاج، قيل في العرب عمّم. والعرب تقول للرجل إذا سُوِّد عمّم، وكانوا إذا سوّدوا رجلاً عمّموه عمامة حمراء، ومنه قول الشاعر:

رأيتك هرّيتَ العمامة بعدما   أراكَ زماناً حاسراً لم تعصّبِ[1]

وكانت العمامة بعد الإسلام سمة الأعراب، فيروي الطبري: «لما حمل بنو حسن، كان محمد وابراهيم يأتيان معتمين كهيئة الأعراب فيسايران أباهما ويستأذنانه في الخروج»[2].

كانت أكثر العمائم شيوعاً السوداء، وقد استعملها عمر بن الخطاب[3]، وعلي[4]، ومعاوية[5]، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن المسيّب[6]، ومحمد بن الحنفية[7]، وعبد الرحمن بن زيد[8] والأسود بن زيد[9]. وكانت العمامة التي رفعها حمزة الخارجي في عرفة سنة ١٢٩ سوداء حرقانية[10].

غير أن عدداً من الصحابة كان يستعمل العمائم البيضاء ومنهم سالم بن عبد الله[11]، والقاسم بن محمد[12]، وسعيد بن المسيّب[13]، ونافع بن جبير[14]،

---

(١) لسان العرب ٥/٢١٩.
(٢) الطبري ٣/١٧٦.
(٣) عيون الأخبار ٣/٤٦.
(٤) ابن سعد ٣-١/١٨.
(٥) المصدر نفسه ٤-١/٨٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٤.
(٦) ابن سعد ٥/١٠٢.
(٧) المصدر نفسه ٥/٨٤.
(٨) المصدر نفسه ٦/٨٣.
(٩) المصدر نفسه ٦/٤٩.
(١٠) الطبري ٢/١٩٨١.
(١١) ابن سعد ٥/١٤٦.
(١٢) المصدر نفسه ٥/١٤٣.
(١٣) المصدر نفسه ٥/١٠٢.
(١٤) المصدر نفسه ٦/١٧٠.

وخارجة بن زيد[١]، وعلي بن الحسين[٢]، والشعبي[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، وأبو هريرة[٥]، والفرزدق[٦]، والحميري[٧]. وذُكر أن الشعبي كانت له عمامة حمراء[٨]، وكانت عمامة سعيد بن العاص بيضاء لها علم أحمر[٩].

وقد تكون العمامة رفيعة كعمامة الحسن بن علي[١٠]. يروي الكليبي «أن الرسول عمّ علياً بيده فسدلها من بين يديه وقصّرها من خلفه قدر أربع أصابع»[١١]. وكانت العمامة ترخى أحياناً من الخلف كالذي فعله كل من الخليفة أبو بكر[١٢]، و عمر[١٣]، وسعيد بن المسيّب[١٤]، ومحمد بن علي بن الحسين[١٥]، وسالم بن عبد الله[١٦]، وشريح[١٧]، والأسود بن يزيد[١٨]، وابراهيم النخعي[١٩]، وعبيد الله بن عبد الله[٢٠]، والقاسم بن محمد[٢١]، وسعيد بن جبير[٢٢].

---

(١) ابن سعد ٥/ ١٩١.
(٢) المصدر نفسه ٥/ ١٦١.
(٣) المصدر نفسه ٦/ ١٧٠.
(٤) المصدر نفسه ٦/ ١٨٦.
(٥) المصدر نفسه ٤-٢/ ٥٦.
(٦) الأغاني ١٩/ ٥١.
(٧) المصدر نفسه ٧/ ٢٥٠.
(٨) ابن سعد ٦/ ١٧٦.
(٩) المصدر نفسه ٥/ ١٠٢.
(١٠) المصدر نفسه ٥/ ٢٤١.
(١١) الكافي ٦/ ٤٦١.
(١٢) ابن سعد ٣-١/ ١٩.
(١٣) المصدر نفسه ٥/ ١٠٢.
(١٤) المصدر نفسه ٤-١/ ١٢٨.
(١٥) المصدر نفسه ٥/ ١٦١.
(١٦) المصدر نفسه ٥/ ١٤٦.
(١٧) المصدر نفسه ٦/ ١٩٦.
(١٨) المصدر نفسه ٥/ ٤٩.
(١٩) المصدر نفسه ٦/ ١٩٧.
(٢٠) المصدر نفسه ٥/ ١٥٠.
(٢١) المصدر نفسه ٥/ ١٤٣.
(٢٢) المصدر نفسه ٦/ ١٨٢.

وقد ترخى العمامة من الأمام والخلف، فيروى «رأيت علياً متعصباً بعصابة سوداء ما أدري أي طرفيها أطول الذي قدّامه أو الذي خلفه، يعني عمامته»[1].

ويروى أن معاوية «اطلع في بئر بالأبواء فأصابته لقوة فاعتمّ بعمامة سوداء وسلّها إلى الشق الذي أصيب به»[2]. و«روي معاوية على المنبر معتماً عمامة سوداء فسدلها على فيه»[3]. ولما خرج محمد النفس الزكية «كان عليه عمامة قد شدّ بها حقويه»[4]. وكان على عبد الرحمن بن يزيد «عمامة غليظة الكور»[5]. ويقول ابن أبي خالد: «رأيت شريحاً معتماً بكور واحد»[6]. وقد يُلبس عليها برنس[7].

وبعض العمائم من الخزّ كعمامة العجاج[8]. وقد تكون حرقانية كعمامة عبد الله بن عمرو[9]، ومحمد بن الحنفية[10].

ورد ذكر العمائم في مؤلفات القرن الرابع الهجري، فتكرّر ذكرها في كتاب الذخائر والتحف للرشيدي[11]. كما ذكرها التنوخي في رسوم دار الخلافة[12]. وذكر منها العمامة المعتّمة السوداء، والعمامة المعقولة، والعمامة الصفراء[13]. وذكر الوشّاء العمامة السوسية[14]. وذكر مؤلف حكاية أبي القاسم «عمائم قطن كحلية تعلق في أعدابها خيوط خضر وحمر»[15].

---

(١) ابن سعد ٣-١/١٨.
(٢) عيون الأخبار ٣/٤٦.
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٨٤.
(٤) الطبري ٣/١٩٦.
(٥) ابن سعد ٦/ ٨٣.
(٦) المصدر نفسه ٦/ ٩٦.
(٧) المصدر نفسه ٥/ ١٠٢.
(٨) الأغاني ١٠/ ١٥٢.
(٩) ابن سعد ٤-٢/ ١١.
(١٠) المصدر نفسه ٤٥.
(١١) الذخائر والتحف ٧٣، ٧٩، ٨٢، ١٠٧، ١٦٢، ٢١٢، ٢٤١، ٣٠٢، ٣٣٠، ٤١٥.
(١٢) رسوم دار الخلافة ١٢، ٧٧، ٧٨، ٩٢.
(١٣) رسوم دار الخلافة ٩١.
(١٤) الموشى ١٣٦.
(١٥) حكاية أبي القاسم ١٥٠.

وذكر المقريزي العمائم المستعملة في مصر في زمن الفاطميين. ومما ذكره العمامة السوداء[١]، والناصرية[٢]، وفوطية[٣]، وعمامة طائر[٤]. والعمامة المذهّبة[٥]، والمذهّبة الطميم[٦]، والمسلمة المذهّبة[٧].

وذكر عمامة شرب بيضاء مذهّبة[٨]، وعمامة شرب بيض[٩]، وشرب فوطة بسواد[١٠]. كما ذكر الشاشية[١١]، وذكرت في مصادر القرن، وذكر المقريزي الشاشية المرصّعة[١٢].

وذكر المقريزي الطاقية[١٣]، والشربوش[١٤]، والكلوتة[١٥].

ظلّت العمائم العباسية أكثر شيوعاً في الجزيرة العربية والعراق، وبها تميّز أهلها، وامتد استعمالها إلى بعض الأقاليم، فكانت البيضاء وهي أكبر مدن فارس أهلها مياسير وزيّهم زيّ العراقيين في اللباس والعمائم[١٦]. وكان أهل كان من بلاد السودان يلبسون الثياب المصبغة من القطن والمصمت وغير ذلك وكلهم يلبسون عمائم حمراء وقميصاً أصفر[١٧].

---

(١) اتعاظ الحنفا ٢/ ٩٢.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١٩٤.
(٣) المصدر نفسه ١/ ١٠٧.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٣١.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٤٨.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٥، ١٣١.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٣٩.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ١٤٨.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ١٣.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ١٣٧.
(١١) الوزراء والكتاب للجهشياري ٦٦٥، رسوم دار الخلافة ٢٢، الذخائر والتحف ٧٨، ٢٤١.
(١٢) اتعاظ الحنفا.
(١٣) السلوك ١/ ٢٥٢.
(١٤) المصدر نفسه ١/ ١٥٢، ٣٩٣، ٦٢٧.
(١٥) اتعاظ الحنفا ٢/ ٢٩٠، السلوك ٦/ ٤٩٢، ٨٢٠.
(١٦) الروض المعطار للحميري ٨١ ب.
(١٧) المصدر نفسه ٨٦.

أما أهل الأندلس، فلم يلبسوا العمائم والخزّ، وسئل الفقيه الأندلسي يحيى بن يحيى عن لبس العمائم «فقال هي لباس الناس في المشرق وعليه كان أمرهم في القديم، فقيل لو لبستها اتبعك الناس في لباسها فقال قد لبس ابن البشير الخز فلم يتبعه الناس وكان ابن البشير أهلاً أن يقتدى به فلعلّي لو لبست العمامة لتركني الناس ولم يتبعوني كما تركوا ابن بشير»[1]. وكان محمد بن البشير يصلّي بالناس يوم الجمعة وعليه قلنسوة خز[2]، فلم يتوسّم عليه القضاء[3]. ولما ولي قضاء قرطبة جلس للحكم في المسجد وعليه جبّة صوف، وفي رأسه أبيض وغفارة بيضاء من ذلك الجنس[4].

القلنسوة:

يذكر الكليني أن الرسول (ص) كان «يلبس القلانس اليمنة والبيضاء والمضرية وذات الأذنين في الحرب». ويذكر عن جعفر الصادق أنه قال لرجل «اعمل لي قلانس بيضاء ولا تكسّرها فإن السيد مثلي لايلبس المكسّر». وفي رواية أخرى: «ولا تجعلها مضمّتة فإن السيد مثلي لا يلبسها»[5].

قد تكون القلنسوة من جلود الثعالب، فيروي ابن سعد عدة روايات تذكر أن ابراهيم النخعي كان يلبس قلنسوة ثعالب، وقلنسوة من الطيالسة في مقدّمها جلد ثعلب أو قلنسوة ثعالب أو مبطنة أو مكفوفة من ثعالب[6]. ويروى رجل أنه رأى على الضحاك بن مزاحم قلنسوة ثعالب[7].

وقد تكون القلنسوة من خزّ، فكانت للشعبي «قلنسوة خزّ أخضر»[8]، وكذلك للقاسم بن محمد[9].

---

(١) قضاة الأندلس للخشني ٥٦.
(٢) المصدر نفسه ٤٩.
(٣) المصدر نفسه ٥٢.
(٤) المصدر نفسه ٩٤.
(٥) الكافي ٦/٤٦٢؛ الجامع لأخلاق الراوي والسامع ١/٣٥٣.
(٦) ابن سعد ٦/١٩٦.
(٧) المصدر نفسه ٦/٢١٠.
(٨) المصدر نفسه ٦/١٧٦.
(٩) المصدر نفسه ٤/١٤٠-١٤١.

والقلنسوة قد تكون بيضاء كقلنسوة كلٍّ من سعد بن عبد الله[1]، وعلي بن الحسين[2]، وعبيد الله بن عبد الله[3]، والقاسم بن محمد[4]. أو سوداء كقلنسوة حمزة بن أبي سلالة[5]، أو أسماطاً كقلنسوة نافع بن جبير[6]، أو صفراء مضرية كقلنسوة محمد النفس الزكية[7]. وكانت لسعيد بن المسيّب قلنسوة لطيفة بعمامة بيضاء لها علم أحمر[8]. وقد تكون من وشي مذهّبة كقلنسوة الوليد بن يزيد[9].

ومما استعمله الخلفاء والفقهاء والتجار في العصر العباسي، القلانس الطوال والرصافية، مما سنتحدّث عنه في الفصل التالي.

---

(١) ابن سعد٥/١٤٦.
(٢) المصدر نفسه ٥/١٦١.
(٣) المصدر نفسه ٥/١٥٠.
(٤) المصدر نفسه ٥/١٤٢.
(٥) الأغاني ٢١/٣٥.
(٦) ابن سعد ٥/١٥٢.
(٧) الطبري ٣/١٩٦، الأغاني ١٨/٤.
(٨) ابن سعد ٥/١٠٢.
(٩) الأغاني ٧/٩١.

الفصل الثامن

الأزياء

أدّى التطوّر الحضاري إلى ظهور فئات متعدّدة لكل منها زيّ خاص تتميّز به؛ ووردت إشارات إلى تاريخ بدء أو إبطال استعمال بعض الأزياء، إلا أنها لم تستوعب في ذلك كافة الأزياء. وقد أجمل الجاحظ الإشارة إلى كثير من هذه الأزياء وتنوّعها في زمنه وهو أوائل القرن الثالث، فذكر: «ولكل قوم زي، وللقضاة زي ولأصحاب القضاة زي، وللشرطة زي، وللكتاب زي، ولكتاب الجند زي». وذكر أزياء بعض هذه الفئات، فقال: «وزي مجالس الخلفاء عن الشتاء والصيف فرش الصوف».

وللخلفاء عمّة، وللفقهاء عمّة، وللبقّالين عمّة، وللأعراب عمّة، وللّصوص عمّة، وللأبناء عمّة، ولليهود عمّة، ولأصحاب التشاحي(؟) عمّة[1]. واتّخذ الخلفاء العمائم على القلانس مكشوفة، وزادوا في طولها وحدّة رؤوسها حتى تكون فوق قلانس جميع الأمة[2].

ذكر أن «أصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب، فمنهم من يلبس المبطّنة، ومنهم من يلبس الدراعة، ومنهم من يلبس القباء، ومنهم من يلبس البازكند ويعلّق الخنجر ويأخذ الجرز ويتّخذ الجمة. «وقد يلبس الناس الخفاف والقلانس في الصيف كما يلبسونها في الشتاء إذا دخلوا على الخلفاء، وعلى

---

(١) البيان والتبيين ٢/ ١١٤.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ١١٧.

الأمراء وعلى السادة والعظماء، يرون أن ذلك أشبه بالاحتفال والتعظيم والإجلال والبعد عن التبذّل والاسترسال وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم في منازلهم ومواضع انقباضهم».

وكانت الشعراء تلبس الوشي والمقطّعات[1]. «وقد لايلبس الخطيب الملحفة ولا الجبّة ولا القميص ولا الرداء؛ والذي لا بدّ منه العمّة والمخصّرة، وربما قام فيهم وعليه إزار قد خالف بين طرفيه، وربما قام فيهم وعليه عمامته، وفي يده مخصرته»[2].

وردت في المصادر معلومات كثيرة متفرّقة عن الأزياء، وبخاصة للخلفاء والمتّصلين بهم في بغداد إبّان القرون الأولى من تأسيسها، ندرجها مصنّفة تبعاً لفئات لابسيها.

ألبسة الخلفاء الأمويين:

أول ذكر لاهتمام الخلفاء بألبسة خاصة بهم ترجع إلى زمن الأمويين، فيروي الجاحظ أن عبد الملك بن مروان كان إذا لبس الخف الأصفر لم يلبس أحد من الخلق الخف الأصفر حتى يبدله[3].

واهتمّ سليمان بن عبد الملك بالوشي فكان يلبسه، وأمر من في خدمته وحاشيته أن يلبسوه[4] ويروي المدائني: كان هشام بن عبد الملك وبنو مروان كلهم لا يكسون الناس الخزّ الأحمر والأصفر، ويكسونهم ما وراء ذلك من الألوان، ويدّخرون الأحمر والأصفر لكسوتهم[5].

ألبسة الخلفاء العباسيين:

ولما ولّي أبو جعفر المنصور الخلافة اتّخذ السواد شعاراً رسمياً وعمّمه،

(١) البيان والتبيين ٢/ ١٤٠.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٩٢.
(٣) التاج في أخلاق الملوك للجاحظ ٤٧.
(٤) انظر ماكتبناه عن ترويج سليمان بن عبد الملك لبس الوشي في كتابنا "عمر بن عبد العزيز".
(٥) الأنساب ٢٣٨.

وفي هذا يقول الطبري: «أمر أبو جعفر الناس بالسواد، فكنت أراهم يصبغون ثيابهم بالمداد، ويروى عن علي بن الجعد رأيت أهل الكوفة أيامئذ أخذوا بلبس الثياب السود حتى البقالين أن أحدهم ليصبغ الثوب بالأنقاش ثم يلبسه»[1].
ويروي الأصفهاني: «كان أبو جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها، ويكتبوا على ظهورهم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة].

ويذكر الطبري أنه في سنة ١٥٣ «أخذ المنصور الناس بلبس القلانس المفرطة الطول، وكانوا فيما ذكر يحتاجون لها بالقصب من داخل»[2].

لم يعرف عن المهدي إشاعة بشيء من الألبسة، غير أن علي بن محمد بن سليمان يروي «كان أول من افترش الطبري، المهدي؛ وذلك أن أباه كان أمره بالمقام بالرّي فأهدى إليه الطبري من طبرستان، فافترشه وجعل الثلج والخلاف حوله حتى فتح له الخيش فطاب لهم الطبري فيه»[3].

يذكر المسعودي أن زبيدة زوجة هارون الرشيد، «أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكلّلة بالجواهر، وصُنع لها الرفيع من الوشي حتى بلغ الثوب من الوشي الذي اتخذ لها خمسين ألف دينار، وهي أول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجواري.. وأول من اتّخذ القباب من الفضة والأبنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبسة بالوشي والسمور والديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق، واتّخذت الخفاف المرصعة بالجوهر وشمع العنبر، وتشبّه الناس في سائر أفعالهم بأم جعفر»[4].

ولبس المعتصم «الثياب الضيقة الأكمام، فضيّق الناس أكمام ثيابهم، ولبس الخفاف الكبار والشاشية المربّعة، فلبسها الناس تشبّهاً به، فقيل الشاشية المعتصمي»[5].

---

(١) الطبري ٣/ ٢٩٩.
(٢) المصدر نفسه ٣/ ٣٧١.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٥٣٦.
(٤) مروج الذهب ٤/ ٢٢٦.
(٥) مشاكلة الناس لزمانهم ٣١.

ويروى أن المتوكّل «أظهر للناس ثياب الملحمة وفضّل ذلك على سائر الثياب، واتّبعه من في داره على لبس ذلك، وشمل الناس لبسه وبالغوا في ثمنه اهتماماً بعمله، واصطنع الجيد منها لمبالغة الناس فيها وميل الراعي والرعية إليه، فالباقي في أيدي الناس إلى هذه الغاية من تلك الثياب يعرف بالمتوكّلية، وهي نوع من ثياب الملحم نهاية في الحسن والصنع وجودة الصنع»[1].

وأحدث المستعين لبس الأكمام الواسعة ولم تكن تعهد لذلك، فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك، وصغّر القلانس وكانت قبل ذلك طوالاً كأقباع القضاة[2]. وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب، وكان من سلف قبله من خلفاء بني العباس وكذلك جماعة من بني أمية يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة والمناطق وأنجاد السيوف والسرج واللجم، فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتّبعه الناس في فعل ذلك[3].

ولما ولّي المهتدي الخلافة «قلّل من اللباس والفرش والمطعَم والمشرَب، وأمر بإخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنانير ودراهم، وعهد إلى الصور التي كانت في المجالس فمحيت، وذبح الكباش التي كان يُناطح بها بين يدي الخلفاء والديوك، وقتل السباع المحبوسة، ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة بإباحته، وكانت الخلفاء تنفق في كل يوم عشرة آلاف درهم، فأزال ذلك وجعل لمائدته وسائر قومه في كل يوم نحو مائة درهم»[4].

وفي القرن الرابع الهجري، كان الخليفة وحده يلبس الخف الأحمر داخل دار الخلافة، وينكر على الآخرين لبسه. ولما لبسه القاضي ابن أبي الشوارب، وهو من أصل أموي، زجره الحاجب وأمر بنزع خفّه... ولم ينكر الخليفة الطائع ذلك العمل[5].

---

(1) مروج الذهب ٤/٣، مشاكلة الناس لزمانهم ٣٣.
(2) مروج الذهب ٤/ ٩٤.
(3) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(4) المصدر نفسه ٤/ ١٠٣.
(5) رسوم دار الخلافة ٧٥.

وصف الصابي لباس الخليفة في المقابلات الرسمية، فذكر أن الخليفة «يجلس مكانه في السدلى في دست خز أسود نسيج ذهب، ويلبس البردة وبيده القضيب، وعلى رأسه الرصافية»[1]. وذكر أن الذي جرت به العادة أن يكون جلوس الخليفة على كرسي في دست كامل أرمني أو خز، وأن يكون فرش جميع المجالس أرمنياً في صيف وشتاء، ويكون لباسه قباء أسود أو مصمّماً أو معلماً، أما الديباج والسقلاطون والمنقوش فلا، ويجعل على رأسه عمّة سوداء رصافية ويلبس خفّاً أحمر[2].

القلنسوة الطويلة:

استعملت القلانس الطوال منذ زمن الأمويين. فلما حجّ هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي، وقف له حنين وعليه قلنسوة طويلة[3]. ولما ولّي العباسيون الخلافة عمّموا استعمالها، فيروي الطبري أنه في سنة ١٥٣ «أخذ المنصور الناس بلبس القلانس المفرطة الطول، وكانوا فيما ذكر يحتالون لها بالقصب من داخل»[4]. ويروي الأصفهاني: «كان أبو جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها»[5].

وأول ذكر لارتداء الخلفاء القلانس الطويلة كان في زمن المهدي حيث ينقل الطبري عن الربيع قوله في بيعة المهدي «نزلت إلى أمير المؤمنين فألبسته الطويلة»[6]. وعندما بويع الأمين «لبس ثياب الخلافة؛ دراعة وطيلساناً والقلنسوة الطويلة»[7]. ويقول اليعقوبي إن الرشيد أول خليفة لبس الطويلة الرصافية[8]، ولعله قصد في ذلك الرصافية، وهي قلنسوة طويلة.

---

(١) رسوم دار الخلافة ٨١.
(٢) المصدر نفسه ٩٠.
(٣) الأغاني ٢/ ٣٤٢.
(٤) الطبري ٣/ ٣٧٦.
(٥) الأغاني ١٠/ ٢٦٣.
(٦) الطبري ٣/ ٤٧٧
(٧) المصدر نفسه ٣/ ٩١٧.
(٨) مشاكلة الناس لزمانهم.

أما المعتصم، فإن المسعودي يذكر أنه «لبس القلانس والشاشيات، فلبسها الناس اقتداء بفعله وانتماءاً به فسمّيت المعتصميات»[1]. غير أنه لم يرد ذكر لاستمرار شيوع استعمالها.

ظلت القلانس الطويلة تُلبس عند البيعة، فلما توفّي الواثق أرادوا مبايعة أبي جعفر بن المعتصم فأحضروه فقام أبن أبي دؤاد فألبسه الطويلة وعمّمه بيده على الطويلة»[2]. ويذكر الطبري أنهم ألبسوه درّاعة وقلنسوة رصافية ثم عدلوا إلى بيعة محمد بن الواثق وهو المتوكّل، فألبسه أحمد بن أبي دؤاد الطويلة وعمّمه[3].

ولما ولّي المستعين ألبسوه الطويلة وزيّ الخلافة، وخرج إلى الناس وعليه البردة والطويلة. ويذكر المسعودي أن المعتز صغّر القلانس وكانت قبل ذلك طوالاً كأقباع الفقهاء[4].

عَلَم الخلافة:

كان علم الخلافة وهو شبيه باللواء أسود كتب عليه ببياض محمد رسول الله (ص)[5]. ولما بايع المتوكّل لابنيه المعتز والمؤيد (عقد لكل منهما لواءين): أحدهما أسود وهو لواء العهد، والآخر أبيض وهو لواء العمل[6]. وفي بيعة الراضي، عزم علي بن عيسى «أن يعقد لواءً لنفسه على الرسم في ذلك، فاستحضر اللواء وعقده بيده ثم أمر بالاحتفاظ به»[7].

وعندما «خرج المقتدر يريد رقة الشماسية، كان عليه خفتان ديباج تستري وعليه عمامة سوداء مصمت والبردة التي كانت للنبي على كتفيه وصدره وظهره.. وحمائله أدم أحمر، وفي يده اليمنى الخاتم والقضيب، وتحت الفرش وعلى

(١) مروج الذهب ٤/ ٢٢٨.
(٢) الطبري ٣/ ١٣٦٨.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ١٦٣٢.
(٤) مروج الذهب ٤/ ٩٤.
(٥) مسكويه ١/ ١٧٦.
(٦) الطبري ٣/ ١٩٥٠.
(٧) مسكويه ١/ ٢٩٠.

سرج معزي أحمر عليه حديدة، وبين يديه أبو أحمد عبد الواحد عليه خفتان ديباج رومي منقوش وعمامة بيضاء، وخلفه وزيره الفضل بن جعفر بن الفرات، وقدّامه لواء أبيض وراية سوداء يحملها أبو نصر اللاي، واللواء يحمله أحمد بن حفيف السمرقندي، وعلمان أبيضان وعلمان أصفران يحملهما الأنصار، ومعهم رماح على رؤوسهم مصاحف»[1]. وعندما جعل القادر بالله ابنه الفضل ولي عهده جلس على السدّة العالية بثياب سود متقلّداً سيفاً بحمائل في البيت المعروف ببيت الرصاص، وبين يديه نهر يجري الماء فيه إلى دجلة[2].

وذكرت للطائع فرجية على كتفه «وكانت من الوشي القديم فباعها بمائة وسبعين ديناراً». ويذكر أن الطائع ركب للصلاة «وعليه السواد قباء وعمامة»[3]. وعندما بويع المقتدي جلس في دار الشجرة على كرسيّ بقميص وعمامة بيضاء ورقيمة فوقها طرّاحة قصب دزّي[4].

لباس القوّاد:

لما قدم المأمون بغداد دعا بعدّة قواده فألبسهم أقبية وقلانس سوداً[5]. ولما دخل إيتاخ بغداد كان عليه قباء أبيض متقلّداً سيفاً بحمائل[6]. وفي سنة ٢٥٣ خلع المعتزّ على بُغا الشرابي[7]، ثم خلع المعتمد على ابن كنداج وقلّده سيفين بحمائل أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره[8]. ثم خلع عليه بعد يومين قباء ديباج[9]، وخلع القاهر على يلبق[10]، وخلع المقتدر على ابن أبي الساج خلعاً

(١) عريب ٩١.
(٢) مسكويه ٢/ ١٦٢.
(٣) المنتظم ٧/ ٦٧.
(٤) رسوم دار الخلافة ٩.
(٥) الطبري ٣/ ١٠٣٨.
(٦) المصدر نفسه ٣/ ١٢٨٥.
(٧) المصدر نفسه ٣/ ١٦٨٧.
(٨) المصدر نفسه ٣/ ٢٠٤٠.
(٩) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(١٠) مسكويه ١/ ٢٥٨.

سلطانياً[١]. ولما صار ابن اسحاق بن ابراهيم مكان أبيه كسي خمس خلع وقُلّد سيفاً[٢]؛ وخُلع على أبي الساج خمس خلع وقُلّد سيفاً، وخلع على حبشون بن بغا الكبير خمس خلع، وعلى يوسف بن يعقوب أربع خلع؛ وخلع المعتز على أبي الساج ستة أثواب وسيفاً. وقلّده سيفاً آخر مرصّعاً بالجواهر، وأجلس على الكرسي[٣].

ولم يذكر مقدار كل خلعة ويظهر أنها أصبحت ستّاً فيما بعد، فيذكر الروذراوري أنه ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة وخلع عليه الخلع السبع والعمّة السوداء[٤]. وخلع على فخر الدولة الخلع السبع والعِمّة السوداء والسيف[٥]. وخلع القائم على أبو نصر ابن شرف الدولة الخلع السلطانية، وخرج وعليه سبع طاقات أعلاها سواد، وعلى رأسه عمامة سوداء، وفي عنقه طوق كبير، وفي يده سواران، ومشى الحجّاب بين يديه بالسيوف والمناطق[٦].

وفي القرن الرابع، كانت خلع أصحاب الجيوش، وولاة الحرب والوزراء، عمامة مصمتة سوداء، وسواد مصمت بجريان مبطن الأسفل منه، وسواد آخر مصمت بغير جريان، وخز سوسن أحمر موشّى مذهّب، وملحم ومصمت خليجي وقباء بيض وسيف وخلع الفتوح طوق وسوارين[٧].

اللواء:

وفي سنة ٣٣١، خلع المتقي على ابن رائق وعقد له لواء، وقلّده إمرة الأمراء[٨]. ثم خلع المتّقي أيضاً على ناصر الدولة، وعقد له إمرة الأمراء،

---

(١) مسكويه ١/ ٢٤٩.
(٢) الطبري ٣/ ١٤٠٣.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ١٥٩٤.
(٤) مسكويه ١/ ٤٩.
(٥) ذيل تجارب الأمم ٣/ ٨٤.
(٦) المنتظم ٧/ ١٤٧.
(٧) رسوم دار الخلافة ٩٥.
(٨) مسكويه ٢/ ٢٢.

وخلع عليه وعلى أخيه طوقين وأربعة أسورة[1]. وفي سنة ٣٧٢، عقد لصمصام الدولة لواءين[2] وخلع فخر الدولة الخلع واللواء[3]، واللواء حرير أبيض كتبت على وجهه آيات قرآنية[4].

وكان رسم الأعاجم التحيّة بالرياحين، فلما صار ناصر الدولة أميراً حيّوه بها[5]. ولما أصبح عضد الدولة خليفة أبيه اعترف له مؤيد الدولة وفخر الدولة به وخدماه بالريحان على الرسم المعروف لهم[6]. وفي مخطوط من أواخر القرن الرابع الهجري، أن الريحان عندهم يعبّر عن الإمارة والبيعة.

ومنذ زمن المعتصم، يتردّد ذكر التتويج والمنطقة والأوشحة. فيذكر الطبري أن المعتصم توّج الأفشين وألبسه وشاحين بالجوهر، وأمر الأفشين لسهل بألف ألف درهم ومنطقة مزيّنة بالجوهر وتاج البطرقة[7]. وتوّج الواثق أشناس، وألبسه وشاحين بالجوهر[8]. ولما استوزر المعتز أحمد بن إسرائيل خلع عليه ووضع تاجاً على رأسه[9]. وفي سنة ٣٧٣ «ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة وخُلع عليه الخِلع السبع والعمّة السوداء، وسُوّر وطُوّق وتُوّج وعقد له لواءان، وحُمل على فرس بمركب ذهب، وقُيّد بين يديه مثله، وقرىء عهده بتقليد الأمور»[10].

ولا ريب في أن للتاج مكانة متميّزة، ولم يلبسه إلا كبار الممارسين للسلطة. ويذكر مسكويه أن مرداويج «كان في نفسه أن نفسه يملك بغداد ويعقد التاج

(١) مسكويه ٢/ ٢٨.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٤٤.
(٣) ذيل تجارب الأمم ٣/ ٢٨٥.
(٤) رسوم دار الخلافة ٩٥.
(٥) مسكويه ٢/ ٨٢.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٣٦٤.
(٧) الطبري ٣/ ١٢٣٣.
(٨) المصدر نفسه ٣/ ١٣٣٠.
(٩) المصدر نفسه ٣/ ١٦٣٤٧.
(١٠) ذيل تجارب الأمم ٣/ ٨٤.

على رأسه ويعيد ملك فارس»[١]. وخلع على أبي كاليجار، فلبس السبع الكاملة والعمامة السوداء والعمّة الرصافية والطوق والسوارين وقلّد سيفاً... ووضع على رأسه التاج المرصّع وبرز له لواءان معقودان، وقلّد سيفاً بحمائل، وقدم ألبسة فرس أدهم بركب ذهب[٢]. وعندما تزوّج خديجة بنت أخي السلطان طرح عليها «فرجية مطوقة بالذهب وعاجاً مرصّعاً بالجوهر»[٣].

التطويق:

يروي الطبري عن فتنة في عهد الخليفة العباسي المقتدر، فيقول: قُتل قائد «من قواد الأتراك يُقال له سور... فأمر ابن طاهر به فطُوّق، وكان وزن الأطواق كل طوق ثلاثين ديناراً، وكلّ سواء سبعة مثاقيل ونصف»[٤]. وفي سنة ٣٠٤ خلع المقتدر على مؤنس وطوّق وسوّر[٥]. ولما «صار ابن أبي الساج إلى الري حمل إليه المقتدر خلعاً سلطانية وسيفاً ومنطقة ذهب وخيلاً بمراكب ذهب وفضة وطيباً وسلاحاً»[٦]. وفي سنة ٣٢١ خلع القاهر على يلبق وطوّقه بطوقين وسوارين مرصّعين بالجوهر[٧]. ولما انتصر ياقوت على هارون بن غريب، خُلع على ابن ياقوت وطوّق وسور.[٨] في سنة ٣٣١، خلع المتقي لله عى ابن رائق وطوّقه وسوّره بطوق وسوار مرصّعين بالجوهر[٩]. «وخلع على ناصر الدولة وأخيه وطُوّقا وسُوّرا بطوقين... وأربعة أسورة ذهباً»[١٠]. ولما حصل توزون ببغداد خلع المتقي عليه عقد لواء وقلّده أمرة الأمراء[١١]. وفي سنة ٣٧٣،

---

(١) مسكويه ٣١٦/١.
(٢) المنتظم ١٣٦/٧.
(٣) المصدر نفسه ١٧٠/٧.
(٤) الطبري ١٥٩١/٣.
(٥) مسكويه ٥٠/١.
(٦) المصدر نفسه ١٤٩/١.
(٧) المصدر نفسه ٢٥٨/١.
(٨) المصدر نفسه ٣٠٩/١.
(٩) المصدر نفسه ٢٢/٢.
(١٠) المصدر نفسه ٢٩/٢.
(١١) المصدر نفسه ٤٤/٢.

«ركب صمصام الدولة إلى دار الخلافة، وخُلع عليه الخلع السبع والعمة السوداء وسُوّر وطُوّق وتُوّج وعُقد له لواءان وحُمل على فرس بمركب»[1]. وقد جلس فخر الدولة.. وحضر أبو العلاء الرسول وأحضرت الخلع السبع والعمّة السوداء والسيف والطوق والسواد واللواء والذّابتان بمركبي الذهب، وقرئ العهد بتولّيه الأعمال التي في يده»[2]. وفي سنة ٣٩٠ «خلع على الموفق أبي علي بفارس بالقباء والفرجية والسيف والمنطقة والدست والمذهب»[3].

وفي المقابلات الرسمية في القرن الرابع، كان الأمراء والقوّاد يلبسون الأقبية السود من كل صنف، والعمائم، وفي أرجلهم الجوارب والالكاعات السود مشدودة بالزنانير[4]. وكان يلبس العباسيون من أرباب المراتب، زيّهم السواد بالأقبية المولدة والخفاف؛ ولهم منازل في شد المناطق والسيوف[5].

التشهير:

كان أعداء الدولة ممن يراد التشهير بهم يلبسون ألبسة خاصة. فلما أراد المعتصم أن يشهّر ببابك بعد أسره، ألبسه قباء ديباج وقلنسوة سمّور[6]. ولما غضب المتوكّل على عمر بن فرج ألبسه فرجية صوف وقيّده[7]. وعندما جيء بأسرى القرامطة، أمر الخليفة أن تجعل البرانس على رؤوسهم والقيود في أرجلهم[8]، ثم «أدخلوا مشهّرين فوُضع على رأس ابن الغمر منهم قروناً، وكانوا على جمال بدراريع ديباج وبرانس حتى دخلوا دار السلطان فاعتقلوا بها»[9].

(١) ذيل تجارب الأمم ٣/ ٨٤.
(٢) المصدر نفسه ٣/ ٩٩.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٣٤٨.
(٤) رسوم دار الخلافة ٩٢.
(٥) المصدر نفسه ٩١.
(٦) الطبري ٣/ ١٢٣١.
(٧) المصدر نفسه ٣/ ١٣٧٧.
(٨) مسكويه ١/ ٢٨٣.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٨٤.

ألبسة الوزراء:

بدأ تقليد وضع زيّ خاص لألبسة الوزراء منذ زمن أبي جعفر المنصور، فيذكر الجهشياري أنه «لما عزم المنصور على تقليد الربيع العَرْض عليه قال اجلس في بيتك حتى يأتيك رسولي .. فصار إليه الرسول بدراعة وطيلسان وشاشية، فقال البس هذا واركب بهذا الزي، فركب، فأمر الفرّاش أن يطرح له مرفقه تحت البساط تقصيراً به عن منزلة المهدي وعيسى بن علي، لأنه كان يطرح لهما مرفقتين ظاهرتين»[1]. ومن المعلوم أن الربيع كان يعمل عمل الوزراء وإن لم يسمّ بذلك. ولما تولّى حمد بن عبد الملك الوزارة اشترط أن لا يلبس القباء وأن يلبس الدراعة عليها سيف بحمائل فأجيب إلى ذلك[2]. ولم تذكر المصادر زي الوزراء قبل تولّيه الوزارة، غير أن الطبري يذكر أنه عندما عزل عن الوزارة أخذ سيفه ومنطقته وقلنسوته ودراعته[3]. ولما استدعي الخصيبي للوزارة طُلب منه أن يحضر بسواده ومنطقه[4]. «وكان الناس يخاطبون أبا عبد الله البريدي بالوزارة، ويخاطبون أبا الحسين ابن ميمون أيضاً بالوزارة، ويصير أبو الحسين إليه بسيف ومنطقة وقباء[5]. أما البريدي، فكان يلبس قباء أسود وعمامة سوداء[6]. ولما قُلّد أبو الفضل الوزارة، خلع عليه القباء والسيف والمنطقة المحلاة بالذهب، وحُمل على فرس بمركبة ذهب، وأقطعه أقطاعاً بخمسين ألف دينار على رسم الوزارة، وضم إليه عدداً كثيراً من الديلم على رسوم الوزارة[7].

ألبسة الكتاب:

كان زيّ الكتّاب الدراريع، فكان بنو البريدي كتّاباً أصحاب دراريع[8]. ولما استجاب أبو الفرج إلى عمل الديوان واستأنف بتقليده إياه، خلع عليه الدراعة

---

(١) الجهشياري ١٢٥.
(٢) الأغاني ٢٠/ ٤٩.
(٣) الطبري ٣/ ١٣٧٢.
(٤) مسكويه ١/ ٢٧٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٥.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٦.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٢٠٢.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٣٧٥، وانظر عن تميز الكتّاب بالزي: الجهشياري ٢٦٣.

على رسم الكتاب[١]. ولما أزال أبو الحسين بن ميمون عن نفسه اسم الوزارة، لبس الدراعة[٢]. وعندما كان الزيات كاتباً «كان يلبس إذا حضر الدار دراعة سوداء وسيفاً بحمائل»[٣].

وكان الكتّاب يلبسون الشاشية، وكان عيسى بن يزداد نيروز أول من لبس شاشية من الكتاب، وذلك لأنه احتاج إلى لبس القباء والسيف من أجل ما يتقلّده من نفقات خاصة فلبس شاشية[٤]. ثم كثر استعمالها[٥] واستعملها الخلفاء الفاطميون في مصر. وممّن ذكر أنه لبسها منهم الظاهر[٦]. وأهدت ست الملك إلى أخيها الحاكم شاشية مرصعة[٧]. وذكر مؤلف "أخبار بني العباس" جهابذة المنصور في ثياب بيض[٨].

وكان الحُجّاب في المقابلات الرسمية في القرن الرابع يلبسون الأقبية السود والسيوف والمناطق المشهرة، والخدم بالأقبية الملوّنة والمناطق والسيوف والحمائل المحلّاة، وبأيديهم الدبابيس والمناطق[٩].

وفي أواخر العصور العباسية، كان يُخلع على من يلي الوزارة، خلعة خاصة بها من القميص والدراعة والعمامة. فلما استوزر الناصر لدين الله ابن حديده في سنة ٥٨٤، خلع عليه الخلعة الوزارية القميص الأطلس والفرجية المخرج والعمامة القصبة والكحلية بالذهب، وقلّده بسيف محلّى، وقدّم له فرساً من خيل الخليفة[١٠]. وكان الخليفة يخلع على المتميّزين خلع السلطنة. وكان ممّا قُدّم

(١) مسكويه ٢/ ٢٤٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٥.
(٣) الطبري ٣/ ١١٨٤.
(٤) الجهشياري ٢٦١.
(٥) الوزراء للجهشياري ١٦٥؛ الذخائر والتحف ٧٨، ٢٤، ٢٣٨.
(٦) اتعاظ الحنفا ٢/ ١٣٤.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٥، وانظر عن الشاشية اتّعاظ الحنفا ١/ ٢٨١، ٢/ ١٥٧؛ صبح الأعشى للقلقشندي ٤/ ٥، ٦٠، ١٠/ ١٩،٥، ٤٠٤.
(٨) أخبار بني العباس ٢٦٣.
(٩) ذيل تجارب الأمم ٣/ ٣٥٩.
(١٠) مرآة الزمان ٨/ ٥٦٨.

لطغرل أنه «توّج وطوّق وسوّر، وأفيضت عليه سبع خلع سود في زيق واحد، واتخذت له مملكة الأقاليم السبعة، وشُرّف بعمامة مسكية فجُمع له بين تاجي العرب والعجم، وسما بهما وتسمّى بالمتوّج والمفخّم، وقُلّد سيفاً مُحلّى بالذهب»[١]. ويبعث الخليفة إلى دبيس «جبّة وفرجية وعمامة وطوقاً وفرساً بمركب ذهب وسيفاً ومنطقة ولواء»[٢]. وفي سنة ٥٩٣، خلع الخليفة على حسام الدين الجبّة والفرجية والعمامة السوداء والقباء الأسود، وبين يديه الخيل بمراكب الذهب[٣]. وفي سنة ٦٠٩، خلع الخليفة على إيدغمش الفرجية والعمامة وخلعاً تقارب خلع السلطنة[٤].

ألبسة القضاة:

ذكر عريب أن محمد بن يوسف، عندما عيّن على قضاء الشرقية وعسكر المهدي، خلع عليه دراعة وطيلسان وعمامة سوداء[٥].

وكان القضاة في مقابلاتهم الرسمية للخلفاء، إبان القرن الرابع، يلبسون الطيلسان والقمص والدنيات والقراقفات؛ ثم ترك لبس الأخيرتين، وعدل عنهما إلى العمائم السود المصقولة. وتطرف قوم فلبسوا القصب والخزّ الأسود.. وفي مخطوط من أواخر القرن الرابع أن من المخرقة ما كان يلبسه القضاة الدنيات، والوزراء الطيالسة.

وكان أولاد الأنصار يلبسون الثياب والعمائم الصفر[٦].

ألبسة الفقهاء وأهل العلم:

يذكر الأصفهاني أن أبا حنيفة كان له جار أخذه العسس ففقد أبو حنيفة

---

(١) تاريخ آل سلجوق للبنداري ١٤.
(٢) مرآة الزمان ٨/ ٧٢.
(٣) المصدر نفسه ٨/ ١٥٣.
(٤) المصدر نفسه ٨/ ٥٦٠.
(٥) عريب ٢٣.
(٦) رسوم دار الخلافة ٩١.

صوته تلك الليلة، فسأل عنه من غد فأخبر، فدعا بسواده وطويلته، فلبسها وركب إلى عيسى بن موسى (والي الكوفة)[1].

ويذكر حمزة السهمي عن عبد الواسع «أنه في أوائل زمن العباسيين كان الناس في ذلك الزمان قد أخذوا يلبسون قلانس سوداً يقال لها المحمدية، لا يدخلون على السلطان إلا بها، قال وكان العلماء إذا أرادوا الدخول على السلطان يحملونها معهم. فإذا بلغوا الباب أخرجوها ووضعوها على رؤوسهم ثم دخلوا عليه»[2]. ويروي الأصفهاني أن ابن جامع قدم من مكة على الرشيد «وكان يعتّم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة، ويلبس لباس الفقهاء، ويركب حماراً مريسياً في زي أهل القلانس». ويُذكر أيضاً: «أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أصحاب القلانس»[3].

ويروى الرامهرمزي بسند عن مطرف أن مالك بن أنس قال لأمه إنه يريد أن يذهب ليكتب العلم، فقالت له أمه: «تعال فالبس ثياب العلماء ثم اذهب فاكتب، فأخذتني فألبستني ثياباً مشمّرة ووضعت الطويلة على رأسي وعمّمتني فوقها، ثم قالت اذهب الآن فاكتب»[4].

ويروي الأصفهاني «أن سلمة بن عباد ولي القضاء فأتى باب سليمان بن علي ليلاً يدق عليه الباب ومعه جماعة من أصحاب القلانس»[5].

ويروى أن معمّر بن كدام قال لرجل لو كنت من أصحاب الحديث كنت مقنعاً وكانت نبلك مخصوفة[6].

ويذكر ابن خلكان: «قيل كان يحضر مجلس داوود الظاهري كل يوم أربعمائة صاحب طيلسان أخضر»[7].

---

(١) الأغاني ١/ ٤١٤.

(٢) تاريخ جرجان ٢٤٧.

(٣) ابن سعد ٥/ ٢٣٧ .

(٤) المحدث الفاصل ٢٠١.

(٥) الأغاني ٣/ ٣٠٣.

(٦) المحدث الفاصل ٢٠١

(٧) وفيات الأعيان، ترجمة داوود الظاهري.

ألبسة الأشراف

أشارت الكتب إلى تعدد الألبسة التي كان يلبسها الأشراف، فروى ابن سعد عن الواقدي: «لم يزل ذلك من فعل الأشراف وأهل المروءات عندنا (في الحجاز) الذين يلزمون المسجد يتكئون على طيالسة مطوية سوى طيلسانه وردائه الذي عليه»[1]. وذكر أن جعفر «طلع وعليه سبعة قمصان وكأنها درج بعضها أقصر من بعض ورداء عدني يثمّن ألفي درهم»[2]. وروى الحاتمي «أن المتنبي خرج من البيت الذي كان فيه.. وإذا هو لابس سبعة أقبية كل قباء منها بلون».

وكانت أكثر ألبسة المترفين من الخز والوشي[3]. وكان على إسحاق الموصلّي مطرف خز أسود قيمته مائة درهم، وعلى ابراهيم بن المهدي مطرف خز وجبّة خز دكناء[4]، وكان رويم بن أحمد وكيل اسماعيل بن إسحاق يلبس الخز والقصب والدبيقي[5]، وخلع الرشيد على ابن جامع جبّة خز طاروني مبطّنة بسمور. وأهدت أم المعتز المتوكّل مطرف خز أخضر لم ير الناس مثله حسنا[6]، وأهدى المنصور عمرو بن عبيد جبّة مبطّنة مروية[7] وخلع الرشيد على ابراهيم الموصلي جبّة وشي كوفي[8]، وخرج إليه متلثّماً بعمامة وشي ملتحفاً برداء وشي[9]؛ وكانت على نصيب جبّة وشي ورداء وشي[10].

أزياء اصناف من الناس:

ويروي الفضل بن دكين كنت إذا رأيت داوود الطائي لا يشبه القرّاء، عليه قلنسوة سوداء مما يلبس التجّار[11].

---

(١) ابن سعد ٥/ ٣٣٧.
(٢) المصدر نفسه ٥/ ١٣٧.
(٣) الأغاني ٢٠/ ٢٧.
(٤) المصدر نفسه ١٠/ ٢١٠.
(٥) المصدر نفسه ١/ ١٣٧.
(٦) الطبري ٣/ ١٣٥٤.
(٧) أنساب الأشراف ٣/ ٢٣٥.
(٨) الأغاني ١٠/ ١٧٧.
(٩) المصدر نفسه ١٠/ ١٧.
(١٠) المصدر نفسه ٦/ ٨١. وانظر ما كتبناه عن الخزّ وعن الوشي.
(١١) ابن سعد ٦/ ٢٥٥.

أما لباس الشطّار، فإن الأصفهاني يروي عن داوود المكّي أن ابن تيزن المغنّي قد اتزر بمئزر على صدره، وهي إزرة الشطّار عندنا[١].

وذكر الطبري ما يدلّ على أنه كانت للملاّحين مدارع مميزة[٢].

وكان لبس الخراسانية «قباء وأذاري وعمامة شاهجانية، يحشى ويداه معقوفتان من ورائه»[٣].

وكان الحلاّج محتلقاً، فيلبس في أوقات الدراعة والعمامة، ويمشي بالقباء على زيّ الجند[٤]. ويذكر الجاحظ أن إزار النصرانية أزرق، وإزار اليهودية أصفر، وإزار السامرية أحمر[٥]. وينعي الجاحظ على النصارى بأنهم في زمانه لبسوا الملحم والمطبّقة[٦].

ألبسة النساء:

يصف ابن قتيبة المترفات من النساء: «شر النساء إذا تحلّين الذهب، ولبسن ريط الشام وعصب اليمن فأتعبن الغني وكلّفن الفقير ما لا يجد»[٧]. ويذكر الأصفهاني «أول من عقد النساء في طرف الإزار زناراً وخيط إبريسم ثم تجعله في رأسها فيثبت الإزار ولا يتحرّك»[٨].

ويذكر أن علية بنت المهدي «كان بها عيب، كان في جبينها.. فاتخذت العصائب المكلّلة بالجوهر تستر بها جبينها، فأحدث والله شيئاً ما رأيت فيما ابتدعته النساء وأحدثته أحسن منه»[٩]. وممّا لبسته البانوقة (بنت المهدي) قباء أسود ومنطقة شاشية[١٠].

(١) الأغاني ١/٤٠٨، ٦/٣٣٩.
(٢) الطبري ٣/ ١٣٣٥.
(٣) ذيل تجارب الأمم ٣/٣٩٦.
(٤) المنتظم ٦/ ١٦٠.
(٥) حسن المحاضرة ١١٣.
(٦) الرد على النصارى للجاحظ ١٨.
(٧) عيون الأخبار ٤/ ١١٤.
(٨) الأغاني ٧/ ٣٠٢.
(٩) المصدر نفسه ١٠/ ١٦٢.
(١٠) الطبري ٣/ ٥٤٤.

أورد المسعودي نصّاً مجملاً عن اهتمام زبيدة زوج الرشيد بالتزيّن، فقال: «صنع لها الرفيع من الوشي حتى بلغ الثوب من الوشي الذي اتّخذ لها خمسين ألف دينار، وهي أول من اتّخذ القباب من الفضة والأبنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضة ملبّسة بالوشي والسمور والديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق.

وذكر أنها «اتّخذت للأمين الجواري عمّمت رؤوسهن وجعلت لهن الطرز والأصداغ والأقفية وألبستهن الأقبية والقراطق والمناطق.. واتّخذ الناس من الخاصّة والعامّة الجواري المطمومات وألبسوهن الأقبية والمناطق وسمّوهن الغلاميات»[1]. ولعلّ في هذا الكلام مبالغة في وصف أحوال فيها بذخ.

لباس أهل الذمّة:

لم تذكر المصادر قيوداً فرضها المسلمون على أهل الذمّة في أول الإسلام؛ وأول ذكر لهذه القيود كان في زمن خلافة عمر بن عبد العزيز؛ فيذكر أبو يوسف أنه أمر «أن لا يلبس نصراني قباء ولا ثوب خزّ ولا عصب، وقد ذكر أن كثيراً.. من النصارى قد راجعوا لبس العمائم»[2].

وذكر ابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز «كتب إلى الآفاق أن لا يمشي نصراني إلا مفروق الناصية، ولا يلبس قباء ولا يمشي إلا بزنار من جلود، ولا يلبس طيلساناً ولا سراويل ذات خدمة، ولا نعلاً لها عذبة»[3]. ولم تذكر المصادر الدافع لهذا الأمر، ولا بد أنه لم يعمّ ويثبت لقِصر مدة خلافة عمر بن عبد العزيز.

ويبدو أن أهل الذمّة تابعوا بعده تخيّر ما يلبسونه.

ويذكر ابن الجوزي أن أبا منصور المحتسب أمر سنة ٤٤٨ بإلزام أهل الذمّة

---

(١) مروج الذهب ٤/٢٢٦-٢٢٧.
(٢) الخراج لأبي يوسف ١٢٧.
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ١٢٦.

بأن يلبسوا الغيارات والعمائم المصبوغات[1]. ولكن الأمر لم ينفّذ لتدخّل الخاتون، ومنعها المحتسب من تنفيذه.

ملابس الخلفاء الفاطميين:

نقل المقريزي نصوصاً عن ملبوسات وهدايا عدد من الخلفاء الفاطميين في المناسبات الرسمية. فذكر أن العزيز خرج فضربت له خيمة ديباج رومية معزية فضة[2]، وأنه ركب لفتح الخليج بالمقس، وعليه قميص ديباج مثقل وتاج مرصّع الجواهر[3]، وعرض العساكر بظاهر القاهرة فنُصب له مضرب ديباج روميّ فيه ألف ثوب بصقرية فضة مثقل.. مثقل بالجواهر[4]. وفي رمضان صلّى الجمعة وعليه طيلسان وبيده القضيب وفي رجله الحذاء[5]. وكان العزيز أول من لبس من الخلفاء الفاطميين الخفّتان والمنطقة[6]. ولما بويع الحاكم كان في دراعة مصمتة وعمامة فيها الجوهر، وبيده الرمح وقد تقلّد السيف[7]. وركب يوماً في عيد الفطر وعليه ثوب مصمت أصفر وعلى رأسه منديل.. وكان يكره الركوب «بصوف أبيض وعمامة مفوطة بمظلة مثلها، ووليّ عهده يسايره وعليه ثوب مثقل»[8].

أما الظاهر، فكان عليه سنة ٤١٤ «وقت نزوله إلى مصر قميص طميم مذهّب، وعلى رأسه شاشية مرصّعة، وعاد وعليه ثياب بيض دبيقية مذهّبة وعمامة شرب مسكي مذهبة[9]. وركب في موكب إلى المقس بعمامة شرب مفوّطة بسواد وثوب دبيقي[10]. وفي سنة ٤١٥، ركب إلى نواحي عين شمس، وعليه ثوب بنكي

(١) المنتظم لابن الجوزي ٨/ ١٧١.
(٢) اتّعاظ الحنفا ١/ ٢٤٢.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٧٥.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٨٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٢.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٩٣.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٣.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ١٠١.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ١٠٧.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ١٣٤.

أحمر معلّم مذهّب على رأسه عمامة شرب بنكي مذهّب[1]. وركب إلى نواحي القصور، وعليه عمامة ياقوتية مذهّبة وثوب دبيقي بياض مذهّب بغير مظلة[2]. وركب في العساكر ورجال الدولة، بأحسن زي وأكمل عمة، إلى صناعة الجسر وعليه ثوب طميم مثقل وعمامة شرب مثقل مذهّبة وتحته فرش دبيقي مذهّب[3]. وجلس في قصر أبيه بباب الذهب على سريره المصقول المذهّب، وعليه ثوب دبيقي معلّم وعمامة شرب مثقل مذهّبة، وتحته فرش دبيقي مذهّب[4]. وجلس في قصر الذهب بعد أن زيّن وبسط وعلّقت فيه الستائر الديباج والسقوف المذهّبة، وعلق السقائف كلها بالستور، وفرشت بالفروش[5]. وركب إلى صلاة الجمعة من الجامع الأزهر، وعليه طيلسان شرب مفوّط بعمامة بياض مذهّبة، وثياب دبيقية، والمظلة دبيقية مذهّبة[6]. وركب مرة إلى جامع الأزهر، وعليه رداء بياض محشيّ فضيّاً، وثياب بيض دبيقية، وعمامة بياض مذهّبة، وفي يده القضيب الجوهر، وعلى رأسه مظلّة مديرة[7]. وذُكرت الخيام المعمولة من الديبقي والمخمل وسائر أنواع الحرير المثقل وغير المثقل[8]. وذُكرت خيام مسطح من قلمون عمل بتنيس، ومسطح عمله الظاهر في تنيس كلّه ذهب طميم[9]. ذكرت المصادر بعض هدايا الخلفاء للقوّاد والقضاة وذوي المراكز. فلما ولد لأبي القاسم علي بن القائد الفضل بن صالح بعث إليه العزيز ثلاثين ثوباً فاخرة ومحشوة أردية وعدّة عمائم وثوباً مثقلاً ومنديلاً طوله مائة ذراع! ومنديلاً بمائة وخمسين ديناراً، وحملت إليه السيدة العزيزية مائة ثوب صحاحاً من كل خزّ وبثلاثمائة دينار ومهدين لهما أغشية وثياب وفرش متصلة[10]. وكان يلبس الدراعة والعمامة بغير

(1) اتّعاظ الحنفا ٢/ ١٣٦.
(2) المصدر نفسه ٢/ ١٥٠.
(3) المصدر نفسه ٢/ ١٤٨.
(4) المصدر نفسه ٢/ ١٤٤.
(5) المصدر نفسه ٢/ ١٤٠.
(6) المصدر نفسه ٢/ ١٥٩.
(7) المصدر نفسه ٢/ ١٦٠.
(8) المصدر نفسه ٢/ ١٨٧.
(9) المصدر نفسه ٢/ ٢٨.
(10) المصدر نفسه ٢/ ٢٧١.

طيلسان[1]. ووجد في تركته مائة منديل شرب ملوّنة معمّمة كلّها على مائة شاشيّة وألف سروال دبيقي بألف تكة حرير، ومن الثياب المخيطة والصحاح[2]. وخلع الحاكم على ابن بكّار وقلّده سيفاً، وحُمل على عشرة أفراس بمرأبها مقلّداً إمارة الشام[3]. وخلع على القائد الفضل بن صالح ثوب ديباج مثقّل طميم أحمر، ومنديل ذهب مقلّد بسيف، وحُمل على فرس بمركب ذهب، وبين يديه تسعة من الخيل وثلاثون بنداً من ذهب أربعة عشر، تسع فيها أنواع الثياب[4]. وخرج القائد أبو الفوارس معضاد الخادم الأسود وعليه ثوب طميم حسن وعلى رأسه عمامة، ومعه سجل قرىء على العامّة والخاصّة بتلقيبه بالقائد[5]. وحُمل على فرس بسرج مصفّح مغموس وأُلبس عمامة مذهّبة وثوباً طميماً[6].

أما القضاة، فذكر أن أبا القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان ذهب إلى الجامع العتيق، وبين يديه ثياب صحاح، وحمل على بغلتين ملجمتين، وقرىء له سجل[7]. وفي سنة ٣٩١، خلع على القاضي حسين بن النعمان، وقيد بين يديه بغلتان وحمل إليه عدة ثياب لحضوره العتاقة[8]. وأهدى الحاكم لأبي الحسن علي بن ابراهيم النرسي ألف دينار وأربعة وعشرين ثياباً مختارة[9]. ولما قُلّد أبو القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان القضاء مع مابيده من النظر في المظالم، خلع عليه وقلّد سيفاً محلّى بذهب، وحمل على بغلة، وبين يديه سفط ثياب[10].

---

(١) اتّعاظ الحنفا ٢٢٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٧١.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٤٣.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٦٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٣٩.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٥٣.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٣٥.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٣٩.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٤٠.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٥.

وألبس ثلاثة من الخدم العمائم الشرب الأبيض فتشبّهوا بمَن تقدّم من مقدّمي الخدم[1]. وفي زمن الحاكم بأمر الله، قلّد ابن حيون المغربي سيفاً، وخلع عليه ثياباً بيضاء مقطوعة ورداء... وحمل على بغلة وحمل معه ثياباً محيّرة كثيرة[2]. وفي سنة ٣٩٨، ولّي عبد الملك بن سعيد الفارقي القضاء، وخلع عليه من بيت المال قميص مصمت، وعمّامة مذهّبة وطيلسان محشي، وقلّد بسيف .. فخرج، وبين يديه سفط ثياب، وحمل على بغلة وبين يديه بغلتان[3]. وخلع على أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي العوام، وأعطى سجلاً بتقليده قضاء القضاة، وحُمل على بغلة بسرج ولجام مصفّح بالذهب، وقيّد بين يديه بغلة أخرى، ونزل إلى الجامع فقرئ سجّله على المنبر»[4].

في سنة ٤١٤، خلع على أبي الفرج بن مالك بن سعيد ثوب وعمامة مذهّبان ورداء محشى بالذهب، وحمل على بغلة بسرج ولجام مُحلّى، وقلّد قضاء تنيس وسار إليها[5]. وكانت للقاضي خلعة في زمن الحاكم بأمر الله، عبارة عن «غلالة وقميص دبيقي معلّم مذهّب وثوب مصمت وعمامة شرب كبير مذهّبة وطيلسان مذهّب .. وكان مركبه بغلة مسرجة بلجام فضّي مذهّب، وقيّدت بين يديه بغلة أخرى مسرجه لجمة»[6]. و«خُلع على عبد الله بن محمد بن علي بن ابراهيم النرسي نقيب الطالبيين ثوب دبيقي مذهّب مصفّف بأطرق، ومن تحته ثوب مصمت مذهّب غلالة مذهّبة، وعلى رأسه عمامة شرب مذهّبة، وخرج وفي يده سجلّ يتضمّن استمراره في النقابة على العادة»[7]..

وخلع على ابن الرداد خلع دبيقية مذهّبة ورداء محشوّ مذهّب وعمامة شرب مذهّبة، وحُمل على بغلتين بسرجين ولجامين مذهّبين. وخُلع على بُقي الأسود وقُلّد الشرطتين بمصر، وحمل على فرس بسرجٍ ولجام مذهّب[8].

(١) اتّعاظ الحنفا ٢/١٦٣.
(٢) رفع الأصر لابن حجر ٢٠٧.
(٣) اتّعاظ الحنفا ٢/٧١.
(٤) المصدر نفسه ٢/١٠٩.
(٥) المصدر نفسه ٢/١٣٣.
(٦) رفع الأصر لابن حجر ١٠٢.
(٧) المصدر نفسه ٤٨.
(٨) المصدر نفسه ١٠٢.

وفي سنة ٣٩٤، حُمل إلى الشريف أبي الحسن علي النرسي رسمه بجاري به العادة في كل سنة، وهي من الثياب عشرون قطعة بنحو خمسمائة دينار[١].

وفي سنة ٤١٤، خُلع على أحد أولاد ابن جراح ثوب مثقل مذهب وعمامة طائرة وهدايا، وحمل على فرسين بسرجين ولجامين مذهبين[٢]. وأهدت ست الملوك إلى أخيها الحاكم هدايا منها مائة تخت ثياب، وتاجاً مرصّعاً وشاشية مرصّعة[٣]. ووُجد لحسين بن جوهر في جملة ما وُجد سبعةُ آلاف مبطنة حرير من سائر أنواع الديباج والتسالي وغيره[٤].

ومن المفيد أن نذكر أن الناصر لدين الله أفاض على الملك العادل جبّة أطلس أسود بطراز مذهّب وعمامة بطراز مذهّب، ونُشر على رأسه علم أسود مكتوب عليه بالبياض ألقابُ الخليفة. وخُلع على الآخرين عمامةٌ سوداء وثوبٌ أسود واسع الكم. وكان يهدي كل يوم خلعة كاملة بغلالة وقباء وسراويل وكمة وفروة وسيف وحصان ومنطقة ومنديل وسكين.. وخمس خلع لأصحابه.. منها عشر من كل واحدة منها ثلاثة أثواب طلس وثوبان من الخطبي، ومنها عشر في كل منها ثلاثة أثواب عتابي خوارزمي .. ومنها عشر في كل منها أثواب عتابي وبغدادي وموصلي، ومنها عشرون في كل منها خمسة أثواب معتق وسوسي ودبيقي[٥].

في سنة ٣٦٣، نودي أن لا تلبس امرأة سراويل كباراً، ووُجد سراويل فيها خمس شقاق، وأخرى قطع من ثماني شقاق دبيقي[٦]. ولا ريب في أن هذه الألبسة هي الحد الأدنى من الزينة. ولم يذكر لبسهم قبلها ولا رُوي استمرار هذا.

---

(١) مفرّج الكروب ٣/ ١٨١-١٨٢.
(٢) اتعاظ الحنفا ١/ ٢١٤.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٥٢.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٩٢.
(٥) رفع الأصر ٥٢.
(٦) مفرّج الكروب ٢/ ٥٢.

ألبسة كسرى وأشراف الفرس:

ذكر المسعودي أنه «وجد في بعض بيوتات الأشراف في اصطخر كتاب عن ملوك الفرس فيه معلومات قيّمة وصور لهم، فكان أول ملوكهم فيه أردشير شعاره في صورته أحمر مدثّر، وسراويله لون السماء، وتاجه أخضر، بيده رمح وهو قائمٌ. وآخرهم يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز، وشعاره أخضر موشى وسراويل لون السماء، وتاجه أحمر بيده معتمد على سيفه وأنواع الأصباغ العجيبة[(١)].

وذكر الطبري أن يزدجرد آخر ملوك الساسانيين كانت خلعته «من الديباج المنسوج المذهّب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجاً منظوماً»[(٢)]. وأشار إلى سيفه وزبرجه ومنطقته[(٣)]. «أما بساطه فكان ستين ذراعاً في ستين ذراعاً بساطاً واحداً مقدار جريب، وفيه طرق كالصور وفصوص كالأنهار وخلال ذلك كالدير، وفي حافاته كالأرض المزروعة والأرض المبقلة بالنبات في الربع من الحرير على قضبان الذهب». ونواره بالذهب والفضة وأشباه ذلك[(٤)]. وذكر حمزة الأصفهاني ألوان شعارات وسراويل وتيجان ملوك الساسانيين، وهي متنوّعة، فكان شعار كل من بهرام الثالث وأردشير الثاني ويزدجر الثاني وبوران أخضر على لون السماء، وشعار أنوشروان أبيض. أما الباقون، فشعاراتهم حمراء أو مورّدة بوَشي.

أما ألوان تيجانهم، فهي إما خضراء أو لون السماء، وكانت كافة خفافهم حمراء[(٥)]. وكانت ألبسة الطبقة الميسورة تختلف تبعاً لمكانتهم، وخاصة في لباس الرأس، فيذكر الطبري أن أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم في عشائرهم؛ فمن تمّ شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف، وكان هرمز ممّن تم شرفه فكان قيمة قلنسوته مائة ألف .. وكانت مفضضة بالجوهر، وتمام شرف أحدهم

---

(١) التنبيه والإشراف ٢٩٢-٢٩٣.
(٢) الطبري ٢٤٤٦/١.
(٣) المصدر نفسه ٢٤٥٠/١.
(٤) المصدر نفسه ٢٤٥٢/١.
(٥) تاريخ سني ملوك الأرض ٥٥.

أن يكون من بيوتاتهم السبع[1]. وممن تمّ شرفه رستم[2] وقارن. ولم يقاتل المسلمون بعد قارن أحداً انتهى شرفه في الأعاجم[3]. وكان الأزادبه مرزبان الحيرة قد بلغ نصف الشرف، وكان قيمة قلنسوته خمسين ألفاً[4]. وكان أبناء الملوك عليهم الأقراط وأسورة الذهب والديباج[5]. وذكر الطبري رجلاً عليه سوار من ذهب[6]، وآخر عليه منطقة وسواران[7]، وثالث عليه القرط وإسوار الذهب وثياب الديباج[8]. واستلب عمرو بن يكرب إسواراً عليه سوارين ذهب ومنطقة من ذهب ويلمق من ديباج[9]. وكان على الجالنوس عند انسحاب الفرس بعد القادسية بارقان وقلبان وقرطان[10]. وكان كثير منهم يلبس الخواتيم في أصابعه.

---

(١) الطبري ١/ ٢٣٤٠.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٠٢٧.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٣٧.
(٤) مروج الذهب ٢/ ٣٢٢.
(٥) الطبري ١/ ٢٢٣٥.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢١٩٣.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٦٤٣.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٣٥٦.
(٩) فتوح البلدان ٢٥٢.
(١٠) مروج الذهب ١/ ٣٢٧.

الفصل التاسع
الألبسة ومستوى المعيشة

أسعار الألبسة:

تتفاوت أسعار الألبسة تبعاً للمادة المصنوعة منها، والمهارة المبذولة في عملها، وتطوّر الأحوال الاقتصادية العامة[1]. ويبدو أن أغلى الأنسجة هي الحلل، فقد ذُكرت لها عدة أسعار، ولكنها عموماً احتفظت بمكانتها، وبخاصة في الحجاز كأغلى أنواع المنتوجات. وأخبارنا عنها مستمدّة من أزمنة متعددة؛ ففي زمن النبي (ص) اشتريت حلّة ببضعة وعشرين قلوصاً[2]. وأهدى حكيم بن حزام الرسول (ص) حلّة كانت لذي يزن[3] اشتراها بخمسين ديناراً، أي بما يعادل ستمائة درهم. وكان عبد الرحمن بن عوف يلبس البرد أو الحلّة تساوي خمسمائة أو أربعمائة[4]. وأوصى ابن مسعود أن يُكفّن في حلّة بمئتي درهم[5]. وبعث عمر إلى معاذ بن عفراء بحلّة فباعها واشترى بها خمسة رؤوس من الرقيق وعتقهم، وقال إن رجلاً آثر قشرتين يلبسهما على عتق هؤلاء لغبيّ الرأي[6]. وكان تميم الداري يلبس حلّة بألف درهم[7]. وكان العرجي يلبس حلّتين

---

(١) انظر : الإشارة إلى محاسن التجارة للدمشقي.

(٢) أبو داود لباس ٥. ومعدّل سعر القلوص حوالي مائة درهم.

(٣) ابن سعد ٤-١/ ٤٥.

(٤) المصدر نفسه ٣-١/ ٩٢.

(٥) المصدر نفسه ٣-١/ ١١٣.

(٦) لسان العرب ٨/ ١٣٠، ٤٠٤/ ١٨٢-١٨٣.

(٧) الأشربة لابن قتيبة ٨٢.

بخمسمائة دينار[١]. وكان عمر بن عبد العزيز يلبس الحلّة بألف دينار[٢]. وقال ابن سريج إن حلّته وخاتمه شراهما بألف وخمسمائة دينار[٣].

ويتلو الحلل في الأسعار، المطارف والبرود. فأما المطارف، فروي أنه كان على عثمان مطرف ثمنه مائتا درهم[٤]. وفي رواية أخرى أنه كان عليه مطرف خزّ ثمنه مائة دينار[٥]. وكان ابن عمر يلبس أحياناً المطرف بثمن خمسمائة[٦]. وفي يوم الحرة، اشترى محمد بن عمرو مطرف خز بسبعمائة[٧]. وكان علي بن الحسين يشتري المطرف بخمسين ديناراً[٨]. وكان ابن الشخير عليه مطرف خزّ بأربعة آلاف درهم[٩]. وكان علي بن الحسين يلبس الجبّة الخز بخمسين ديناراً[١٠]، والمطرف بخمسين ديناراً[١١]. واشترى عمر بن عبد العزيز، قبل تولّيه الخلافة، مطرفاً بثمانمائة درهم[١٢]. وكان لاسحاق الموصلي مطرف قوّم بمائة دينار[١٣].

ويروى أن عثمان بن عفان اشترى برداً ثمنه مائة دينار[١٤]. ويروي سليم أبو عمر أنه رأى على عثمان بن عفان برداً ثمنه مائة درهم[١٥]. وكان على ذي الرمّة برد قيمته مائتا دينار[١٦].

---

(١) الأغاني ١/ ٣٩٥.
(٢) مروج الذهب ٥/ ١٢٤ (عن المدائني)؛ وفي رواية بأربعمائة (ابن سعد ٥/ ٤٦).
(٣) الأغاني ١/ ٢٦٤.
(٤) ابن سعد ٣-١/ ٤٠.
(٥) أنساب الأشراف ٥/ ٣.
(٦) ابن سعد ٤-١/ ٢٧.
(٧) المصدر نفسه ٥/ ٥٠.
(٨) المصدر نفسه ٥/ ١٦٦؛ الكافي ٦/ ٤٥٠.
(٩) المصدران أنفسهما، الموضعان أنفسهما.
(١٠) الكافي للكليني ٦/ ٤٥١.
(١١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٤٢.
(١٢) الكافي للكليني ٦/ ٤٥١.
(١٣) الأغاني ١٠/ ٢٠.
(١٤) أنساب الأشراف ٥/ ٣.
(١٥) ابن سعد ٣-١/ ٣٩.
(١٦) الأغاني ١٦.

وقد هاجم أبو حمزة الخارجي يزيد الثالث، وقال عنه أنه يلبس بردتين قد حيكتا له وقوّمتا على أهلهما بألف دينار وأكثر وأقل"[1]. ويروي محمد بن الهلالي أن مروان بن أبان بن عثمان «طلع وعليه سبعة قمص كأنها درج بعضها أقصر من بعض ورداء عدني بثمانمائة درهم»[2]. ويروي الكليني أن أبا الحسن كفّن أباه من برد اشتراه بأربعين ديناراً لو كان اليوم لساوى أربعمائة دينار[3].

ذُكرت أسعار بعض الألبسة الغالية الثمن دون أن يُحدّد نوعها. فيروي ابن سعد أن علي بن الحسين كان يشتري كساء الخزّ بخمسين ديناراً فيشتو فيه ثم يبيعه ويتصرّف بثمنه ويصيّف بثوبين وشمونين[4]. ويروي الكليني أن علي بن الحسين كان يلبس في الصيف ثوبين يشتريان بخمسمائة درهم[5].

يروي البلاذري أن عمر بن عبد العزيز كان لبّاساً عطراً تقشّف بعد ذلك، فكان يُعمل له ثوب الخزّ بمائة دينار فيستخشنه[6]. ويروي حجاج الصوّاف «أن عمر بن عبد العزيز أمره أن يشتري له ثياباً، وهو أمير على المدينة (فاشترى) له ثوباً بأربعمائة درهم فقطعه مخيطاً، ثم لمسه، وقال ما أخشنه وأغلظه»[7]. وكان ابن عباس يرتدي رداء بألف[8]. ويروي ابن جرير عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله: لبس النبي يوماً قباء من ديباج أهدي له.. ثم باعه بمائتي درهم[9]. وذكر الجاحظ عن رجل قال اشتريت كساء أبيض طبريّاً بأربعمائة درهم، وهو عند الناس فيما ترى عيونهم قوصاً يساوي مائة درهم[10]. ولبس جعفر بن محمد ثوباً قرقبياً اشتُري بدينار[11].

---

(١) الأغاني ٢٠/١٠٩.
(٢) المصدر نفسه ١٧/٨٩.
(٣) الكافي ١/١٤٩.
(٤) ابن سعد ٥/١٦١، ١٦٢؛ الكافي ٦/٤٥١.
(٥) الكافي ٦/٤٤١.
(٦) أنساب الأشراف ٧/١٣٠، المخطوط.
(٧) ابن سعد ٥/٢٤٦؛ مرآة الزمان مخطوط باريس.
(٨) عيون الأخبار ١/٢٩٨، حلية الأولياء ١/٣٢٢.
(٩) مسلم ٢/١٥٣.
(١٠) الحيوان ٣/٢٧.
(١١) الكافي للكليني ٦٤٣٦.

أما الطيلسان الكردي، فقد روي أنه بيع طيلسان ميمون مهران حين مات في ميراثه بمائة درهم[١]. ولا شك في أنه مستعمل، وأن الجديد لا بد أن يكون أغلى من هذا السعر. أما الخميصة، فيذكر النسائي أن سعرها ثلاثون درهماً[٢].

ذُكر ثمن بعض الثياب بحوالي خمسة عشر درهماً. فيروي الأصبهاني أن عمر بن عبد العزيز كساه ثوبين كانا يساويين ثلاثين درهماً[٣]. ويروي البلاذري أنه كان يؤتى له بالثوب الخشن بأقلّ من دينار أو بدينار، فيقول ما أصنع بهذا آتوني بأخشن منه وأقل ثمناً[٤]. ويروي المسعودي: اشترى عمر بن عبد العزيز ثوباً بثمانية دراهم، وأنه كان يؤتى له القميص بعشرة دراهم[٥].

ويروي الواقدي: «سمعت ابن عمر وقد سأله رجل ما ألبس من الثياب. قال: ما لا يزدريك فيه السفهاء ولا يعيبك به الحلماء، قال ما هو، قال ما بين الخمسة إلى العشرين درهماً»[٦]. وهناك أنسجة أرخص؛ فيروي أيمن أنه دخل على عائشة وعليها درع قطن ثمنه خمسة دراهم[٧]. ويروي جعفر بن محمد عن أبيه أن علياً ابتاع قميصاً سنبلانياً بأربعة دراهم[٨]. ويروي سعيد بن حسن عن الربيع بن خيثم أنه لبس قميصاً سنبلانياً ثمنه ثلاثة دراهم أو أربعة[٩]. ويروى أن النبي اشترى سراويل بأربعة دراهم[١٠]. وقد ارتدى عثمان إزاراً عدنياً غليظاً بأربعة أو خمسة دراهم[١١].

---

(١) ابن سعد ٤-٢/ ١٢١.
(٢) النسائي ٢/ ٢٦٥.
(٣) الأغاني ١/ ٣٧٤.
(٤) أنساب الأشراف ٧/ ١٣٠ (مخطوط استانبول).
(٥) مروج الذهب ٥/ ١٢٤.
(٦) حلية الأولياء ١٢/ ٣٠٢.
(٧) ابن سعد ٣-١/ ١٨.
(٨) حلية الأولياء ٢/ ١١٣.
(٩) الكافي للكليني.
(١٠) أبو داود / ٤٤.
(١١) حلية الأولياء ١/ ٦٠.

أما تكاليف الأصباغ، فيروي هشام بن عمرو عن أبيه أنه كان يعصفر له الملحفة بالدينار، وكان آخر ثوب لبسه ثوب معصفر بدينار[١]. ويورد مالك أمثلة على ثوب ثمنه عشرة دراهم والصبغ بخمسة[٢]. وروى الصابي: «ثوب أبيض صبغ أرضه قيمته دينار»[٣].

وكانت قيمة ثوب الديباج في زمن عضد الدولة مائتي دينار، والثوب الأبيض نصف دينار[٤]. وكانت قيمة الحلّة التنيسية الذهب مائتي دينار، وبلا ذهب مائة دينار[٥]. وليس في الديباج طراز يبلغ الثوب الساذج منه الذي لبّس فيه ذهب مائة دينار غير ثوب تنيسي ودمياطي[٦]؛ والثياب المذهّبة في هيئة الخيط، الثوب الواحد منها بألف دينار[٧].

جمع فهمي عبد الرزاق سعد في كتابه القيّم «العامة في بغداد» قائمة بأسعار تسعة عشر من الملابس ببغداد في القرنين الثالث والرابع ، وهي تكمل ما جمعناه ممّا لم يشر إليها. نعيد نشرها استكمالاً للبحث، وتضع مصادره فيها بجانب كل سلعة تجنّباً إثقال بحثنا بالهوامش.

الملبوس	ثمنه	المصدر
طيلسان	٣٠ درهماً	الطبري ٨/ ٢٥٣
كساء	درهمان	طيفور ١٤
منديل	درهم واحد	نصوص ضائعة من كتاب الجهشياري ٣٢٥
قميص	٤ دراهم	تاريخ الخطيب ٩/ ٢٦١

---

(١) ابن سعد ٥/ ١٣٤.
(٢) الموطأ ٢/٩٢/ ١٢٥.
(٣) رسوم دار الخلافة ٩٨.
(٤) المصدر نفسه ١٠٠.
(٥) ابن حوقل ١٠٣.
(٦) فضائل مصر المنسوب للكندي ٦٧.
(٧) أنيس الجليس في أخبار تنيس ٣٧.

الملبوس	ثمنه	المصدر
كساء طبري	٤٠٠ درهم	الحيوان للجاحظ ٣/ ٢٧
كساء قوسي	١٠٠ درهم	الحيوان للجاحظ ٣/ ٢٧
ثوب قومي	٨ دراهم	المنتظم ٦/ ٣٤
عمامة	١٨ درهماً	بدائع البداءة ٤٤
ثوب	٧٥٠ ديناراً	الشابشتي ١٥٣
ثوب أخضر خزّ	١٠٠ دينار	الشابشتي ٤٤
ثوب مصمت	١٠ دنانير	المنتظم ٥/ ١٥٩
ثوب يماني	٥٠ ديناراً	هفوات الكتاب ٥٤
سقلاطوني	٥٠ ديناراً	نشوار المحاضرة ٣/ ١٢٩
مطرف خزّ	٤٠ ديناراً	تاريخ الخطيب ١٠/ ٣١٥
جبّة سعيدية	٦ ـ ٧ دنانير	تاريخ الخطيب ١٠/ ٧٥
قميص دبيقي	٢٠٠ دينار	نشوار المحاضرة ١/ ٥١
قميص	٢٠ ديناراً	نشوار المحاضرة ١/ ٥١
فرجية	١٧٠ ديناراً	المنتظم ٧/ ٩٧
تكة أرمنية	١٠ دنانير	نشوار المحاضرة ١/ ٢٥٤، ابن حوقل ٢٩٦

الألبسة ومستوى المعيشة:

لم تصلنا من الألبسة عند العرب في العهود الإسلامية الأولى نماذج كافية أو معلومات وافية تمكّننا من تكوين صورة واضحة عنها، وعن تنوّعها ومدى اهتمامهم بها. وأوسع وأقدم معلوماتنا هي ما ورد عن الرسول (ص) وزوجاته، ويتبيّن منها أن الرسول (ص) كان يعنى بنظافة ملابسه، غير أن ملابسه كانت بسيطة وغير مترفة، ومثل هذا يقال عن ألبسة زوجاته. ومن المؤكّد أن ألبسته لم

تختلف عن ألبسة المسلمين من الصحابة سواء كانوا من المهاجرين أو الأنصار. والراجح أن هذه الألبسة كانت هي الزيّ الشائع في مكة والمدينة وفي المدن الحجازية الأخرى.

أحدثت الفتوح الإسلامية أوضاعاً جديدة كان من شأنها أن تؤثر في ملابس العرب ومدى عنايتهم بها. فقد ظهرت مراكز حضارية جديدة هي الأمصار، حيث استوطن عدد كبير من العرب القادمين من أرجاء مختلفة من الجزيرة العربية، ومنهم عدد كبير من اليمن التي كانت فيها مراكز متعددة لمنسوجات منوّعة، وكانت لأهلها في ما يظهر عناية بالألبسة.

ثم إن العرب أصبحوا على اتصال مباشر مع سكان أقاليم لهم ألبسة تختلف في ما يظهر عن ألبسة عرب الجزيرة، أو على الأقل الأقاليم الغربية منها.

وازدادت موارد الدولة والأفراد إلى حد بعيد، ممّا أدى إلى ارتفاع مستوى المعيشة، وزيادة الاهتمام بالألبسة، سواء كان في اقتناء السلع ذات الأنسجة المتنوعة والغالية، أو في زخارفها ونقوشها ووشيها، أو في عدد ما يلبسه الفرد خلال السنة أو في المرة الواحدة. ولا بد أن ذلك رافقه تنوّع في الملبوسات من حيث خياطتها وتفصيلها.

ومما كان له تأثير في الألبسة زوال الحواجز «الجمركية» ونشاط التجارات بين مختلف أرجاء الدولة، فلم يعد إقليم يحتكر منسوجاً معيناً، بل كانت السلع تنقل إلى مختلف الجهات التي تطلبها، فحدث تشابه في الأسعار وفي السلع المطلوبة.

ومن الطبيعي أن المنسوجات المحلية الرخيصة كانت أكثر رواجاً لدى العامة القاطنين في الإقليم، غير أن السلع الكمالية كانت تصل مناطق بعيدة.

لم تفرض الدولة قبل أبي جعفر زيّاً رسمياً للناس أو المستخدمين، فظل الناس أحراراً في اختيار أزيائهم وألبستهم التي أصبحت تتوقف على أذواقهم الشخصية، وعلى إمكاناتهم المالية. غير أن ذوقاً عامّاً بدا يسود بين الناس في مختلف الطبقات، لأن المصانع تنتج أصنافاً خاصة ثابتة متميّزة، ولا تتبدل حتى وإن اختلفت مواضع صنعها.

ومن الطبيعي أن الاهتمام بالأزياء كان مهمّاً، غير أن هذا الاهتمام لم يكن بالسرعة والعمق الذي نجده اليوم، ولا بد أنه كان بطيئاً بسبب صعوبات الاتصال والمواصلات والدخل المحدود للغالبية.

ولا بد أن أذواق الناس في الألبسة .تأثرت بالعناصر الأجنبية التي لها ألبسة تلائم المناخ والصناعات المحلية، وممّا أثر في هذا احتكاك العرب بالأعاجم واستخدام الخدم والجواري والتفنّن القديم. وقد وصف الجاحظ تأثر العرب بالألبسة الأعجمية في بلاد ما وراء النهر. غير أن الجاحظ دوّن ملاحظاته بعد حوالي قرنين من الفتح الإسلامي ومن بداية الاتصال، وهي في مدن لم تكن للعرب في أي منها أكثرية عددية، وكانت ذات مناخ خاص، وهي بعيدة عن المراكز العربية. وبهذا تختلف في أوضاعها عن العراق والجزيرة، وبخاصة في القرن الأول الهجري حيث كان العرب أكثرية في العراق، وهم وثيقو الاتصال بالجزيرة، ومناخ العراق، وبخاصة أن جنوبه ووسطه صحراويان وألبسة أهله لا تختلف كثيراً عن ألبسة العرب ، ولذلك كان الاقتباس أبطأ، وكان للعرب تأثير على الأعاجم في الألبسة أكثر ممّا لهؤلاء على العرب.

الألبسة :

إن ندرة الألبسة، أو صورها التي وصلتنا من تلك الفترة، تجعل من الصعب تقديم صورة دقيقة عن تصنيف الألبسة تبعاً للطبقات، وبخاصة أن المؤلفين قلّما أشاروا بصراحة إلى كون الألبسة الفلانية هي لباس العلية. غير أن إشارات ضمنية كثيرة يستطيع أن يستنتج منها المرء كثيراً عن ألبسة العامة أو الألبسة العلية والوجهاء.

وكثير من الملبوسات ذُكرت أصنافها بالنوع كالقوهي والهروي والوشي، أو بالتقطيع كالمطارف، وكلّها من لباس العلية، والمفروض أن كلاً منها نوع واحد وله سمات تميّزه.

إن معظم معلوماتنا عن لباس العليّة هي عمّن عاش في الحجاز أو عن الخلفاء الأمويين في الشام. أما معلوماتنا عن أهل العراق قبل العصر العباسي، فهي أقلّ.

يختلف الناس في ألبستهم تبعاً لأحوالهم المعاشية، فالبدو من أهل الحجاز كانوا يوصمون بجفاء الزي وغلظ الثياب، والأرستقراطية تلبس القوهي والوشي[1].

أما في المدن، فقد كانت العباءة والأكسية الكردية تعتبر من ألبسة الفقراء[2]. ويقول ابن قتيبة: «كان الناس يلبسون ما وجدوا من الخزّ واليمنة والحبرات والكرابيس والصوف[3]، ويروى أن زوجة روح بن زنباع الجذامي هجت زوجها بشعر قالت فيه:

بكى الخزّ من روح وأنكر جلده وعجّت عجيجاً من جذام المطارفِ

وقال العبا قد كنت حيناً لباسكم وأكسيةٍ كرديّةٍ وقطائفِ[4]

ويروي الأصمعي عن ابن الفرافصة أنه قال: «أدركت وجوه البصرة.. فإذا قعدوا في أفنيتهم لبسوا الأكسية، وإذا أتوا السلطان ركبوا ولبسوا المطارف»[5].

رويت آراء بعض الفقهاء في تنوّع الألبسة تبعاً لمستوى معرض الكلام عن كفّارة اليمين، حيث جاء في القرآن الكريم: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [المائدة/ ٨٩]. فقد قال الفقيهان البصريان ابن سيرين والحسن البصري إن الكسوة ثوبان. وقال أبو موسى الأشعري إن الكسوة ثوبان من معقدة اليمن. أما الفقيه الكوفي ابراهيم النخعي، فقال: «إن الكسوة ثوب جامع، والثوب الجامع الملحفة أو الكساء أو نحوه، فلا نرى الدرع والقميص والخمار ونحوه جامعاً»[6].

ويمكن تكوين فكرة عن الثياب الوسط من متعة المرأة المطلقة والنفقة

(١) الأغاني ١/ ١٢٠. وأنظر ١/ ٤٩، ٢/ ١٦٨، ٨/ ٣١٠.
(٢) عيون الأخبار ١/ ٢٩٧؛ البخلاء ٢١٣.
(٣) الأشربة ٨٢.
(٤) الأغاني ٩/ ٢٢٩.
(٥) عيون الأخبار ١/ ٢٩٨.
(٦) الطبري، التفسير ٧/ ١٥ - ١٦.

عليها، فقد قال الشعبي وشريح أن أوسط المتعة للمرأة كسوتها في بيتها ودرعها وخمارها وملحفتها وجلبابها[1].

أورد الشافعي معلومات قيّمة عن الألبسة، عند بحثه عن نفقة المرأة المرضعة المطلقة التي أمر الله تعالى فيها: ﴿۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة/ ٢٣٣]، ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق/٦]، ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق/٧]، فقال الشافعي: «أقلّ ما يلزم المقتر، من نفقة امرأته المعروف ببلدهما .. وفرض لها من الكسوة والكسي مثلها ببلدها عند المقتر وذلك من القطن الكوفي والبصري وما أشبهها، ولخادمها كرباس وتبان وما أشبهه، وفرض لها في البلاد الباردة كل ما يكفي في البرد من جبة محشوّة وقطيفة أو لحاف وسراويل وقميص وخمار أو مقنعة، ولخادمها جبّة صوف وكساء تلتحفه يدفئ مثلها، وقميص ومقنعة وخف وما لا غنى بها عنه، وفرض لها للصيف قميصاً ومقنعة، وتكفيها القطيفة سنتين والجبة المحشوّة كما يكفي مثلها السنتين ونحو ذلك.. وإن كان زوجها موسراً فرض لها من الكسوة وسط البغدادي والهروي وما شبهها، وكذلك يخشى لها للشتاء إن كانت ببلاد يحتاج أهلها إلى الحشوة، وتعطى قطيفة وسطاً لا تزاد.. وأفرض لها في الكسوة الكرباس وغليظ البصري والواسطي وما أشبهه، لا أجاوزه بموسع من كان ومن كانت امرأته، واجعل عليه لامرأته فراشاً ووسادة من غليظ متاع البصرة وما أشبهه، وللخادمة الفروة ووسادة وما أشبهه من عباءة أو كساء غليظ فإن بلي أخلفه»[2]. إن هذا النص الذي يفصّل في تنوّع الألبسة بحسب مستوى المعيشة الذي ذكره الشافعي، وهو من فقهاء أواخر القرن الثاني الهجري، يمكن أن يكوّن المرء منه فكرة عن هذه الألبسة في القرن الأول الهجري.

ومن الألبسة الدون ما كان على يعقوب بن داوود عندما ما قابل المهدي وكان يلبس فروا وكرابيس وكساء من ألبسة الدون الكرابيس وطفاليل، وهي ما ذكره الأصبهاني لبسه الفرولي عند مقابلته المهدي[3].

---

(١) تفسير الطبري ٩/ ٧٣.
(٢) الام ٥/ ٣٩.
(٣) الأغاني ١٠/ ٢٧.

ويقول الحبشي: «فأما الملبس فإن تركت التجمّل فيه فيكفيك في السنة ديناران أي مثقالان لشتائك وصيفك، وأحسن الملابس ما يلبس أمثاله في زمانه ومكانه من غير شهرة في الطرفين، وأفضلها البياض ثم عصب اليمن، ويجوز للرجال لبس الثوب الأخضر ونحوه من المصبوغات بلا كراهة، ولبس الكتان والصوف والقطن بالخز وإن كانت نفيسة غالية الأثمان، ويحرّم على الرجل لبس الحرير والمزعفر والمعصفر»[1].

وقال مؤلف حكاية أبي القاسم في تباهيه على أهل أصفهان: «ما أرى على بدن واحد منكم ثوب دبيقي شقير، ولا تقاوى ولا قيراطي زهيري ولا بفت قشيري ولا رداء عدني ولا تختخ ولا راختج ولا ثياب قصب... ولا مُجلّى أيضاً ولا وشي ديباج بالذهب المنسوج والعنبر الممزوج أو مشتقات قصب معلم محوم»[2]. وعيّرهم بأن ليس عندهم «الزلالي المغربية والطنافس الخرشنية والنخاخ الأندلسية والقرطبية والمطارح الأرمنية والقطف الرومية والمقاعد التسترية والأنطاع المذهّبة المغربية والمخادّ المذهّبة الدبيقية والطراحات القبرصية والسوسنجردية. ولا لهم حصر ساماني ولا عباداني يطوى بالعرض كما تطوى الثياب أجلّ من الرازي وأنعم من الخز السوسي، والدسوت الشقيرية المفصّلة بالذهب والديباج المقصّب بالذهب»[3]. وذكر الشرب الدبيقي والرداء الشطوي والفرجية الرومية[4].

وكانت الحلل فيما يظهر من لباس العلية، والحلة هي «الوشي والحبرة والخزّ والقزّ والقوهي والمروي والحرير، والحلّة كل ثوب جديد تلبسه غليظ أو رقيق، ولا يكون إلا ذا ثوبين»[5].

كانت الحلّة السيراء من لباس الترف غير المستحب. ويروي ابن ماجة حديثاً

(١) الأغاني ١٤/٢٧.
(٢) البركة في فضل السعي والحركة ٤٩.
(٣) حكاية أبي القاسم ٣٥.
(٤) المصدر نفسه ٨٦.
(٥) لسان العرب ٣/١٨٢، ٨/٤٠٤.

عن الرسول يدلّ على أن القطيفة والخميصة كانتا من لباس الترف غير المستحب. فقد روي قول الرسول (ص): «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة»[1].

أما الأغنياء المترفون، فإن نصوصاً كثيرة تدلّ على أن من أهم ملبوساتهم الكتّان[2]، ثم الوشي والقوهي والخزّ[3].

كانوا يكثرون من الملبوسات، فمروان بن أبان بن عثمان «كانت عليه سبعة قمص كأنها درج بعضها أقصر من بعض»[4]. وكانت الشهرة في الأزمنة الأولى في تذييل القميص ثم أصبحت في تشميره[5]. ويروي الواقدي: "رأيت أبا جعفر متكئاً على طيلسان مطويّ في المسجد»[6].

أما في زمن الرسول، فكان كثير من الصحابة لا يلبس إلا ثوباً واحداً. فقد روي أن الرسول صلّى في ثوب واحد وقال.. وما كان لأحدنا إلا ثوب واحد[7]. وكانت العروس تستعار لها الثياب[8].

ويروي الكليني بسند عن جعفر الصادق: «ينبغي أن تتوشّح بإزار فوق القميص وأنت تصلّي، ولا تتزر بإزار فوق القميص إذا أنت صلّيت، فإنه من زيّ الجاهلية»[9].

وكان ملوك الفرس يلبسون في يوم المهرجان «الجديد من الخزّ والوشي والملحم»[10].

---

(١) ابن ماجه: زهد ٨.

(٢) انظر تفسير الطبري ٤/١٧٣؛ سيرة ابن هشام ٢/١٦٠؛ عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/٥٧١.

(٣) ابن سعد ٤-٢/٢٩، ٣٥؛ الأم ٥/٩١؛ الأغاني ١/١٢، ٢/١٦٨.

(٤) الأغاني ١٧/٨٩.

(٥) عيون الأخبار ١/٢٩٨.

(٦) ابن سعد ٥/٢٣٧.

(٧) البخاري: حيض ١١، أبو داود الطهارة ١٣٠، الصلاة ٢٤١. وانظر: المعجم المفهرس، مادة "ثوب".

(٨) البخاري نكاح ٦٥.

(٩) الكامل ٣/٣٩٥.

(١٠) التاج في أخلاق الملوك ١٥٠.

ذكرت بعض المصادر عدة نصوص تدلّ على أن الخزّ كان من لباس العلية. فذكر الشافعي مثلاً عن رجل كان لبسه الوشي والخزّ والمروي والقصب، وطعمته النقي النقي وألوان لحم الدجاج والطير[1]. ويروي ابن سعد أن «زادان دخل على عبد الله (ابن مسعود) وقد سبقه الناس بالمجلس، فقال أدنيت أصحاب الخز، فقال ادنه، فأجلس إلى جنبه»[2]. وكان على الوليد بن يزيد جبّة وشي ورداء وشي وخفّ وشي[3]، وكانت على نصيب جبّة وشي[4].

ويروي أبو عبيدة أن الحطيئة امتدح سعيد بن العاص، فقال هذا لوكيله اذهب به إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته له، فجعل يعرض عليه الخزّ ورقيق الثياب فلا يريدها ويومىء إلى الكرابيس والأكسية الغلاظ فيشتريها. وكان يروم وكيل اسماعيل بن اسحاق يلبس الخزّ والقصب والدبيقي[5]. وزوّجت مريم الصناع ابنتها فكستها المروي والوشي والقزّ والخزّ[6]. وكان أبو خالد الهيثمي عليه الوشي والجوهر وما أشبه[7].

وخرج الرشيد إلى ابراهيم الموصلي في دراعة وشي متلثّماً بعمامة وشي ملتحفاً برداء وشي[8]. وخلع على ابن جامع جبّة خزّ طاروني مبطّنة بسمور صيني، وعلى ابراهيم الموصلي جبّة وشي كوفي مرتفع مبطّنة بفنيك، وعلى ابن صدقة ذراعة ملحم خراساني محشوّة بقزّ[9]. وكان عون بن عبد الله يلبس جبّة خزّ ومطرف خزّ ويجالس المساكين[10].

---

(١) الأم للشافعي.
(٢) ابن سعد ٦/ ١٢٤.
(٣) الأغاني ٦/ ٢٨١.
(٤) المصدر نفسه ٧/ ١٣١.
(٥) نشوار المحاضرة ٣/ ١٥.
(٦) البخلاء للجاحظ ٢٥.
(٧) الأغاني ٢١/ ١٠٨.
(٨) المصدر نفسه ١٠/ ١٧.
(٩) المصدر نفسه ٢١/ ١٠١.
(١٠) الأشربة لابن قتيبة ٨٤.

والحلّة تكون من الوشي والخزّ والقزّ والقوهي والمروي والحرير. وقال اليمامي: الحلّة كل ثوب جديد تلبسه غليظاً أو دقيقاً ولا يكون إلا ذا ثوبين[1]. ويروي الأصبهاني عن رجل قال كنا في ثيابِ الحجاز الغلاظ الجافية وهم في القوهي والوشي. وقال عبد الملك خلقت والله حلل الوشي[2] والخز والقوهي[3].

كانت القوهية من لباس العلية فيروي محمد بن سلام عن أبيه: «أقبل طويس وعليه قميص قوهي وحبرة قد ارتدى بها»[4].

ويروي محمد بن مسلم عن جرير قال ابن سريج دعاني فتية من بني مروان فدخلت إليهم وأنا في ثياب الحجاز الغلاظ الجافية، وهم في القوهي والوشي يرفلون كأنهم الدنانير الهرقلية[5].

تميّزت القوهية بالرقّة، فقد غنت جارية للمتوكّل شعراً لخديجة بنت المأمون جاء فيه:

لو لبس القوهي من رقّه   أوجعه القوهي أو خدّشا[6]

ومن المنسوجات المترفة الهروية، وقد تحدثنا عنها بتفصيل في فصل منسوجات بلدان الهضبة الإيرانية.

ألبسة الحداد ومراسم الوفاة:

يذكر ابن سعد أن «حمزة بن عبد المطلب كفّن في ثوب»[7]. ونظراً

---

(١) لسان العرب ٨/٤٠٤، ١٣/١٨٢.
(٢) الأغاني ١٠/١٢٠.
(٣) المصدر نفسه ١٥/٩٠.
(٤) المصدر نفسه ١٣/١٦٢، ١٦/١٣.
(٥) المصدر نفسه ١/٣١٠.
(٦) المصدر نفسه ١٤/١١٠.
(٧) ابن سعد ٣-١/٥.

للأحوال الخاصة التي أحاطت باستشهاد حمزة، في موقعة أحد، فإنه لا يمكن اعتبار تكفينه بثوب هو التقليد المتبع، إذ إن النصوص تذكر أن الميت كان يكفّن بعدة أثواب.

فقد روى هشام بن عمرو عن أبيه عن عائشة: «أن رسول الله (ص) كُفّن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة»[1]. ويضيف ابن سعد في روايته عن عبدالله بن جعفر أن أحدها برد يماني[2].

أما أبو بكر، فيروي ابن سعد أنه «كفّن في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة. وقال أبو بكر لابنته انظري ثوبي هذا فيه... زعفران أو مشق فاغسليه واجعلي معه ثوبين آخرين»[3]. ويروي أنه كفّن في ريطتين: ريطة بيضاء وريطة ممصرة. وهنالك روايات أخرى تذكر أنه كفّن في ثوبين معقّدين، سحوليين[4].

أما عمر، فيروي سالم بن عمر أنه كُفّن في ثلاثة أثواب. ويروي وكيع أنه كفّن في ثوبين سحوليين وقميص[5]. أما محمد بن عبدالله الأسدي، فيروي أنه كفّن في ثوبين صحاريين وقميص كان يلبسه[6].

أما علي، فقد «كفّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص»[7].

أما ابن مسعود، فقد أوصى أن يكفّن في حلّة بمائتي درهم[8].

وكُفن سعد بن معاذ في ثلاثة أثوابه صحارية[9].

---

(١) الأم ٣٥٨، سند الشافعي / ٣٠٦.
(٢) ابن سعد ٥/ ٢٣٥.
(٣) المصدر نفسه ٣-١/ ١٤٣؛ أنساب الأشراف ٧٤، طبعة إحسان صدقي العمد.
(٤) ابن سعد ١-١/١٤٥ - ١٤٦.
(٥) أنساب الأشراف ٣٠٨، طبعة إحسان صدقي العمد.
(٦) ابن سعد ٣-١/٢٦٦.
(٧) المصدر نفسه ٣-١/٢٥.
(٨) المصدر نفسه ٣-١/١١٣.
(٩) المصدر نفسه ٣-٢/١١.

وكفّن عمر بن عبد العزيز في خمسة أثواب يروى أنها من كرسف، وفي رواية أخرى أن منها قميصاً وعمامة[1].

ولما مات واقد بن عبدالله بن عمر بالسقيا وهو مُحْرِم، كفّنه ابن عمر في خمسة أثواب فيها قميص وعمامة[2].

ويروى أن جعفر أمر ابنه أن يُكفّن في قميصه وأن تقطع أزراره وفي ردائه الذي كان يلبس، وأن يشتري برداً يمانياً، فإن النبي كُفّن في ثلاثة أثواب أحدها برد يماني[3]. وأوصى علي بن الحسين أن يكفّن في قطن[4]. وأوصى يوسف أن تشد رجله بعمامة[5].

ويروي الكليني عن أبي عبدالله قوله: «الكتان كان لبني إسرائيل يكفّنون به، والقطن لأمة محمّد. ويقول أبو الحسن عن أبيه أنه كفّن أباه في ثوبين شطويين كان يُحرم فيهما، وفي قميص من قمصه وعمامة كانت لعلي بن الحسن، وفي برد اشتراه بأربعين ديناراً لوكان اليوم لساوى أربعمائة دينار، وأن الحسين بن علي كفّن أسامة بن زيد ببرد. وعن أبي عبد الله قال: الكفن يكون برداً، فإن لم يكن برداً فاجعله عمامة قطناً، فإن لم تجد عمامة قطن، فاجعل العمامة سابريّاً»[6].

التغسيل:

يروي «مالك عن أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عن أم عطية أن رسول الله قال لها في غسل ابنتها اغسلوها ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتم ذلك بماء وسدر»[7].

---

(١) ابن سعد ٥/ ٢٠٠.
(٢) المصدر نفسه ٥/ ١٥١.
(٣) المصدر نفسه ٥/ ٢٣٨.
(٤) المصدر نفسه ٥/ ١٦٣.
(٥) المصدر نفسه ٥/ ٣٤٦.
(٦) الكافي ٣/ ٤٩.
(٧) الأم ١/ ٢٣٤.

ويذكر ابن سعد أن عمر غُسل ثلاثاً بالماء والسدر[١]. وأوصت أسماء بنت أبي بكر: «إذا مت حنّطوني ولا تذروا على كفني حناطاً»[٢].

ويروي الفضل بن دكين عن مندل عن هشام بن عروة قال: أوصاني أبي أن لا تذروا عليّ حنوطاً»[٣]. وأوصى يوسف: «أن يجعلوا على وجهه حنوطاً»[٤].

غير أن كثيراً من النصوص تذكر أن بعض الصحابة كانوا يكرهون المسك في الحنوط. فيروي ابن سعد «أن عمر بن الخطاب أوصى أن لا يغسلوه بمسك ولا يقربن مسكاً»[٥]. وقال لا تجعلوا في حنوطي مسكاً[٦]. وقال عمر بن عبد العزيز لمولاه إني أراك ستلين حنوطي فلا تجعلوا فيه مسكاً. وإن علي بن الحسين أوصى أن لا يجعل في حنوطه مسك[٧].

غير أن فريقاً من الصحابة كان يقرّ بالحنوط. فلما سئل مالك عن المسك والعنبر في الحنوط للميت قال: لا بأس بذلك. قال ابن القاسم: «يُجعل الحنوط على جسم الميت وفيما بين أكفان الميت ولا يجعل من فوقه»[٨]. وروى ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب: أن السُنّة إذا حنّط الميت أن يذر حنوطه على مواضع السجود منه السبعة[٩]. وذُكر أن عطاء بن أبي رباح قال أحب الحنوط إليّ الكافور ويجعل منه في مراقه وإبطيه ومراجع رجليه وفي إبطيه ورقبته وفي أنفه وفمه وعينيه وأذنيه. وقد أوصى الرسول أنه إذا غسلت بناته فيلغسلن «بماء وسدر ويُجعل في الآخرة كافور أو شيء من كافور»[١٠].

---

(١) ابن سعد ٣-١/٢٦٦.
(٢) الموطأ ١/١٧٥.
(٣) ابن سعد ٥/١٣٥.
(٤) المصدر نفسه ٥/٣٤٦.
(٥) المصدر نفسه ٣-١/٢٦٦، ٢٦٧.
(٦) المصدر نفسه ٣-١/٢٦٦.
(٧) المصدر نفسه ٥/١٦٣.
(٨) المدوّنة ١/١٨٧.
(٩) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(١٠) الأم ١/٢٣٤.

أما نقل الجنازة، فيروي ابن شبه عن أبي عاصم النبيل عن كهم بن الحسن عن يزيد: كمدت فاطمة بعد وفاة أبيها، فقالت: «إنني لأستحي من جلال جسمي إذا خرجت على الرجال غداً وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء، فقالت أسماء بنت عميس وأم سلمة إني رأيت شيئاً يصنع بالحبشة فصنعت النعش فاتخذ بعد ذلك سنّة»[١].

وأوصى عدد من الصحابة والتابعين ألا تتبع جنازته بنار ومنهم أسماء بنت أبي بكر[٢]، وعمر[٣]، وعمرو بن العاص[٤]، وأبو هريرة[٥]، وسعيد بن المسيّب[٦]. وأوصى عدد من الصحابة ألا تتبعه امراة أو نائحة، ومن هؤلاء عمرو بن الخطاب[٧]، وعمرو بن العاص[٨]. كما أوصى سعيد بن المسيّب ألا يتبع براجز[٩]. إن تأكيد امتناع فعل هذه الأمور يدلّ على شيوعها، والواقع أنها كانت موجودة زمن عمر بن عبد العزيز، فيروي «علي بن محمد عن خالد بن يزيد عن أبيه: كتب عمر بن عبد العزيز إلى العمال في النياحة واللهو: بلغني أن نساء من أهل السنّة يخرجن عند موت الميت منهن ناشرات شعورهن ينحن كفعل أهل الجاهلية ما رخص لنساء في وضع خمرهن منذ أُمرن أن يضربن بخمرهن على جيوبهن، فتقدّموا في هذه الناحية تقدّماً شديداً، وقد كانت الأعاجم تلهو بأشياء زيّنها الشيطان لهم فازجر من قبلك من المسلمين من ذلك»[١٠]. وأوصى عدد من

(١) وفاء الوفا ٢/ ٢٩١.
(٢) الموطأ ١/ ١٧٥.
(٣) ابن سعد ٣-١/ ٢٦٧.
(٤) المصدر نفسه ٤-٢/ ٦.
(٥) المصدر نفسه ٤-٢/ ٦٢.
(٦) المصدر نفسه ٥/ ١٠٥.
(٧) المصدر نفسه ٣-١/ ٢٦٧.
(٨) المصدر نفسه ٤-٢/ ٦.
(٩) المصدر نفسه ٥/ ١٠٥.
(١٠) المصدر نفسه ٥/ ٢٩٠.

الصحابة أن يعجلوا بهم في المشي، ومن هؤلاء علي بن الحسين[١]، وأبو هريرة[٢]، وسعيد بن المسيّب[٣].

أوصى عمرو بن العاص: «فإذا دفنتموني فسنّوا عليّ التراب»[٤]. وكان على قبر عبيد الله بن عبد الله بن عمر فسطاط، ورشّ قبره بالماء[٥]. غير أن أبا هريرة[٦]، وسعيد بن المسيّب[٧]، أوصيا ألا يضرب على قبرهما فسطاطاً.

أما القبور، فكان «أهل مكّة يشقون وأهل المدينة يلحدون»[٨]. و«قال رسول الله (ص) اللحد لنا والشقّ لغيرنا»[٩]. و«كره مالك تجصيص القبور والبناء عليها، وهذه الحجارة التي يبنى عليها»[١٠].

أما الحِداد، فيقول مالك: «قال رسول الله (ص) إنما هي أربعة أشهر وعشراً، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبصرة على رأس الحول، قال حميد فقلت لزينب وما قولة ترمي بالبصرة على رأس الحول، فقالت زينب كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت ولبست شرّ ثيابها ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى تمر بها سنة»[١١].

أما في الإسلام، فيروي الشافعي: «سمعت رسول الله (ص) يقول على المنبر لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً»[١٢]. ويقول مالك: «لا تحدّ على أحد

---

(١) ابن سعد ١٦٣/٥.
(٢) المصدر نفسه ٤-٦٢/٢.
(٣) المصدر نفسه ١٠٥/٥.
(٤) المصدر نفسه ٤-٦/٢.
(٥) المصدر نفسه ١٠٥/٥.
(٦) المصدر نفسه ٤-٦٢/٢.
(٧) المصدر نفسه ١٠٥/٥.
(٨) المصدر نفسه ٢-٧٤/٢.
(٩) المصدر نفسه ٢-٧٢/٢.
(١٠) الموطأ ١٨٩/١.
(١١) المدوّنة ١١٦/٥- ١١٧، الأم ٢١٣/٥.
(١٢) الأم ٢١٢/٥.

فوق ثلاث ليال إلا على زوج»[1]. وفي الحداد، فإن المرأة تمتنع عن مظاهر الزينة وقد أكّد الفقهاء امتناع الحادّ عن عدّة أمور:

١ ـ الكحل:

يقول ابن عمر أن المتوفّى عنها زوجها لا تكتحل[2]. وينقل عنه مالك أنها «لا تكتحل بكحل تريد به الزينة إلا أن تشتكي عينيها»[3]. وتقول عائشة إنها: «لا تكتحل بالإثمد ولا بكحل فيه طيب وإن وجعت عينيها، ولكن تكتحل بالصبر وما شاربه من الأكحال سوى الإثمد مما ليس فيه طيب»[4].

ولما مات جميل حزنت عليه بثينة، فلم تكتحل بعده بإثمد ولا خرقت رأسها لمخيط ولا مشط ولا دهنته إلا من صداع، ولم تلبس خماراً مصبوغاً ولا إزاراً[5].

٢ ـ الطيب:

تقول عائشة إن المتوفى عنها زوجها يجوز لها أن تكتحل «مما ليس فيه طيب»[6]. ويقول ابن عمر أنها "لا تطيّب"، و"لا تمس طيباً"[7]. ويقول مالك وقد سئل: "فهل تدهن الحادّ رأسها بالزنبق أو بالخيرة أو بالبنفسج، قال: لا تدهن الحادّ إلا بالحل، يريد الشيرج، أو بالزيت ولا تدهن بشيء من الأدهان المربية، قال مالك ولا تمشّط بشيء من الحناء ولا الكتم ولا بشيء مما يختمر في رأسها»[8].

---

(١) المدوّنة ٥/ ١١٥.
(٢) تفسير الطبري ٢/ ٣١٨.
(٣) المدوّنة ٥/ ١١٣.
(٤) تفسير الطبري ٢/ ٣١٨.
(٥) الأغاني ٨/ ٢٠٣.
(٦) تفسير الطبري ٢/ ٣١٨.
(٧) المصدر نفسه، الموضع نفسه؛ المدوّنة ٥/ ١١٣.
(٨) المدوّنة ٥/ ١١٤.

٣ ـ الحلي:

تقول عائشة إن الحادّ على زوجها لاتلبس الحلي[١]. ويقول مالك وقد سئل «أرأيت الحادّ هل تلبس الحلي، قال مالك لا ولو خاتماً ولا خلخالاً ولا سواراً ولا قرطاً».

٤ ـ الخضاب:

يرى ابن عمر أن الحادّ على زوجها لا يجوز لها أن تختضب[٢].

٥ ـ عدم المبيت خارج البيت:

يقول ابن عمر إن الحادّ على زوجها «لا تبيت عن بيتها»[٣].

٦ ـ الألبسة:

تقول عائشة إن الحادّ على زوجها «لا تلبس ثوباً مصبوغاً ولا معصفراً.. وتلبس البياض ولا تلبس السواد»[٤]. أما ابن عمر «فيرى أن لا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب (..و) لا يرى بأساً أن تلبس البرد»[٥]. ويقول مالك إنها «لا تلبس شيئاً تريد به الزينة حتى تحل»[٦]. وقد سئل مالك «في الحادّ فهل تلبس الثياب المصبغة من هذه الدكن والصفر والمصبغات بغير الورس والزعفران والعصفر، فقال لا تلبس شيئاً منه لا صوفاً ولا قطناً ولا كتّاناً صبغ بشيء من هذا إلا أن تضطر إلى ذلك من برد ولا تجد غيره»[٧]. ويقول أيضاً: «ولا تلبس خزّاً ولا حريراً مصبوغاً ولا ثوباً مصبوغاً بزعفران ولا عصفر ولا خضرة ولا غير ذلك، فقلنا لمالك فهذه الجباب التي تلبسها النساء للشتاء التي

(١) تفسير الطبري ٢/٣١٨.
(٢) المدوّنة ٥/١١٣.
(٣) تفسير الطبري ٢/٣١٨، المدوّنة ٥/١١٣.
(٤) تفسير الطبري ٢/٣١٨.
(٥) تفسير الطبري ٢/٣١٨، المدوّنة ٥/١١٣.
(٦) المدوّنة ٥/١١٣.
(٧) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

تصبغ بالدكن والخضر والصفر والحمر وغير ذلك، قال لا يعجبني إلا أن لا تجد غير ذلك وتضطر إليه، ولا خير في العصب إلا الغليظ منه فلا بأس بذلك».

قال مالك ولا بأس أن تلبس من الحرير الأبيض[1]. (وسئل) هل تلبس الحادّ البياض الجيد الرقيق منه، قال نعم، (فقيل) لمالك فهل تلبس الحادّ الشطوي والقسّي والقصبي الرقيق من الثياب، فلم يرَ بذلك بأساً، ووسّع في البياض كله للحادّ رقيقه وغليظه.. قال في المصبوغ كلّه الجباب من الكتان والصوف الأخضر والأحمر إنها لا تلبس.

ويقول الشافعي: «ولا بأس أن تلبس الحادّ كل ثوب وإن جاء من البياض، لأن البياض ليس يعزيه، وكذلك الصوف والوبر، وكل ما نسج على وجهه. وكذلك كل ثوب منسوج على وجهه لم يدخل عليه صبغ من خزّ أو مروي إبريسم أو حشيش أو صوف أو وبر أو شعر أو غيره. وكذلك كل صبغ لم يرد به تزيين الثوب، مثل السواد وما أشبهه، فإن من صبغ السواد إنما صبغه لتقبيحه للحزن. فأما كل صباغ كان زينة أو وشي في الثوب يصبغ كأنه زينة أو تلميع كأنه زينة مثل العصب والحبرة والوشي وغيره، فلا تلبسه الحادّ غليظاً كان أو رقيقاً[2]».

---

(١) المدوّنة ٥/ ١١٤.

(٢) الأم ٥/ ٣١٤.

الفهرس